

سُبُلُ السَّلاَمِ

من صحيحِ سيرةِ خيرِ الأنامِ

عليه الصلاة والسلام

طبعةٌ مُحَققةٌ ومُنَقحة ومفهرسة ومضبوطة




تأليف

«أبوإسلام»

صالح بن طه عبدالواحد

أعزه الله بالإسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

راجعه وقدَّم له

فضيلة الشيخ

مشهور بن حسن آل سلمان

حفظه الله



المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/٩/٢٥٦٣)

٢٣٩
عبد الواحد ، صالح طه
سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة
والسلام / صالح طه عبد الواحد._ عمان :المؤلف،٢٠٠٦.
( )ص.

ر.إ :(٢٥٦٣ /٩/٢٠٠٦).
الواصفات:/السيرة النبوية//الاسلام/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

تنبيه: اعلم أن هذه الخطب تُبث على قناة الأثر الفضائية التي ترددها ١١٣٣٤ على النايل سات وعلى الموقع الإلكتروني

salehabuislam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده، والصلاةُ والسلام على من لا نبيَّ بعده، وآلهِ وصحبهِ وجندِه.

أما بعد: فإنَّ السيرةَ النَّبويةَ تسجيلٌ صادقٌ لحياةِ سيِّدِ البشرِ، ورسولِ ربِّ العبادِ: محمدٍ ﷺ؛ حيثُ اختارَه اللهُ للرِّسالةِ الإلـهيّةِ الـخاتـمةِ الـخالدةِ؛ ليضعَ بين يدَي البشريّةِ مَفاتِـحَ سعادتِها، ويضعَ أقدامَها على مراقي العزِّ، فمنْ أخذَ ذلكَ بقوّةٍ، كان ممن قالَ اللهُ فيهم: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:١١٠]، وممن وصفَهمُ الـمولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة:١٤٣].



ولذلكَ؛ فإنَّ اللهَ جلَّ جلالُه جعلَ مناطَ القُدوةِ ومحَلَّ الأُسوةِ محمّداً رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾**﴾ [الأحزاب].

وجعلَ مِعيارَ التَّقوى اتباعَ رسولِ الله ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١].

ولن تَبلُغَ الأمةُ كمالَـها ولن يتـمَّ للعبدِ تـمامُ التأسِّي وحقيقةُ الاتِّباعِ، إلَّا بمعرفةِ سيرةِ خيرِ البريّةِ وسيِّدِ البشريّةِ، ودراستها بتـمحيصٍ وتوثيقٍ، ليصفوَ للمتَّبعِ الثابتُ الصَّحيحُ الـمقبولُ من سيرةِ الرَّسولِ ﷺ.

وممن ساهمَ في هذا الجانبِ وقامَ مقاماً محموداً: أخونا في اللهِ الشيخُ أبوإسلام صالح بنُ طه -وفّقه الله- حيثُ ألقى سيرةَ رسولِ اللهِ ﷺ في خُطبٍ ماتعةٍ في

مسجدِ إبراهيمَ الحاجِّ حسن، فجاءَت مترابطةً متراصةً آخذاً بعضُها برقابِ بعض؛ لتكونَ في نهايةِ الـمطافِ هذا الكتابَ الحافلَ في سيرةِ خيرِ الأنامِ محمّدٍ ﷺ.

وقد مررتُ بها ووقفتُ عليها؛ فوجدتُها جديرةً بالنَّشر، ليعمَّ بها النَّفع.

سائلاً الـمولى عزَّ وجلّ أن يجعلَ جميعَ أعمالِنا خالصةً لوجهِهِ الكريمِ؛ إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

وكتبه
حامداً ومصلياً ومسلـماً
أبو أسامة سليم بن عيد الـهلالي
أصيل يوم الـخميس لثلاث عشرة ليلة
بقيت من جمادى الآخرة في عمان البلقاء
عاصمة جند الأردن من بلاد الشام الـمحروسة




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا من يهدِه اللهُ فهو المهتدي، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّاالله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، **أما بعدُ**:

فهذه مجموعةٌ من الخطبِ المنبريّةِ ألقاها أخونا الشيخُ أبو إسلامٍ صالحُ ابن طه عبدِالواحد -حفظَه اللهُ ونفعَ به- وهي في «**السِّيرةِ النَّبويةِ**».

وتمتازُ هذه الخطبُ بالاعتمادِ على الأحاديثِ الصَّحيحةِ منها، وتحقيقُ ذلكَ في السِّيرة خاصّةً يحتاجُ إلى جُهدٍ جَهيدٍ، وتعَب في البَحثِ والتَّنقيبِ، و«أيُّ خيرٍ في حديثٍ اختلطَ صحيحُه بواهيه، وأنتَ لا تُفَلِّيه، ولا تبحثُ عن ناقليه».

ومن ميِّزاتِ الكتابِ: التَّحليلُ الجيِّدُ للحَدَثِ الذي يتكلَّمُ عنه، وذِكرُ العِظاتِ والعبرِ والفوائدِ منه، والتَّركيزُ منها على ما يخصُّ حالَ الأمّةِ الآنَ.

ويَزينُ ذلكَ كلَّه: جودةُ حفظِ أخينا الشيخِ أبي إسلامٍ للأحاديثِ، والتمكُّنُ منها، وسردُ الأحاديثِ الطويلةِ جداً من ذاكرتهِ، مع حُسنِ إلقاءٍ على وجهٍ مؤثِّرٍ.

فازدانَ الموضوعُ والأُسلوبُ، والاختيارُ والتحليلُ ولا شكَّ أن السِّيرةَ النبويةَ هي التطبيقاتُ العمليّةُ لما يُحبُّ اللهُ ويرضى، وتجسيدٌ للمعاني والأحكامِ والأخلاقِ في الواقعِ العمليِّ، ليتحقّقَ مقامُ العبوديّةِ، وما أحوجَ النّاسَ هذه الأيامَ لأمثالِ هذه الخُطبِ، ولئن فاتَ كثيرٌ من القراءِ استماعُ هذه الخطبِ فإنها جُمِعَت -وللهِ الحمدُ- بين دفَّتَي هذا الكتابِ، ليعمَّ به النَّفعُ، وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان






بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا من يهدهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِّ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ[١].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«أنا دَعْوَةُ أبي إبراهيمَ وبِشَارةُ عِيسى، ورُؤيا أمِّي التي رأَتْ أنه خرَجَ مِنها نُورٌ أضاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»**[٢].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبيّ ﷺ يفتتح بها خُطَبه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٢٨)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٤٩)، والحاكم (٤١٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

ودعوةُ إبراهيمَ عليه السلام هي قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

وبشرى عيسى: كما أشار إليه قولُه عز وجل حاكياً عن الـمسيح عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف].

وقوله: «**وَرُؤيا أمّي التي رأت أنه خرَجَ منها نُورٌ أضاءَتْ لَهُ قُصُور الشَّام**» قالَ ابنُ رجبٍ: خروجُ هذا النورِ عندَ وضعهِ إشارةٌ إلى ما يجيءُ به من النّورِ الذي اهتدى به أهلُ الأرضِ، وزالَ به ظلمةُ الشِّركِ منها، كما قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة][1].



وقالَ ابنُ كثيرٍ: وتخصيصُ الشَّامِ بظهورِ نورِه إشارةٌ إلى استقرارِ دينِه وثبوتِه ببلادِ الشام، ولهذا تكونُ الشامُ في آخرِ الزّمانِ معقلاً للإسلامِ وأهلِهِ، وبها ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ بدمشقَ بالمنارةِ الشَّرقيّةِ البيضاءِ منها، ولهذا جاءَ في الصَّحيحَينِ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يَضرُّهم من خذلَهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم كذلك**»، وفي صحيح البخاري: «**وهم في الشّام**»[2].

وهذه الفِرقةُ النّاجيةُ الـمنصورةُ هي التي عَرفَت ربَّها فعبدَتْه ولم تُشرِكْ به

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (٨٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) واللفظ لمسلم. وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤).

شيئاً استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] وعرفت رسولَها فاتَّبعَتْه وتأسَّت به ولم تبتدِعْ في دينِ اللهِ استجابةً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وعرفَتْ أصحابَ رسول الله ﷺ فسلكت منهجهم وسبيلهم استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ولقوله ﷺ: «**وستفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّهم في النّارِ إلَّا واحدةً**» قيل: وما هي يا رسول الله؟! قال: «**هي التي تكونُ على ما أنا عليه اليومَ وأصحابي**»(١).

فالنجاةُ يا عبادَ اللهِ في توحيدِ اللهِ في العبادةِ، وتوحيدِ رسولهِ ﷺ في الاتِّباعِ، وتوحيدِ الصّحابةِ رضي الله عنهم في المنهجِ والفهمِ.

وانطلاقاً مِنْ قولهِ تعالى على لسانِ هودٍ ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

وقوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصيحةُ**»، قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ ولكتابِه ولرسولهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتِهم**»(٢).

وقوله ﷺ: «**الدالُّ على الخيرِ كفاعلِه**»(٣).

منذُ عشرينَ عاماً أو يزيدُ(٤) وأنا في مسجدِ إبراهيم الحاجِّ حسن (عمان/ الأردن) أركّزُ في خُطَبِ الجمعةِ على العقيدةِ الصَّحيحةِ وسيرةِ رسولِ اللهِ ﷺ وسيرةِ الصَّحابةِ الكرامِ رضي الله عنهم.

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٤، ١٤٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٦٠)].

(٤) مع التنويه أن هذا الكلام كان على طبعة الكتاب الأولى قبل تسع سنوات.



ففي العقيدةِ ألقيتُ مجموعةً من خُطبِ الجمُعةِ بعنوانِ «**العقيدةُ أولاً لو كانوا يَعلمونَ**» وقد خَرجَت بفضلِ اللهِ وكرمه إلى الوجودِ كتاباً في أربعةِ مجلداتٍ.

ثم بعدَها ألقيتُ مجموعةً من الـخُطب بعُنوانِ «**ثمرات الإيمان**» وخرجَت إلى الوجودِ في مجلدٍ واحدٍ بعُنوانِ «**أحسنُ البيانِ من مواقفِ أهلِ الإيمانِ**».

ثم ألقيتُ بعدَها مجموعة من الـخطب بعنوانِ «**الدُّعاءُ النّافعُ**» وهي تـحتَ الطَّبعِ يسَّرَ الله خروجَها في مجلدٍ واحدٍ أيضاً[1].

ثم انتقلتُ من العقيدةِ إلى سيرةِ الرَّسولِ ﷺ: فألقيتُ مجموعةً من الـخُطبِ في سيرةِ النَّبيِّ ﷺ وستـخرجُ قريباً بإذنِ اللهِ تعالى إلى الوجودِ مجلداً واحداً بعنوانِ «**سبلُ السَّلام من صحيحِ سيرةِ خيرِ الأنامِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام**» وهي كتابُنا هذا الذي بينَ أيديَكُم.

ثم انتقلْتُ منْ سيرة رسول الله ﷺ إلى سيرةِ أصحابهِ الكرام رضي الله عنهم، الذينَ اختارَهم اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنُصرةِ دينه، ونحنُ ما زِلنا بصدَدِ الحديثِ عنها.

واللهَ أسألُ أن يتقبلَ عَمَلي خالصاً لوجههِ، وأن ينفعَني به يومَ القيامةِ ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.



وكتب
أبو إسلام
صالح بن طه عبدالواحد
إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
عمان-الأردن
٢٣ من شهر شعبان لعام ١٤٢٤ من الـهجرة
الموافق ١٩ تشرين أول لعام ٢٠٠٣ ميلادي

(١) وقد طبعت سنة ١٤٢٥هـ، وستطبع محققة بحلة جديدة عن قريب بإذن الله تعالى.





ثمار دراسة السيرة النبوية

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ اللهِ، وخيرَ الـهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

أيها الأخوةُ عبادَ الله! موعدُنا مع سلسلةٍ جديدةٍ من الـمواعظِ بعنوانِ:

محمد رسول الله والذين معه

وقَفاتٌ تربويّةٌ مع سيرةِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابهِ الكرامِ رضي الله عنهم فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وهذا العنوانُ أخذناه من كتابِ ربِّنا، من قولهِ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وهذه الآيةُ الكريمةُ هي الآيةُ الأخيرةُ من (سورة الفتـح) التي قالَ اللهُ فيها لرسولهِ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾﴾ [الفتح:١]، وهذا اليومُ الذي نبدأ فيه هذه السِّلسلةَ من الـمواعظِ: هو اليومُ الأولُ من السَّنة الـهجريّةِ لعام ألفٍ وأربعِ مئةٍ وثلاثةٍ وعشرينَ (١٤٢٣هـ)، وهذا يومٌ يذكِّرُنا بهجرةِ النبيِّ ﷺ من مكَة إلى الـمدينةِ ليقيمَ دولةَ الإسلام في الـمدينةِ، والتي فتـحَ من خلالِـها قلوبَ العبادِ والبلادِ؛ فبهذه الـمناسبةِ -نسألُ اللهَ تباركَ وتعالى وهو الجديرُ بالإجابة- أن يجعلَ هذه السِّلسلةَ من الـمواعظِ سبباً لهجرةِ الـمسلمينَ إلى ربِّهم ليعبدوه وحدَه، ولا يشركوا به شيئاً، وإلى سُنّةِ رسولِـهم ليتَّبعوه وحدَه، ويبتعدوا عن البدعِ والخُرافات، وأنْ يعودوا إلى منهج الصَّحابة رضي الله عنهم، وأنْ يُتركوا السُّبلَ القَصيرةَ التي على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يَدْعو الناس إليه، وأن يكونَ ذلك سبباً للفتـحِ الـمُبينِ، ولنصرِ الـمسلمينَ على أعداءِ الدِّينِ، إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.



في هذه الآيةِ الكريمةِ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[الفتـح:٢٩].

يُثني ربُّنا جلَّ وعلا على رسولِه ﷺ وعلى الصَّحابةِ الكرام، ففي قولِه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ يُخبرُنا ربُّنا جلَّ وعلا عن محمدٍ ﷺ أنه رسولُه حقاً بلا شكٍّ ولا رَيبٍ، وهو خاتـمُ الرُّسلِ والأنبياءِ فلا نبيَّ بعدَه ولا رسولَ.

وفي قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ ثناءٌ من اللهِ تعالى على صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ في تعاملهِم مع الكفّارِ بالشدّةِ، ومعَ الـمؤمنينَ بالرَّحمةِ والعَطفِ، فالكافرُ -الذي هو عدوٌّ للهِ ولرسولهِ ﷺ- يُعامَلُ بشدةٍ وغِلظةٍ، والمؤمنُ

الذي رضي باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً يُعَامَلُ بالعَطفِ والرَّحمةِ والمحبّة والحَنانِ.

كيف لا؛ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحُجُرات:١٠]

الأخوةُ رابطةٌ قويةٌ؛ تَربِطُ المؤمنينَ بعضَهم ببعضٍ.

ويُبيِّنُ ﷺ قوّةَ هذه الرّابطةِ.

فيقولُ ﷺ: «**الْمُؤمِنُ لِلْمُؤمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(١).

ويقولُ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

فإذا نظَرْنا يا عبادَ الله! إلى أحوالِ المسلمينَ الآن، فإنّه ينطبقُ علينا العكسُ تماماً إلّا من رَحِمَ ربِّي، رحماءُ مع الكفّارِ أشداءُ فيما بينَنا وَإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

وفي قولهِ تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾

يبيِّنُ اللهُ تباركَ وتعالى كيفَ يتعاملُ الصّحابةُ مع الخَلْقِ، فيخبرُنا كيفَ يتعاملونَ مع الخالقِ؛ فهم يتقرَّبونَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بالأعمالِ الصّالحة ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وفي موضعٍ آخرَ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾[الفرقان].

ماذا يريدونَ بهذه العبادةِ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ يريدونَ بعبادتهم وجهَ الله، يريدونَ بعبادتهم رضا الله والجنةَ، إيمانٌ صادقٌ، أعمالٌ صالحةٌ، إخلاصٌ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم(٢٥٨٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم(٢٥٨٦)، واللفظ لمسلم.



للهِ عزَّ وجلَّ. فظهرَ ذلكَ على وجوهِهم، قالَ تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ انظر إلى أيِّ رجلٍ في صلاةِ الفجرِ باتَ للهِ ساجداً وقائماً ترى النّورَ يعلو وجهَه، وانظر إلى أيِّ رجلٍ تركَ الصَّلاةَ وأكلَ الرِّبا وباتَ على معصيةِ اللهِ تَرى على وجهِهِ السَّوادَ والغَبرَة، ثم يُخبرُ ربُّنا جلَّ وعلا أنّ مثَلَ الصّحابةِ هذا موجودٌ في التَّوراةِ قبلَ تحريفِها ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ انظر إلى النّباتِ كيف يبدأُ صغيراً ثم يكبُرُ، ثم يُخرجُ شطأه -أي فراخَه- ثم يُثمِرُ ويُعجِبُ الزُّرّاعَ حينَذاك.

فالصحابةُ بدأوا قلّةً ثم كثُروا ثم قامَت لهم قائمةٌ، ثم كانت لهم دولةٌ فغاظوا بذلكَ الكفّارَ، وفتحوا الدُّنيا من مشرقِها إلى مغربِها؛ ولذلك وعدَهم اللهُ تعالى بالمغفرةِ والأجرِ العظيمِ.

فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

وهنالك سؤال:

ما هي الفائدةُ من دراسةِ سيرةِ النّبيِّ ﷺ، وسيرةِ أصحابِهِ الكرامِ رضي الله عنهم؟

الفوائدُ من دراسةِ السّيرةِ النبويةِ وسيرةِ الصّحابةِ رضي الله عنهم كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً، ومنها:

الفائدة الأولى: معرفةُ أسبابِ نزولِ كثيرٍ من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبوية. وهذا مما يُعينُ على فهمِهما والاستنباطِ منهما أو معايشةِ أحداثِهما.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البقرة] قالوا إنها: نزلت في صُهَيب الرُّوميِّ رضي الله عنه عندما أرادَ الهِجرَةَ فقالَ له كُفّارُ قُريشٍ: «أَتَيْتنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فَكَثُرَ مَالُك عِنْدَنَا،

وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْت، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِك وَنَفْسِك، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْت لَكُمْ مَالِي أَتُخْلُونَ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ فَإِنِّي جَعَلْت لَكُمْ مَالِي. قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ**»، ونزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[1].

وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كلِّ مجاهدٍ في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

الفائدة الثانية: معرفةُ الطريقِ الذي يُوصِلُ إلى رضا اللهِ والجنّةِ ويتمثَّلُ فيما يلي:

أولاً: في عبادةِ الله وحدَه والابتعادِ عن الشِّرك.

ثانياً: في اتّباعِ النبيِّ وحدَه والابتعادِ عن البدعِ والخُرافات.

ثالثاً: في سلوكِ منهجِ الصّحابةِ الكرامِ والابتعادِ عن سُبُلِ الشّيطان.

والصحابةُ رضي الله عنهم ضَربوا لنا مثلاً أعلى في عبادتِهم للهِ، وفي اتِّباعِهم للنبيِّ ﷺ، وقد جاءت أدلّة في الكتاب والسُنّة تأمر المسلمين أن يسلكوا منهج الصحابة؛ لأنهم قوم رضي الله عنهم ورضُوا عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾



(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٢٩٦)، والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (٦٧٩-بغية)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥١)، والحاكم (٥٧٠٠)، [فقه السيرة للغزالي (ص١٦٦)، تخريج الشيخ الألباني].



[التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

ويقولُ ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

ويقولُ ﷺ: «.. **فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْـمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٢).

فعندما ندرسُ سيرةَ النبيِّ ﷺ وأصحابِه يتبيَّنُ لنا الطريقُ الذي يُوصِلُ إلى رضا اللهِ والجنة.

الفائدة الثالثة: يعرف المسلمون من أين ينطلقون وكيف يبدؤون.

فالرسولُ ﷺ بُعثَ في الناسِ وهم في ضلالٍ مُبين، يَعبدونَ الأصنامَ ويأكلونَ الـميتةَ، ويأتونَ الفواحشَ، ويقطعونَ الأرحامَ، والقويُّ يأكلُ الضَّعيفَ، ويشربونَ الـخمرَ. منْ أين بدأَ النبيُّ ﷺ دعوتَه لهذا الـمجتمعِ الذي يتقلَّبُ في الضّلالِ الـمُبينِ؟

هل بدأَ بالمواجهةِ الـمسلَّحةِ فأعلنَها حَرباً وتدميراً وإرهاباً للكفارِ في مكّة؟

الجواب: لا.

هل بدأَ بدخولِ البرلـمانات النيابيّةِ والوصولِ إلى الـمناصبِ العُليا في البلادِ لتوصيلِ الإسلامِ لهم؟

الجواب: لا.

هل بدأَ ﷺ برفعِ رايةِ الجهادِ أولاً لتـحريرِ الأرضِ من أيدِي الفُرسِ والرُّوم؟

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)،وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٧)].




الجواب: لا.

هل بدأَ بثورةٍ إصلاحيّةٍ لتصحيحِ الأوضاعِ الاقتصاديّةِ والاجتماعية؟

الجواب: لا.

ولكنه ﷺ بدأَ بدعوةِ الناسِ أولاً إلى عقيدةِ التَّوحيدِ؛ إلى «لا إله إلَّاالله»؛ وهذه هي دعوةُ الأنبياءِ كلِّهم قبلَه.

كلُّ نبيٍّ قالَ لقومِه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

انظروا معي إلى السّاحةِ الإسلاميّةِ في هذه الأيام:

فريقٌ من المسلمينَ ظنّوا أنَّ المواجهةَ المسلّحةَ مع الباطلِ هي الطريقُ الصّحيحُ، فبدأوا بالقَتلِ والاغتيالاتِ والتَّفجيراتِ للمسلمِ وغيرِ المسلمِ، ومنهم من كَفَّرَ أباه وأمَّه، واستحلَّ دمَه، ومع ذلك فقد وصَلوا إلى طريقٍ مسدودٍ وضاعَتِ الثّمارُ والجُهودُ.

وفريقٌ آخرُ ظنَّ أنَّ الطريقَ الوحيدَ لقيامِ الدولةِ الإسلاميةِ هو الدخولُ في البرلماناتِ ومجالسِ الأمةِ، والوصولُ إلى المناصبِ العاليةِ في الدولةِ ومن خلالِها يخدِمونَ الإسلامَ، ومنهم مَن وَصَلَ إلى هذه المناصبِ وما وجَدنا أنهم

قَدَّموا خِدمةً للإسلامِ والمسلمينَ، إلَّاأنهم قدَّموا خدمةً لحزبِهم؛ من جمعِ الأموالِ والوصولِ إلى الـمناصبِ.

فما هو الطريق؟

الطريقُ هو طريق النبي ﷺ؛ دعوةُ الناس إلى العقيدة الصحيحة، فكم منَ الـمسلمينَ يُشرك بالله؟ وكم من الـمسلمينَ يطوف بالقبور؟ وكم من الـمسلمين يدعو غير الله؟ وكم من الـمسلمين يذبح لغير الله؟ فلا بدّ أن نبدأ بدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة أولاً.




فإن عادت الأمة إلى ربها وإلى سُنّة نبيها وإلى منهج الصحابة رضي الله عنهم فهم بذلك قد غيّروا من أنفسهم، ومن سُنن الله تبارك وتعالى التي لا تتبدّل ولا تتغير ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١].

لا بدَّ أن يبدأ التغييرُ منّا، كما أخبر النبي ﷺ فقال: «**إِذَا تَبَايَعْتُم بِالْعِينَةِ**»، -وهو نوع من أنواع الربا- «**وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(١).

وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧**﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥**﴾ [النور].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٩)، والبيهقي (٥/ ٣١٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١١)].

الفائدة الرابعة: معرفةُ أسبابِ النَّصرِ وأسبابِ الهزيمة

إذا دَرسنا السّيرةَ النبويةَ، وسيرةَ أصحابِ النبيِّ ﷺ عرَفنا أسبابَ النَّصرِ، وأسبابَ الـهزيمةِ.

فمن أسبابِ النّصر:

- الثقةُ باللهِ عزَّ وجلّ.
- التوكّلُ عليه وحدَه.
- التَّضرّعُ إليه.
- الأخذُ بالأسبابِ الـموصِلةِ إلى النَّصرِ معَ عدمِ الثقةِ بالأسبابِ.
- الإيمانُ بأنَّ النصرَ من عندِ اللهِ.

وبالمثالِ يتَّضِحُ الـمقالُ: في غزوةِ بدرٍ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال].

قلوبٌ طاهرةٌ من الشِّركِ يطلبونَ الـمدَدَ والعَونَ من اللهِ عزَّ وجلَّ وحدَه.

فكم من الـمسلمِينَ الآنَ إذا اشتدَّت بهِمُ الأمورُ يطلبُ الـمددَ من أصحابِ القبورِ؟ وهذه العقيدةُ الفاسدةُ عندَ أهلِ الضَّلالِ يقولونَ: إذا اشتدَّت عليكم الأمورُ فعليكم بأصحابِ القُبورِ -أي: استغيثوا بأصحابِ القبورِ- أما الصَّحابةُ رضي الله عنهم فإنهم طلَبوا الـمددَ من اللهِ يومَ بدرٍ؛ ولذلك امتنَّ اللهُ تباركَ وتعالى على الـمؤمنينَ بهذا النَّصرِ في يوم بدرٍ، فقالَ تعالى في موضعٍ آخرَ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران].

وفي يومِ الأحزابِ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ

ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب].

انظروا إلى الصَّحابةِ ماذا قالوا:

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].



ومن أسبابِ الهزيمة:

- حبُّ الدنيا.
- مخالفةُ الأوامرِ الشرعيةِ.

ويظهرُ ذلك يومَ أُحُدٍ، فقد بدأَتِ المعركةُ بنصرٍ كبيرٍ للمسلمينَ، وخالفَ



الرُّماةُ أمرَ رسولِ اللهِ، ونزَلوا مِن على الجبلِ فتحوَّلَ النَّصرُ إلى هزيمةٍ، فلما تعجَّبَ الصَّحابةُ لما أصابهم أنزلَ اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران].

أنتمُ السَّببُ، اللهُ أكبرُ! مخالفةٌ واحدةٌ كانَ ما كانَ من تحويلِ النَّصرِ إلى هزيمةٍ؟! نعَم، فكيفَ بنا يا أمَّةَ الإسلامِ؟ وقد فسَدَتِ العقيدةُ، وتركَ الكثيرونَ الصَّلاةَ، وأكَلنا الرِّبا، وتبرَّجَتِ النِّساءُ، وتَركْنا صلاةَ الجماعةِ، إلَّامن رَحمَ ربي.

وفي يوم حُنَين، التفَتوا إلى الكَثرةِ، وأعجَبتهُم كثرتُهم؛ فكانتِ الهزيمةُ في بدايةِ المعركةِ ولكنَّ اللهَ سلَّم.

ولذلكَ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾ [التوبة].

الفائدة الخامسة: دراسةُ سيرةِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه الكرامِ: زادٌ نافعٌ لكلِّ مسلمٍ.

فالدعاةُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ يتعلَّمون كيفَ يَدعونَ النّاسَ إلى عبادةِ اللهِ؟

والقائدُ يتعلَّم من سيرةِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ كيفَ تكونُ القيادةُ؟

والجنديُ يتعلَّم من سيرةِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ كيفَ تكونُ الجُنديّةُ؟

والمُربِّيَ يتعلَّم من سيرةِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ كيفَ تكونُ التَّربيةُ؟

فالرَّسولُ ﷺ وأصحابهُ الكرامُ ضَربوا لنا مثلاً أعلى في ذلكَ، ولذلكَ أمرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ أن نتأسَّى برسولِ اللهِ ﷺ في كلِّ شيءٍ، فقالَ تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي



رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وأَمرَنا اللهُ عزَّ وجل أن نُطيعَه في كلِّ أمر، قالَ تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة]. وقالَ تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وأخبرَنا ربُّنا جلَّ وعلا أنَّ في طاعةِ النبيِّ ﷺ الهدايةَ إلى كلِّ خير، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].



وحذَّر ربنا جلَّ وعلا المؤمنين من مخالفة أمره فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وأثنى اللهُ عزَّ وجلَّ على صحابةِ رسولهِ ﷺ وعلى من تبعَهم بإحسانٍ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

الفائدة السادسة: أن نتعلَّمَ من السيرةِ أخلاقَ النبيِّ ﷺ:

فاللهُ عزَّ وجل وصَفه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، فماذا كانَ خُلُقُه ﷺ؟



سُئِلَت عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(١).

الفائدة السابعة: نتعلَّمُ من السِّيرةِ الآياتِ والمعجزاتِ التي أيّدَ اللهُ بها نبيَّه محمّداً ﷺ.

فمثلاً عندَما طلبَ الكُفّارُ آيةً على صدقِه أنه رسولٌ، أشارَ بيدِه إلى القَمرِ فانشَقَّ نصفَينِ، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر].

ومع ذلكَ ما ازدادَ الكفّارُ إلّا طُغياناً كبيراً.

وقد وَضعَ النبيُّ ﷺ يدَه في الإناءِ ففاضَ الـماءُ من بينِ أصابعِه، إلى غيرِ ذلكَ من الـمُعجزاتِ التي نتكلَّمُ عنها في وقتِها، سائلينَ الـمولى في عُلاه أن يَنفعَنا بدراسةِ هذه السّيرةِ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه الكرام. وهذه الـمواعظُ تنقسمُ إلى قسمَينِ:

القسم الأول: دراسةُ سيرةِ النبيِّ ﷺ.

والقسم الثاني(٢): دراسةُ سيرةِ الصّحابةِ، ونبدأ بها إن شاءَ اللهُ تعالى إذا انتهَينا من الكلامِ عن سيرةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

اللهمَّ ردَّ الـمسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.



(١) **صحيح**: بهذا اللفظ، رواه أحمد (٦/ ٩١)، وهو عند مسلم (٧٤٦) بلفظ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ».

(٢) وهذا القسم سيكون في كتاب مستقل غير هذا سميته: «رجالٌ صدقوا».





صفات النبي ﷺ ونسبه

أيها الإخوةُ عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح:٢٩].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ

وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ حولَ العناصرِ التّاليةِ:

العنصر الأول: رسولُنا ﷺ أحبُّ إلينا من كلِّ شيءٍ.

العنصر الثاني: رسولُنا ﷺ أشرفُ الناسِ نَسَباً.

العنصر الثالث: رسولُنا ﷺ أحسنُ الناسِ خُلُقاً وخَلْقاً.

العنصر الرابع: أسماؤُه ﷺ كما جاءَت في الكتابِ والسُّنةِ.

العنصر الأول: رسولنا ﷺ أحبُّ إلينا من كلِّ شيء.

لأنه قالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

فمحبةُ النبيِّ ﷺ من دينِنا ومن عقيدتِنا.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسي، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ! وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَر**»[1].

فَمَحبتُنا للنبيِّ ﷺ عقيدةٌ وإيمانٌ؛ لأنَّ الله تباركَ وتعالى أخرجَنا به من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، ومن الكُفرِ إلى الإيمانِ، ومن الشِّركِ إلى التَّوحيدِ.

ونبيُّنا ﷺ أحرصُ علينا من أنفُسنا، قال ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب:٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

ولذلكَ فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ في كتابهِ يتوعَّدُ ويُفسِّقُ الذينَ يُحبّونَ الآباءَ والأبناءَ والإخوانَ والأزواجَ والعَشيرَةَ والأموالَ والتِّجارةَ والمَساكِنَ أكثرَ من حُبِّهم لله ولرسولهِ ﷺ، قالَ تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة:٢٤].

وهذه المحبةُ تَتمثَّلُ في اتباعِه ﷺ، وفي التَّمسُّكِ بسُنَّتِه، وفي نَشرِها بينَ النّاسِ.

العنصر الثاني: رسولنا ﷺ أشرف الناس نسباً

فالأنبياءُ والرُّسُلُ هم أَشرفُ النّاسِ نَسباً، وأَفضلُهم خُلُقاً وخَلْقاً؛ وذلكَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى اصطفاهُم وأرسلَهم برسالتِه إلى الناس، فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام:١٢٤].

ولـما سألَ هِرقل ملكُ الرُّوم أبا سُفيانَ بن حَربٍ عن نَسَبِ النبيِّ ﷺ فقالَ: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ»؟ فقالَ أبو سفيانَ: «هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ».

ثم قالَ هرقلُ: «سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»[(١)].

يَعني في أكرمِها أَحساباً، وأكثرِها قبيلةً صلواتُ اللهِ عليهم أجمَعين.

ورسولُنا محمدٌ ﷺ هو أَولى الأنبياءِ بكلِّ فضيلةٍ، فهو سيّدُ ولدِ آدمَ وفخرُهم في الدُّنيا والآخرةِ، تعالَوا بنا لنستَمِعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو يخبرُنا عن نسبه الشَّريفِ: يقولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[(٢)].

يقولُ العبّاسُ رضي الله عنه: بلغَ النبيَّ ﷺ بعضُ ما يقولُ النّاسُ فصَعِدَ الـمنبرَ، فقال: «**مَنْ أَنَا؟**» قالوا: أَنْتَ رَسُولُ الله، فقال ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا وَخَيْرِهِمْ نَسَبًا**»[(٣)].



---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٧٦)، وهو عند الترمذي (٣٥٣٨) بلفظ: «**وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٣٢)، وأحمد (١/ ٢١٠)، [محقق المسند].



ويقولُ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنْ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**»(١).

ويقولُ ﷺ «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، فَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»(٢). ويقول ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ**»(٣).

فرسولُنا ﷺ هو أشرفُ الناس نسباً فهو: (أبو القاسِم مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله بن عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ بنِ هَاشِم بن عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَيِّ ابْنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بن مَالِكِ بن النَّضْرِ بن كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعد بنِ عَدْنَانَ)(٤).

وعدنانُ بلا شَكٍّ من ولدِ إسماعيلَ الذَّبيحِ عليه السّلامُ وإسماعيلُ بن إبراهيمَ عليهما السلام.




العنصر الثالث: رسولُنا ﷺ أحسنُ النّاسِ خُلُقاً وخَلْقاً:

ويكفيه شهادةً في خُلُقِه أن الله تباركَ وتعالى قالَ فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤]، فمَهما تكلَّمْنا عن أخلاقِ النَّبيِّ ﷺ فلا نُعطيه حقَّه، ولـما سُئلَت عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رسولِ الله ﷺ قالت: «**أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ... فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ**»(٥).

«ومن دراسةِ سيرتِه وقراءةِ الأحاديثِ النَّبويةِ في صفاتِهِ الـخُلُقِيّةِ تُطالِعُنا صُوَرُ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٧).

(٢) **حسن**: رواه السهمي في تاريخ جرجان (ص٣٦٢)، [«صحيح الجامع» (٣٢٢٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٧) دون قوله (ولا فخر) وهي عند الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه(٤٣٠٨)، وهي زيادة صحيحة كذلك، [«صحيح السيرة» (١٢)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٨٨).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

التَّواضُع الـمُقتَرِن بالمَهابَةِ، والحياءِ الـمُقتَرِنِ بالشَّجاعةِ، والكَرَم الصّادقِ البَعيد عن حُبِّ الظُّهورِ، والأمانةِ الـمَشهورةِ بينَ النّاسِ، والصِّدقِ في القَولِ والعَمَلِ، والزُّهد في الدُّنيا عندَ إقبالِـها، وعَدَمِ التَّطَلُّعِ إليها عندَ إدبارِها، والإخلاصِ للهِ في كلِّ ما يَصدُرُ عنه، معَ فَصاحةِ اللِّسانِ وثَباتِ الجَنانِ، وقُوّةِ العَقلِ، وحُسنِ الفَهمِ، والرَّحمةِ للكبيرِ والصَّغيرِ، ولِينِ الجانبِ ورِقّةِ الـمشاعِرِ وحُبِّ الصَّفحِ والعَفوِ عن الـمُسيءِ، والبُعدِ عن الغِلظَةِ والجَفاءِ والقَسوةِ، والصَّبرِ في مَواطنِ الشِّدّةِ والجُرأةِ في قولِ الحَقّ»[1].

يقولُ أنسٌ ﵁: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا[2].

ويقولُ أيضاً ﵁: مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ رسولِ الله ﷺ[3].

ويقولُ كذلك: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا لِـمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ؟[4].

وتقولُ عائشة ﵂: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا[5].

وتقولُ ﵂: مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِى سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَىْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَىْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[6].

(١) «السيرة النبوية الصحيحة»، أكرم ضياء العمري (ص ٨٩).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) واللفظ للبخاري.
(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).
(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨).




أما صفاتُه ﷺ الـخَلْقية؛ فقُل في ذلك ما شِئتَ، ويَكفيه أنّ أعداءَهُ لم يجدوا في خِلْقَتِه عَيباً واحداً يَعيبُونَه به، فكانَ ﷺ من أحسنِ النّاسِ خُلُقاً وخَلْقاً.

وتعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى أصحابِه رضي الله عنهم وهم يَصِفونَ لنا رسولَ الله ﷺ:

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه في وَصفِ رسولِ الله ﷺ: كَانَ رَبْعَةً مِنْ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجِلٍ، أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَّلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ[(١)].

ويقولُ البراءُ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُم خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ[(٢)].

وسُئِلَ البراءُ: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ[(٣)].

ويقولُ كعبُ بن مالك رضي الله عنه وهو يُحدِّثُ عن تَـخلُّفه عن غَزوةِ تبوك: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ[(٤)].



ويقولُ أبو سعيد الـخدريُّ رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا[(٥)].

ويقولُ عليٌّ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، ضَخْمُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، مُشْرَبٌ وَجْهُهُ حُمْرَةً، طَوِيلُ الْـمَسْرُبَةِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ[(٦)].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٢).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٦).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٢٧)، وابن سعد (١/ ٤١١)، والحاكم (٢/ ٦٦٢)، [«مختصر الشمائل» (٤)].



العنصر الرابع: أسماؤه ﷺ:

يخبرنا ﷺ فيقول: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْـمَاحِى الَّذِى يُمْحَى بِىَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِى وَأَنَا الْعَاقِبُ**» وَالْعَاقِبُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ[(١)].

ويقول أبو موسى الأشعريُّ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْـمُقَفِّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[(٢)].

وقالَ البيهقيُّ: وزادَ بعضُ العُلـماءِ فقالَ: «سمّاه الله في القرآنِ رسولاً، نبيّاً، أميّاً، شاهِداً، مُبَشِّراً، نَذيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه، وسِراجاً مُنيراً، ورؤوفاً، رحيماً، ومُذكِّراً، وجَعَلَه رحمةً، ونعمةً وهادياً»[(٣)].

ومن أسمائِه ﷺ: «الـمُذكِّرُ، والرَّحمةُ، والنِّعمةُ، والـهادي، والشَّهيدُ، والأمينُ، والـمُزَّمِّلُ، والـمُدَّثِّرُ».

عباد الله! ومن أسمائِه أيضاً: «الـمُختارُ، والـمُصطفى، والشَّفيعُ، والـمُشفَّعُ، والصّادقُ الـمَصدوقُ»[(٤)].

وما هي أحوالُ النّاسِ في مكةَ قبلَ مولِدِه ﷺ؟ وما هي الأحداثُ العظامُ التي حدثَت قبلَ مولِدِه ﷺ؟

هذا ما نَعرِفُه في الجُمعة القادمةِ.

اللهمَّ ردَّ الـمسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٣) «صحيح السيرة النبوية» (ص٩) للألباني.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦٤٣-٦٤٤) تحت حديث رقم (٣٥٣٣).





الأحداث العظام التي سبقت ميلاد النبي ﷺ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الحبيبِ محمدٍ ﷺ، وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: أحوالُ مكّةَ قبلَ بَعثةِ النبيِّ ﷺ.

العنصر الثاني: الأحداثُ العِظامُ التي سَبَقَت ميلادَ النَّبيِّ ﷺ.

العنصر الثالث: دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

العنصر الأول: أحوالُ مكةَ قبل مولدِ النبي ﷺ وقبل بَعثته.

الناسُ في مكّةَ قبلَ بَعثةِ النبيِّ ﷺ كانوا في ضلالٍ مُبينٍ؛ يَتقلّبونَ في ظُلماتِ الشِّركِ والجَهلِ.

واللهُ تباركَ وتعالى أخبرَنا بأحوالِ النّاسِ قبلَ بَعثةِ النَّبيِّ ﷺ فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

ورسولُنا ﷺ يخبرُنا بأحوالِ النّاسِ قبلَ بعثتِهِ فيقولُ ﷺ: «**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي**





أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.. الحديث»[١].

وها هو الصَّحابيُّ الجليلُ جعفرُ بنُ أبي طالب ﵁ يصوِّرُ لنا أحوالَ النّاسِ في مكّةَ قبلَ بَعثةِ النَّبيِّ ﵁، فيقولُ للنَّجاشيِّ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْـمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ[٢].

فالناسُ في حاجةٍ إلى أن يُرسِلَ اللهُ تباركَ وتعالى إليهم رسولاً يُخرِجُهم من هذه الظُّلُماتِ التي يَتقلَّبونَ فيها.

العنصر الثاني: الأحداث العظام التي سبقت ميلاد النبي ﷺ

أولُ هذه الأحداث: قصةُ حفرِ عبدِالمطَّلبِ لزمزمَ، والذي يُخبِرُنا بهذه القصّةِ هو الصَّحابيُّ الجليلُ عليُّ بنُ أبي طالب ﵁ فيقولُ: قَالَ عَبْدُ الْـمُطَّلِبِ: إِنِّي لَنَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ احْفِرْ طَيْبَةَ. قَالَ: قُلْت: وَمَا طَيْبَةُ؟ قَالَ: ثُمّ ذَهَبَ عَنّي، فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفِرْ بَرّةَ، قَالَ: وَمَا بَرّةُ؟ قَالَ: ثُمّ ذَهَبَ عَنّي، فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْت إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «فقه السيرة» (ص٣٤) للغزالي، تحقيق شيخنا الألباني رحمه الله.




فَقَالَ: احْفِرْ الْـمَضْنُونَةَ، قَالَ: فَقُلْت: وَمَا الْـمَضْنُونَةُ؟ قَالَ: ثُمّ ذَهَبَ عَنّي، فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفِرْ زَمْزَمَ، قَالَ: قُلْت: وَمَا زَمْزَمُ؟ قَالَ: لَا تَنْزِفُ أَبَدًا وَلَا تُذَمّ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدّم، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ، عِنْدَ قَرْيَةِ النّمْلِ.

فَلَمّا بُيّنَ لَهُ شَأْنُهَا، وَدُلّ عَلَى مَوْضِعِهَا، وَعَرَفَ أَنّهُ صُدّقَ غَدَا بِمِعْوَلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطّلِبِ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ غيرُه فحضرَ فيها فلما بَدَا لِعَبْدِ الْـمُطّلِبِ الطّيّ كَبّرَ فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ، فَقَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْـمُطّلِبِ، إنّهَا بِئْرُ أَبِينَا إسْمَاعِيلَ، وَإِنّ لَنَا فِيهَا حَقّا فَأَشْرِكْنَا مَعَك فِيهَا؛ قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلِ إنّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ دُونَكُمْ وَأُعْطِيته مِنْ بَيْنِكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: فَأَنْصِفْنَا فَإِنّا غَيْرُ تَارِكِيك حَتّى نُخَاصِمَك فِيهَا، قَالَ: فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَنْ شِئْتُمْ أُحَاكِمْكُمْ إلَيْهِ قَالُوا: كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ، قَالَ: نَعَمْ،قَالَ: وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشّامِ. فَرَكِبَ عَبْدُ الْـمُطّلِبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَرَكِبَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرٌ. قَالَ: وَالْأَرْضُ إذْ ذَاكَ مَفَاوِزُ. قَالَ: فَخَرَجُوا حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ تِلْكَ الْـمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشّام، فَنِيَ مَاءُ عَبْدِ الْـمُطّلِبِ وَأَصْحَابِه فَظَمِئُوا حَتّى أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ فَاسْتَسْقَوْا مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ. وَقَالُوا: إنّا بِمَفَازَةٍ وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ، فَلَمّا رَأَى عَبْدُ الْـمُطّلِبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ وَمَا يَتَخَوّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِه. قَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: مَا رَأْيُنَا إلّا تَبَعٌ لِرَأْيِك، فَمُرْنَا بِمَا شِئْت؛ قَالَ: فَإِنّي أَرَى أَنْ يَحْفِرَ كُلّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِكُمْ الْآنَ مِنْ الْقُوّةِ فَكُلّمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَتِهِ ثُمّ وَارَوْهُ، حَتّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا، فَضَيْعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا، قَالُوا: نِعْمَ مَا أَمَرْتَ بِهِ.. فَقَامَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حُفْرَتَهُ ثُمّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْـمَوْتَ عَطَشًا، ثُمّ إنّ




عَبْدَ الْـمُطّلب قَالَ لأَصْحَابه: وَاَللّهِ إنّ إلْقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا لَعَجْزٌ، فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلَادِ، ارْتَحِلُوا، فَارْتَحَلُوا. حَتّى إذَا فَرَغُوا، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ يَنْظُرُونَ إلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ تَقَدّمَ عَبْدُ الْـمُطّلب إلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا. فَلَمّا انْبَعَثَتْ بِهِ انْفَجَرَتْ مِنْ تَحْت خُفّهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ فَكَبّرَ عَبْدُ الْـمُطّلِبِ وَكَبّرَ أَصْحَابُهُ، ثُمّ نَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَصْحَابُهُ وَاسْتَقَوْا حَتّى مَلَئُوا أَسْقِيَتَهُمْ ثُمّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: هَلُمّ إلَى الْـمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللّهُ فَاشْرَبُوا وَاسْتَقُوْا، فَجَاءُوا فَشَرِبُوا وَاسْتَقَوْا. ثُمّ قَالُوا: قَدْ وَاَللّهِ قُضِيَ لَكَ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْـمُطّلِبِ، وَاَللّهِ لَا نُخَاصِمُكَ فِي زَمْزَمَ أَبَدًا، إنّ الّذِي سَقَاك هَذَا الْـمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَاةِ لَهُوَ الّذِي سَقَاك زَمْزَمَ، فَارْجِعْ إلَى سِقَايَتِك رَاشِدًا. فَرَجَعَ وَرَجَعُوا مَعَهُ وَلَمْ يَصِلُوا إلَى الْكَاهِنَةِ وَخَلّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا[١].



حدثٌ عظيمٌ وما منكم إلّا وقد شَرِبَ من هذا البئرِ، بئرٌ لا ينضُبُ أبداً، فهو يَتدَفَّقُ بأمرِ اللهِ سبحانَه وتعالَى يسقي الحَجيجَ.

ومن الأحداث التي حدثت قبل مولد النبي ﷺ.

قصة نذر عبدالمطلب بأن ينحر أحد أبنائه.

عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال:.. كانَ عبدُالمطَّلبِ بنُ هاشم نَذَرَ إن تَوافى له عَشرةُ رهطٍ -أي أعطاه اللهُ عَشرةَ أولادٍ- أن يَنحرَ أحدَهم، فلـما تَوافى له عَشرةٌ، أَقرعَ بينَهم أيُّهم ينحرُ، فطارَتِ القُرعةُ على عبدِ اللهِ بن عبدِ الـمطلب والدِ رسولِ اللهِ ﷺ وكانَ أحبَّ الناس إلى عبدِالمطلب، فقالَ عبدُالمطَّلبِ: اللهمَّ هو أو مئةً من الإبل، ثم أقرعَ بينَه وبينَ الإبلِ، فطارَتِ القُرعةُ على المئةِ من الإبلِ[٢].

(١) انظر «مغازي ابن إسحاق» (ص٣)،«سيرة ابن هشام» (١/ ١٧٩-١٨١)، «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٩٣)، «وقفات تربوية» «السيرة النبوية الصحيحة».

(٢) «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (ص٩٣).



والحادثُ يوحي بما خَطَّهُ القدرُ الإلهيُّ من ميلادِ النَّبيِّ ﷺ من أبيه عبدِالله بنِ عبدِالمطلِبِ، فقد حَفِظَ اللهُ حياةَ عبدِ اللهِ بما صَرفَ عبدَالمطَّلبِ عن نحرِه.

وتزوَّج عبدُاللهِ بنُ عبدِالمطَّلبِ من آمنةَ بنتِ وَهْبِ بن عبدِ منافِ بن زُهرةَ بن كلابٍ، وحَملَت آمنةُ برسولِ الله ﷺ.

ومن الأحداثِ العظامِ التي سبقَت مَولِدَ النبيِّ ﷺ، قصَّةُ أصحاب الفيل، وهذه القصّةُ مشهورةٌ تَعرفونَها وقد ثبتَت في الكتابِ والسُّنّة: قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾[سورة الفيل].

قالَ ابنُ كثير رحمه الله: هذه من النِّعم التي امتنَّ اللهُ بها على قريشٍ فيما صَرَفَ عنهم من أصحابِ الفيلِ، الذين كانوا قد عَزَموا على هدم الكعبةِ ومحوِ أثَرِها من الوُجودِ، فأبادَهم اللهُ وأرغَمَ أنوفَهم وخيَّبَ سعيَهم وأضلَّ عملَهم، وردَّهم بشرِّ خَيبةٍ، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينُهم إذ ذاك أقربَ حالاً مما كانَ عليه قريشُ من عبادةِ الأصنام، ولكن كان هذا من باب الإرهاصِ والتَّوطئَةِ لَمبعثِ رسولِ الله ﷺ؛ فإنه في ذلكَ العامِ وُلِدَ على أشهَرِ الأقوالِ. ولكنَّ اللهَ لم يَنصُر قريشاً على الحبَشةِ لِخيرتِهم عليهم بل صيانةً للبيتِ العتيقِ الذي شَرَّفه اللهُ وعظَّمَه ووقَّرَه ببَعثةِ خاتَـمِ الأنبياءِ محمدٍ ﷺ[1].

وقد جاءَتِ الأحاديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ تُشيرُ إلى قصّةِ الفيلِ؛ فمنها:

قال ﷺ: «**فَضَّلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ:**

فَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللهَ عَشْرَ سِنِينَ، لَا يَعْبُدُهُ إِلَّا قُرَشِيٌّ.

وَفَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُ نَصَرَهُمْ يَوْمَ الْفِيلِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ.

(١) «تفسير ابن كثير».

وَفَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُمْ نَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش].

وَفَضَّلَهُمْ بِأَنَّ فِيهِمُ النُّبُوَّةَ.

وَالْخِلَافَةَ.

وَالْحِجَابَةَ.

وَالسِّقَايَةَ»(١).

الشّاهدُ: أنه نَصرَهُم سبحانَه وتعالى على أصحابِ الفيلِ وهم مشركونَ.

ولـما خَرجَ النبي ﷺ زمنَ الحُديبيةِ سارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ - كلمةٌ تُقالُ للنّاقةِ إذا تَركَتِ السَّيرَ -فَأَلَحَّتْ- أي تـمادَتْ على عدم القيام والإلحاح فَقَالُوا: خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ -أي حرنت- فقالَ النبي ﷺ: «**مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**»(٢).

ولـما فتـحَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِه مكّةَ قامَ في الناس فحَمدَ اللهَ وأثنى عليهِ، وقالَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ**»(٣)، وفي ذلك إشارة إلى قصّةِ أصحابِ الفيلِ.

العنصر الثالث: دروس وعظات وعبر.

ونقولُ على سبيلِ الاختصار:

أولاً: الكعبةُ هي بيتُ اللهِ وهي أولُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ، مَن حاولَ أن يعتديَ عليها



(١) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٩١٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٤٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥).



أهلكَه اللهُ عزَّ وجلَّ.

قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [الفيل]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج:٢٥].

ولذلك نقولُ لأعداءِ الإسلامِ ولكلِّ من يُحاولُ أو تُسوِّلُ له نفسُه أن يُفكِّرَ أن يَعتديَ على مُقَدَّساتِ المسلِمينَ أو على بيتِ الله؛ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى له بالمِرصادِ.

ثانياً: الكعبةُ هي قبلةُ المسلمينَ، والنبيُّ ﷺ هو إمامُ المُتَّقينَ.

فانظروا **عبادَ الله!** كيفَ حَفِظَ الله تباركَ وتعالى الكعبةَ من أصحابِ الفيلِ؛ لأنها ستكونُ بعدَ بَعثةِ النبيِّ ﷺ القبلةَ التي يتوجَّه إليها المسلمونَ في صلاتِهم فحَفِظَها تباركَ وتعالى.



النبيُّ الكريمُ هو الذي يقودُ البَشَريّةَ إلى سَعادةِ الدُّنيا والآخِرة؛ ولذلكَ إذا أرادَ اللهُ شيئاً هيّأَ له الأسبابَ، فمن الذي حَفِظَ عبدَالمطَّلبِ وهو في الصَّحراءِ أن يموتَ عَطَشاً؟ إنه هو الله؛ لأنه سَيُخرِجُ من هذا الرَّجلِ عبدَالله، وهو والدُ النبيِّ ﷺ.

ومن الذي حَفِظَ عبدَاللهِ من النَّحر والذَّبح؟ إنه هو الله؛ لأنه سَيُخرِجُ من هذا الرَّجل رسولَ اللهِ ﷺ الذي سعادةُ البشَريةِ تَتوقَّفُ على إرسالِه، والذي يُخرجُ الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذنِ ربِّهم، فاعتبروا يا أُولي الأبصارِ! وتَشرَّفوا بأنكم تَنتمونَ إلى هذا الدِّينِ العَظيمِ، وأنكُم من أتباعِ سيِّدِ ولدِ آدمَ، وهو محمدٌ ﷺ.

عباد الله! ها هو رسولُنا ﷺ في بَطنِ أمِّه في حفظِ اللهِ ورعايتِه، في أيِّ عامٍ وُلِدَ؟ وكيفَ وُلِدَ؟ وأينَ وُلِدَ؟ وكيفَ تَربّى؟ وأين تَربّى؟ وما هي الآياتُ



السّاطعاتُ التي ظَهَرت عندَما وَضعَته أمُّه، هذا الذي نَعرِفُه في الجُمَعِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّبَاعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابَه.





٤

الآيات الجسام التي ظهرت ليلة مولده ﷺ

أيها الإخوة عباد الله! يقول الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الحبيبِ محمدٍ ﷺ.




وفي هذا اللقاءِ رسولُنا ﷺ يُخبِرُنا عن نفسِه:

جاءَ نفرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقالوا له: يا رسولَ الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: «**نَعمْ! أنا دَعْوَةُ أَبي إِبْرَاهِيمَ وَبشَارَةُ عِيسَى قَوْمَهُ وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»(١).

فمعَ هذا الحديثِ، نعيشُ وإياكُم هذا اليومَ.

وفي قولِه ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**».

تعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ -هناكَ عندَ الكعبةِ- وهو يدعو بهذه الدَّعوةِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

(١) **صحيح**: هذا لفظ ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٠) رواه عن خالد بن معدان مرسلاً، والحديث رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة، و(٤/ ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

دعا إبراهيمُ عليه السَّلامُ، ومرَّتِ الأيامُ والأعوامُ وقد استجابَ اللهُ تعالى دعوتَه، وبعثَ في الأُميِّينَ؛ أي في العَربِ، رسولاً منهم، كما قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

وفي قوله ﷺ: «**وبشارة عيسى**»، أي: وأنا بُشرى عيسى عليه السَّلامُ، فها هو عيسى عليه السَّلامُ يُبشِّرُ أُمَّتَه برسولِنا ﷺ، واللهُ تباركَ وتعالى يُخبرُنا بذلكَ في كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

وأهلُ الكتابِ من اليهودِ والنَّصارى يعلمونَ ذلكَ، وكانوا ينتظرونَ أن يَخرُجَ النَّبيُّ منهم، فلـما خَرجَ من العَربِ حَسَدوهم على ذلكَ وكفروا به، فإنهم يَعرفونَ الحقَّ كما يَعرفونَ أبناءَهم، فلـما جاءَهُم رسولُنا ﷺ بالبيِّناتِ؛ قالوا هذا سِحرٌ مُبينٌ.

ويقول ﷺ: «**ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاء له قصور الشام**».

لـما نَجا عبدُاللهِ بنُ عبدِالمطلبِ من الذَّبحِ وفَداه عبدُالمطلب بمئةٍ من الإبلِ زوَّجَه من أشرفِ نساءِ مكةَ نَسَباً، وهي آمنةُ بنتُ وَهْبٍ، ولـما حَمَلَت آمنةُ برسولِ اللهِ ﷺ، سافرَ عبدُالله بنُ عبدِالمطلبِ للتِّجارةِ، فأدركَته منيَّتُهُ وهو راجعٌ من سَفَره بالمدينةِ فدُفِنَ بها عندَ أخوالِه «بني عَديِّ بنِ النَّجّارِ» ولم يَرَ الرَّسولُ ﷺ أباه.




وُلِدَ ﷺ يتيماً يومَ الإثنينِ من شَهرِ ربيعٍ الأول.

قالَ أعرابيٌّ: يا رسولَ الله! ما تقولُ في صومِ يومِ الإثنين؟ فقال ﷺ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»(١).

وكان مولدُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عامَ الفيلِ وهو الـمُجمَعُ عليه.

عن قيسِ بن مَخرَمَةَ قال: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ الله ﷺ عَامَ الْفِيل(٢).

وأما الآياتُ التي ظَهَرت ليلةَ مولدِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ:

عن حَسّانَ بن ثابتٍ رضي الله عنه قال: وَاللهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ -أي: إذا شبَّ ولم يَبلغ- ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ كُلَّ مَا سَمِعْت، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيّا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أَطَمَةٍ بِيَثْرِبَ، يَا مَعْشَرَ يَهُود! حَتّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَك؟ قَالَ: طَلَعَ اللّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الّذِي وُلِدَ بِهِ(٣).





تَرقُّبٌ بدقةٍ من اليَهودِ من قبل أن يُولَدَ رسولُ الله ﷺ، وبَعدَ أن وُلِدَ رسولُ الله ﷺ، وبعد أن بُعِثَ ﷺ واليهود يَحسُدونَ العربَ على ما مَنَّ اللهُ تباركَ وتعالى عليهم ببَعثةِ هذا الرَّسولِ الكريم.

وعن أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنه قال: قالَ زيدُ بن عمرو بن نُفَيل: قال لي حَبرٌ من أحبارِ الشّام: قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ فَارْجِعْ فَاقْصِدْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِهِ(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (رقم ١١٦٢).

فائدة: وفي هذا بيان للاحتفال الشرعي بمولده ﷺ وهو صوم يوم الاثنين، وليس كما يفعل الـمبتدعة من الاحتفال السنوي بمولده ﷺ وما يكون فيه من مخالفات شرعية.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦١٩)، وأحمد (٤/ ٢١٥)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٣)].

(٣) **حسن**: رواه الحاكم (٣/ ٥٥٤)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٠٩-١١٠)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤)].

(٤) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤)].

ومن الآياتِ التي ظَهرت عندَ ولادتِه ﷺ، أنَّ أمَّه رأت نوراً خَرجَ منها أضاءَت لـه قُصورُ الشَّام، كما قال ﷺ: «**وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»(١).

قالَ ابنُ رجبٍ رحمَه الله: (وخروجُ هذا النُّورِ عندَ وضعِهِ إشارةٌ إلى ما يَجيءُ به من النُّور الذي اهتدى به أهلُ الأرضِ وأزالَ به ظلمةَ الشِّركِ منها، كما قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة:١٥-١٦]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾[الأعراف:١٥٧](٢).

وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٦].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾[الصف:٨-٩].

وفي قوله ﷺ: «**أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»).



(١) هذا لفظ ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٠) رواه عن خالد بن معدان مرسلاً، و رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة، و(٤/ ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

(٢) «لطائف المعارف» (٨٩).

قالَ ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وتـخصيصُ الشّام بظُهورِ نورِه إشارةٌ إلى استقرارِ دينِه وثُبوتِهِ ببلادِ الشَّام؛ ولهذا تكونُ الشّامُ في آخرِ الزَّمانِ مَعقِلاً للإسلام وأهلِه، وبها يَنزِلُ عيسى ابنُ مريمَ ليكسرَ الصَّليبَ ويَقتُلَ الـخنزيرَ ويضعَ الجزيةَ ويَحكُمَ في النَّاسِ بشَريعةِ الإسلام، ولهذا جاءَ في «الصَّحيحين» عن رسولِ الله ﷺ قال: **«لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»**(١).



والشَّامُ اليومَ هي: أرضُ فلسطينَ والأردنِ وسوريا ولبنانَ وجزءٌ من العراقِ، وهذه أرضٌ مباركةٌ قد باركَ الله فيها في كتابِه الكريم في ثلاثةِ مواضِعَ:

الموضع الأول: قالَ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

الموضع الثاني: قالَ تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء:٧١].

الموضع الثالث: قالَ تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء:٨١].

قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ: الأرضُ التي بارَكنا فيها، يعني: الشّام.

وقد جاءَتِ الأحاديثُ النَّبويةُ الكثيرةُ تُـخبرُ عن فضائلِ الشَّام.

يقول ﷺ: **«طُوبَى لِلشَّام فَقُلْنَا لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»**(٢).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) وفي لفظ للبخاري (٣٦٤١): (وهم بالشام) من قول معاذ رضي الله عنه، وانظر «صحيح مسلم» (١٩٢٠)، «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٥/ ١٨٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٠٣)].



وقال ﷺ: «**سَيَكُونُ جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، فَقَالَ رَجُلٌ: فَخِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ**» فقال: «**عَلَيْكَ بِالشَّامِ. ثَلاثًا، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**».

قالَ ربيعةُ: فسَمِعتُ أبا إدريسَ الـخولانيَّ يُحدِّثُ بهذا الحديثِ. يقول: «**وَمَن تَكَفَّلَ اللهُ به فلا ضَيعةَ عليه**»(١).

وقالَ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٣).

نسألُ اللهَ العظيمَ أن يجعلَنا وإيّاكم من الطائفةِ الـمَنصورةِ.




وقد سَمِعتُـم عن الآياتِ التي أخبرَنا اللهُ فيها أنه قد باركَ في بلادِ الشّامِ، وسَمِعتُـم عن الأحاديثِ التي قد جاءَت تتكلَّمُ عن فَضلِ الشّامِ، وها هُم اليَهودُ يُدَنِّسونَ بلادَ الشَّامِ؛ فما من تبرُّجٍ ولا شركٍ ولا فسادٍ إلّا ووراءَه اليَهودُ.

إنَّ اللهَ لا يَنصرُ قوماً حتى يَنصروهُ في أنفُسِهم، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾**﴾ [الحج:٤٠]، وقال تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٨٣)، و أحمد (٥/ ٣٣)، واللفظ لأحمد، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٨٧)]، وعبارة الـخولاني عند البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٢٦-٣٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٨) من حديث عمرو بن العاص، ورواه أيضا (٥/ ١٩٨) من حديث أبي الدرداء، والطبراني في الكبير (٧٧١٤) من حديث أبي أمامة، ورواه الحاكم (٤/ ٥٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو. واللفظ لأحمد، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٩٢، ٣٠٩٤)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٩٢)، وأحمد (٣/ ٤٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٠٣)].

تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ [محمد:٧].

أَما آنَ الأوانُ يا أمّةَ الإسلامِ عامّةً، ويا أهلَ الشّامِ خاصّةً، أن نعودَ إلى اللهِ؟ أظنُّ أنه قَد آنَ الأوانُ.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾[الرعد:١١].

اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ.





٥

ميلاده ﷺ ونشأته

أيها الإخوةُ **عباد الله!** موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ.

وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: ميلادُ الـمُصطفى ﷺ ونشأتُه.

العنصر الثاني: رسولُنا ﷺ في مَهمَّةٍ تـجاريّةٍ إلى بلادِ الشّامِ.

العنصر الثالث: اللهُ عزَّ وجلَّ يحفظُ رسولَه ﷺ في شبابِهِ من أقذارِ الجاهليّةِ.

العنصر الرابع: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

العنصر الأول: ميلاد المصطفى ﷺ ونشأته.

وُلِدَ ﷺ يتيماً في يوم الإثنين من شهرِ ربيعٍ الأولِ وذلك عامَ الفيلِ، وأولُ من أرضَعته ثُويبةُ أمَةُ عمِّه أبي لَهَبٍ[١].

ثم استُرضِعَ ﷺ في بني سعدِ بن بكرٍ، وكانَ من عادةِ العَربِ أن يلتـمِسوا الـمراضِعَ لمواليدِهم في البوادي ليكونَ أنجبَ للولَدِ.

فجاءَت نِسوةٌ من بني سعدِ بن بكرٍ يَطلُبنَ أطفالاً يُرضِعنَهُم فكانَ ﷺ مِن نصيبِ حليمةَ السَّعديّةَ.

وهناكَ في باديةِ بني سَعدِ بنِ بكرٍ حصَلَت له ﷺ حادثةُ شَقِّ الصَّدرِ.

فتعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو يُخبِرُنا عن ذلك.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩).

جاءَ نفرٌ من الصّحابةِ رضي الله عنهم إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِك؟ قَالَ: «**نَعَمْ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمَّ أَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ[(٢)].

بعدَ هذه الحادثةِ أشفقَت مُرضِعتُه عليه فأعادَته إلى أمِّه، وعاشَ ﷺ عندَ أمِّه ومرَّتِ الأيامُ والسِّنونَ وأخذَته أمُّه وذهبَت به إلى المدينةِ لزيارةِ أخوالِ أبيه؛ بني عَديِّ بنِ النَّجّارِ وبينَما هي عائدةٌ أدركَتها منيَّتُها في الطريقِ، فماتَت بالأبواءِ -قريةٌ بينَ مكّةَ والمدينةِ- ودُفِنَت هناكَ.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٠) مرسلاً، وقد روي من وجوه أخرى موصولاً، [«صحيح السيرة النبوية» (١٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢).

وعادَ الرَّسولُ ﷺ وقد نَزَلَ من بطنِ أمِّه يتيماً لم يرَ أباه، وهاهو قد فَقَدَ أمَّه، ثم عادَ إلى جَدِّه عبدِالمطلب وكَفِله جدُّه، ورقَّ له رِقّةً لم تُعهَد له في ولدِه، ومَرَّتِ الأعوامُ ثم تُوفِّيَ عبدُالمطلبِ وكانَ عمرُ النَّبيِّ ﷺ ثمانيَ سنواتٍ فكَفِله شقيقُ أبيه؛ أبو طالبٍ وكانَ به رحيماً وكانَ أبو طالبٍ مُقلّاً في الرِّزق، فعَمِلَ النَّبيُّ ﷺ برعيِ الغَنَم؛ مُساعدةً منه لعَمِّه.

فقالَ ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: «**نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**»(١).

وسُئِلَ ﷺ: أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَاهَا**»(٢).

ثم بعدَ ذلكَ اشتغلَ رسولُ اللهِ ﷺ بالتِّـجارة.

العنصر الثاني: رسولُنا ﷺ في مهمة تجارية إلى بلاد الشام.



عن أبي موسى الأشعريِّ قال: خَرَجَ أَبُو طَالِب إِلَى الشَّام وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخ مِنْ قُرَيْش، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِب هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيهِمْ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ، قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْش: مَا عِلْمُكَ! فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنْ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ، وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٦٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠).



الْقَوْم وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذِهِ، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ، قَالُوا: لا! إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذِهِ، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ، وَأَقَامُوا مَعَهُ عِنْدَهُ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ... وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ»[1].



العنصر الثالث: الله عزّ وجلّ يحفظ رسوله ﷺ في شبابه من أقذار الجاهلية.



حادثةُ شَقِّ الصَّدرِ هي تَطهيرٌ لرسولنا ﷺ من حظِّ الشَّيطان؛ ولذلكَ لم يَتلَوَّث رسولُ اللهِ ﷺ في شبابهِ بأقذارِ الجاهليّة.

ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: صانَه اللهُ عزَّ وجلَّ عن شركِ الجاهليّة، وعبادةِ الأصنام.

عن زيدِ بن حارثةَ قال: كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ، يُقَالُ لَهُ: إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ مُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةِ يَتَمَسَّحُ بِهِمَا النَّاسُ إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تَمَسَّهُمَا وَلا تَمَسَّحْ بِهِمَا**»، قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لأَمَسُّهُمَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَقُولُ، فَمَسَسْتُهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تُنْهَ؟ فَلَا وَالَّذِي أَكْرَمَهُ مَا مَسَسْتُهُمَا حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابَ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٢٠)، والحاكم (٢/ ٦٧٢)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٢٩-٣١)].

(٢) **حسن**: رواه النسائي في الكبرى (٨١٨٨)، وأبو يعلى (٧٢١٢) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» واللفظ له (٣/ ٢٣٨)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٣٢)].

وقالَ ﷺ لخديجةَ: «**أَيْ خَدِيجَةُ! وَاللهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى**»[١].

ثانياً: حَفِظَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ من أن يَأْكُلَ الذي ذُبِحَ على النُّصُبِ -أي: التي يَذبحونَها لغيرِ الله-.

فكانَ ﷺ لا يأكلُ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ، ووافقَه في ذلكَ زيدُ بن عمرو بن نُفَيل.

عن عبدِالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَح -وادٍ قبلَ مكَّةَ أو جبلٌ بطريق جُدّة- قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سفرة فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ! إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ[٢].

ثالثاً: حَفِظَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ من أن تَبدُوَ عورتُه أو يَظهرَ عُرياناً.

عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قالَ: **لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ** ﷺ وعباسٌ ينقلان الحجارة، فقالَ العبّاسُ لرسولِ الله ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنْ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**إِزَارِي إِزَارِي**» فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وفي لفظ قال: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ[٣].

رابعاً: وَفَّقَ اللهُ رسولَه ﷺ للوُقوفِ بعَرفةَ قبلَ البعثةِ؛ مُخالفةً لما ابتدعَ قومُه من رأيِ الحُمْس - والأحمسُ الشَّديدُ على دينِه- وكانت قُريشٌ تسمى الحُمْسَ وكانَ الشيطانُ قد استهواهُم فقالَ لهم: إنكم إذا عَظَّمتُم غيرَ حَرَمِكم استخَفَّ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٦٢)، وصححه الشيخ شعيب في تعليقه على المسند.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٢٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري في (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠).



النّاسُ بحَرَمِكم، فكانوا لا يَقِفونَ بَعَرفةَ يومَ عَرَفة، وكانَ سائرُ النّاسِ تَقِفُ بعرَفَةَ، وكانَت شريعةُ محمّدٍ ﷺ بعدَ ذلكَ الوقوف بعرفةَ، كما قالَ تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[البقرة].

وعن محمَّدِ بن جُبَيرٍ، عن أبيه جُبَيرِ بن مُطعم قال: أَضْلَلْتُ بَعيرًا لي فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ فَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ مِنْ الْحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَا هُنَا(١).

فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقِفُ بـ(عرفات) قبلَ أن يُوحى إليه، وهذا توفيقٌ من اللهِ تعالى له.



العنصر الرابع: دروسٌ وعظات وعبر.

أولاً: في قولِه ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**».

وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ الرِّجالَ لَا يَقعُدونَ عالةً على النّاسِ بل يَعمَلونَ ليأكلوا من عَمَلِ أيديهم، فالأنبياءُ يَعملونَ في رَعيِ الغَنَمِ ليَكتسِبوا مالاً يَعيشونَ منه ولم يَجلِسوا مُتواكِلينَ عالةً على القَومِ.

وفيه إشارةٌ إلى الإحسانِ إلى الحيوانِ.

وفيه إشارةٌ إلى أن الذين يَرعَون الغنمَ ويُحافظونَ عليها، ويَصبرونَ عليها ويَرحمونَها؛ يَستطيعونَ بعدَ ذلكَ أن يَرعَوا الأممَ والشُّعوبَ، ولذلكَ ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد رَعى الغَنَمَ في بدايةِ حياتهِ، لأن من وُفِّقَ في رَعيِ الغَنَمِ وُفِّقَ في رعايةِ الأُممِ والشُّعوبِ.



وعليه فإنه عندَما بُعث رسولُنا ﷺ رَعى الأمَّةَ وحافظَ عليها، وأخذَ بأيدي الأمةِ ناصِحاً أميناً يَقودُها إلى جنَّةٍ عرضُها السَّمواتُ والأرض.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠).

ثانياً: وفي قولِ الرّاهب بَحيرى لأبي طالب: إني أخَافُ على هذا النَّبيِّ من اليَهودِ والرُّوم؛ دليلٌ على عداوةِ اليَهودِ والنَّصارى للنَّبيِّ ﷺ قبلَ بعثتِه وبعدَ بعثتِه، وقد أخبرَنا اللهُ بعداوتِهم في كتابِه فقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩] وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧].



فأهلُ الكتابِ عامَّةً واليهودُ خاصَّةً يُبغِضونَ رسولَ اللهِ ﷺ والمسلمينَ ويَعمَلونَ باللَّيلِ والنَّهارِ للقضاءِ على الإسلامِ والمسلمينَ، وكما سَيَمُرُّ معَنا في الحديثِ عن السِّيرةِ الـمحاولاتُ الكثيرةُ التي حاولَتها اليهودُ ليتَـخلَّصوا من رسولِ الله ﷺ، وعلى سبيلِ الـمثالِ:

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: لَـمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ**»، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لهم رسول الله ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**».

قَالُوا صَدَقْتَ قَالَ: «**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ**» قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: «**اخْسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! قَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**» قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ[(١)]

قالَ تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة:٨٢].

اللهمَّ ردَّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٦٩، ٥٧٧٧).





الأحداث الجسام قبل بعثة النبي ﷺ

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاء سيكونُ حولَ الأحداثِ الجِسامِ التي كانت قبلَ بعثةِ الـمُصطفى ﷺ.

وسنَقتصرُ في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- على ثلاثةِ أحداثٍ فقط.

الحدث الأول: شهودُه ﷺ حلفَ الفُضول.

الحدث الثاني: زواجُه ﷺ من خَديجةَ رضي الله عنها.

الحدث الثالث: بناءُ الكعبةِ وقَضيَّةُ التَّـحكيم.

أما شهودُه ﷺ حلفَ الفُضولِ فقَد قالَ ﷺ: «**شَهِدْتُ غُلَامًا مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْـمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**مَا شَهِدْتُ مِنْ حِلْفِ قُرَيْشٍ إِلاَّ حِلْفَ الْـمُطَيَّبِينَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَإِنِّي كُنْتُ نَقَضْتُهُ**»[(٢)].

والمرادُ بحلف الـمطيَّبِينَ في الأحاديثِ هو حِلفُ الفُضول، وهذا الحلفُ كانَ في دارِ عبدِالله بن جَدعان، فاجتَـمَعوا وتعاهَدوا ألا يَجِدُوا بمكَّةَ مَظلوماً من أهلِـها وغيرِهم ممن دَخلَـها إلَّاقاموا معَه، وكانوا على الظّالمِ حتى يَردُّوا إليه مظلمتَه.

فهو تَـحالُفٌ على التَّناصُرِ قبلَ الإسلامِ والأخذِ للمَظلومِ من الظالم.

(١) **صحيـح**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (٥٦٧)، وأحمد (١/ ١٩٠، ١٩٣)، [«السلسـلة الصحيحة» (١٩٠٠)].

(٢) **صحيـح**: رواه ابـن حبـان (٤٣٧٤)، والبيهقـي في «دلائل النبـوة» (٢/ ٣٨)، [«صحيح السـيرة النبوية» (ص٣٥)].



اللهُ أكبرُ: في الجاهليَّةِ قِبلَ الإسلام النّاسُ لا يُحِبُّونَ الظُّلمَ ويَقِفون في وجهِ الظّالم، فما بالُنا في هذا القرنِ قرنِ الحَضارةِ والتَّقَدُّم -زَعَموا- لا أرى أحداً يَقِفُ في وجهِ الظالم، ويقولُ له: اتَّقِ اللهَ، ولا أحدَ يَقِفُ معَ الـمظلوم، ولكن نَقولُ: لا غرابةَ في ذلكَ فالكُفّارُ مِلَّةٌ واحدةٌ اجتـمَعوا على إبادةِ الإسلامِ والمسلمِينَ، ولكن لن يَصِلوا أبداً إلى ما أرادوا، فالأمَّةُ الإسلاميَّةُ إن رَجَعَت إلى دينِها استطاعَت أن تَسيرَ بهذا العالَمِ إلى سَعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، أما يومَ أن انصَرَفَتِ الأُمَّةُ عن دينِها -إلا مَن رَحِمَ ربي- فكانَ ما كانَ.

فيا أمَّةَ الإسلام! عُودوا إلى دينِكم، فرسولُنا ﷺ يقولُ: «**إذَا تَبَايَعْتُمْ بالْعِينَةِ**[1] **وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلَى دِينِكُمْ**»[2].

فالنَّصرُ لا يأتي إلَّامن عندِ اللهِ، قالَ تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:١٢٦].

وأما زواجُه ﷺ من خَديجةَ رضي الله عنها فقد كانَ ﷺ في بدايةِ حياته يَرعى الغَنَمَ. قالَ ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ؟ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»[3]، ثم اشتغَلَ ﷺ بعدَ ذلكَ بالتِّـجارةِ.

و«كانت خديجةُ بنتُ خويلدٍ امرأةً تاجرةً ذاتَ شرفٍ ومالٍ تَستأجِرُ الرِّجالَ من مالِـها وتُضارِبُهم إيّاه بشيءٍ تـجعلُه لهم، وكانَت قريشٌ قوماً تـجاراً، فلـما بَلَغَها عن رسولِ اللهِ ﷺ ما بَلَغها من صدقِ حديثِه وعِظَمِ أمانتِه وكَرَمِ أخلاقِه بَعَثت إليه

(١) العينة: أن يبيع شـيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسـلمه إلى الـمشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقداً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا مع التواطؤ يبطل البيعين، لأنها حيلة».

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢) والبزار (٥٨٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١١)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٦٢).

فَعَرَضَت عليه أن يَخرُجَ في مالِـها إلى الشّام تاجِراً وتُعطِيَه أفضلَ ما كانت تعطي غيرَه من التُّـجّار، فقَبِلَه رسولُ اللهِ ﷺ، وخَرَجَ في مالِـها ذلكَ وخرجَ معَه غلامُها مَيسرةُ حتى قَدِمَ الشّام»(١).

ولـما رَجَعَ إلى مكَّةَ، ورأَت خَديجةُ في مالِـها من البَرَكةِ ما لم تر قبلَ هذا، وأُخبِرَت بشمائِله الكريمةِ وَجَدَت ضالَّتَها الـمَنشودةَ فتحدَّثَت بما في نفسِها إلى صَديقتِها، وهذه ذهبَت إليه تُفاتِـحُهُ أن يتزوَّجَ خديجةَ فَرَضيَ بذلكَ، وكلَّم أعمامَه فذَهَبوا إلى عمِّ خَديجةَ وخَطَبوها إليه، وعلى إثرِ ذلكَ تـمَّ الزواجُ، وكان سِنُّها إذ ذاكَ أربعينَ سنةً.

وكانَت يومَئذٍ أفضلَ نساءِ قومِها نسَباً وثروةً وعقلاً، وهي أولُ امرأةٍ تزوَّجَها رسولُ اللهِ ﷺ، ولم يتزوَّج عليها غيرَها حتى ماتَت رضي الله عنها، وكلُّ أولادِه منها سوى إبراهيمَ(٢).

تعالَوا بنا لنتعرَّفَ على أمِّ الـمؤمنينَ خديجةَ رضي الله عنها من خلالِ الأحاديثِ والآثارِ الصَّحيحة.




أولاً: منزلة خديجة من نساء العالمين.

قالَ ﷺ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»(٣)، وقال ﷺ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**»(٤).

ومعنى خيرُ نسائِها: أي: أنَّ كلَّ واحدةٍ منهُما خيرُ نساءِ الأرضِ في عصرِها.

ثانياً: منزلة خديجة عند رسول الله ﷺ.

قالَت عائشةُ رضي الله عنها: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (١/ ٢١٢).

(٢) «وقفات تربوية» (ص٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٧٨)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، [«صحيح الجامع» (٥٤٥٤)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠).

لَـمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**»(١).

وقالت عائشة ﵂: مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ(٢)، وقالت عائشة ﵂: لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ(٣).

وقالت عائشة ﵂: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَالَةَ**»، قَالَتْ: فَغِرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا(٤).




ثالثاً: منزلة خديجة في الجنة:

عن ابن عبّاس ﵄ قال: خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ**»(٥).

رابعاً: جبريل عليه السلام يقرئ خديجة السلام من ربها ويبشرها بقصر في الجنة:

عن أبي هريرة ﵁ قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَذِهِ خَدِيجَةُ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٣٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٣٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٣٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٢٠، ٣٨٢١) ومسلم (٢٤٣٧)، واللفظ لمسلم.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، وعبد بن حميد (٥٩٧)، وصححه الحاكم (٤٨٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٨)].

قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْك فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ[1].

خامساً: خديجة رضي الله عنها هي التي قالت لرسول الله ﷺ عندما نزل عليه الوحي في غار حراء: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُكْسِبُ الْـمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[2].

وهي رضي الله عنها التي آمنت به وصدَّقتْه، ووقَفَت معَه تواسيه بنفسِها وبمالِـها.

أما بناءُ الكَعبةِ وقَضيَّةُ التَّـحكيم. فكانَت قبلَ بَعثةِ النَّبيِّ ﷺ بخمس سنواتٍ على الرّاجح. فاللهُ عزّ وجلَّ يقولُ في كتَابهِ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ قَالَ: «**الْـمَسْجِدُ الْحَرَامُ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «**الْـمَسْجِدُ الأَقْصى**»[3].

فيا أمَّةَ الإسلام! كما أنكم لا تُقصِّرون أبداً في بيتِ اللهِ الحرام، فاحذَروا أن تُقصِّروا في الـمسجدِ الأقصى، فاللهُ سائلكُم يومَ القيامةِ عن تقصيرِكم في هذا الـمسجدِ الذي دَنَّسَته اليَهودُ على مَسمَعٍ من الجميع.

وأما قِصّةُ بناءِ البيتِ الحرام، فهي:

قالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: «ولـما كانَ بينَ إبراهيمَ وبينَ أهلِه ما كانَ، جاءَ إبراهيمُ بها -أي بأمِّ إسماعيلَ- وبابنِها إسماعيلَ -وهي تُرضِعُه حتى وَضَعَها عندَ البيت،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

عندَ دَوحةِ فوقَ زمزمَ في أعلى الـمسجدِ وليس بمكَّةَ يومئذ أَحدٌ، وليسَ بها ماءٌ، فوضَعَهَا هُنالك، ووَضَعَ عندَهما جِراباً فيه تَـمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قفّى إبراهيمُ مُنطلقاً، فتبَعته أمُّ إسماعيلَ، فقالَت: يا إبراهيمُ أين تذهبُ وتترُكنا في الوادي الذي ليسَ فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالَت له ذلكَ مِراراً وجَعَلَ لا يلتَفُّ إليها، فقالت له: آللهُ أمرَكَ بهذا؟ قال: نَعَم، قالت: إذن لا يُضَيِّعُنا ثم رجَعَت فانطلقَ إبراهيمُ، حتّى إذا كانَ عندَ الثَّنِيَّةِ حيثُ لا يرونَه، استقبلَ بوَجهِهِ البَيتَ ثم دَعا بهؤلاءِ الكلماتِ، ورَفَعَ يدَيه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم] وجعَلَت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ وتَشرَبُ من ذلكَ الماءِ، حتّى إذا نَفِدَ ما في السِّقاء، عَطِشَت وعَطِشَ ابنُها، وجَعَلَت تَنظُرُ إليه يَتَلَوّى -أو قال: يتلبَّط، فانطلَقَت كراهيةَ أن تَنظُرَ إليه فوَجَدَتِ الصَّفا أقربَ جبلٍ في الأرض يليها، فقامَت عليه، ثم استقبلَتِ الوادي تَنظُرُ هل تَرى أحداً فلم ترَ أحداً، وأَخذَت أمُّ إسماعيلَ تَنتقلُ من الصَّفا إلى الـمروة، فَعَلَت ذلكَ سَبعَ مرّاتٍ إلى أن ظَهَرَ الـماءُ بإذنِ الذي يقولُ للشيءِ كُن فيكونُ، فشَرِبَت أمُّ إسماعيلَ وأرضَعَت ولدَها، فقال لـها الـملَكُ -وهو جبريلُ عليه السَّلام- لا تَـخافوا الضَّيعةَ فإنَّ ها هنا بيتُ الله، يَبنيه هذا الغُلامُ وأَبوه وإنَّ اللهَ لا يُضَيِّعُ أهلَه».

ومرَّتِ الأيامُ وكَبُرَ إسماعيلُ عليه السَّلام، وتَزَوَّجَ وكانَ إبراهيمُ عليه السَّلام يذهبُ لزيارتهم أحياناً، ثم لَبِثَ عنهم ما شاءَ الله، ثم جاءَ بعدَ ذلك وإسماعيلُ يَبري نَبلاً له تَـحتَ دوحةٍ قريباً من زَمزم، فلـما رآه قامَ إليه، فصَنَعا كما يَصنعُ الوالدُ بالولَدِ والوَلَدُ بالوالدِ ثم قال: يا إسماعيلُ! إن اللهَ أمرَني بأمر، قال: فاصنَع ما أمرَكَ ربُّكَ قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك، قال: فإنَّ الله أمرَني أن أَبنِيَ ها هُنا بيتاً. وأشارَ إلى أكَمةٍ مُرتفِعَةٍ على ما حَولَـها.

قال: فعِند ذلكَ رَفَعا القواعِدَ من البَيتِ، فجَعَلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ

وإبراهيمُ يَبني، حتى إذا ارتَفعَ البناءُ، جاءَ بهذا الحجر فوضَعَه له فقامَ عليه وهو يَبني، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[١].

مرَّتِ الأيّامُ وانهدَمَ البيتُ بسبَبِ الأمطارِ أو بحَريقٍ أصابَه، فبَنَته قريشٌ وشاركَ النَّبيُّ ﷺ في بناءِ الكَعبة.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لَـمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنْ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «**إِزَارِي إِزَارِي**» فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ[٢].

وقريشٌ تبني في البَيتِ ولـما وَصَلوا إلى الـمكان الذي يُوضَعُ فيه الحَجَرُ الأسودُ تَشاجَروا من يَضَعُه؟ فاتَّفقوا أن يَحكُمَ بَينَهم أولُ من يدخلُ من هذا الباب فدَخلَ رسولُ الله ﷺ من بابِ بني شيبةَ، فأمرَ بثوبٍ فُوضِعَ الحَجَرُ في وَسَطِه، وأَمَرَ كلَّ فَخِذٍ أن يَأخُذوا بطائفةٍ من الثَّوب، فرَفَعوه، وأخَذَه رسولُ الله ﷺ فوضعَه»[٣].

وسألَت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ عن الحِجْر أَمِنَ البَيت هو؟ قال: «**نَعَمْ**» قالت: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قال: «**إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ**» قالت: فَمَا شَأْنُ بَابِه مُرْتَفِعًا؟ قال: «**فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ** -أي الحِجْر- **فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ**»[٤].

اللهمّ زدِ الكعبةَ شرَفاً وتكريماً.

---

(١) انظر كتاب «صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص٤٠-٤٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري في (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠).

(٣) **حسن**: رواه الطيالسي (١١٣)، والحاكم (١/ ٦٢٩)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٤٤)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).






البشارات بنبوة النبي ﷺ قبل بعثته

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ - إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المصطفى ﷺ.

وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ حولَ البِشاراتِ التي جاءَت تُخبِرُ بنُبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ قبلَ بعثتِه.

أمةَ الإسلام! رسولُنا محمَّدٌ ﷺ في الملأ الأعلى، خاتمُ النَّبيِّينَ من قبلِ خلقِ آدمَ عليه السَّلام.

سُئِلَ ﷺ: مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «**وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»(١).

وسُئِلَ ﷺ: مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قال: «**بينَ خلْقِ آدمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ**»(٢).

ثم جاءَت البِشاراتُ من جميعِ الأنبياءِ، وفي الكتبِ السَّماوية، ومن علماءِ أهلِ الكتابِ، تُخبِرُ بنُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ قبلَ بعثته، فتعالَوا بنا يا عبادَ الله! لنستمعَ إلى جملةٍ من هذه البِشاراتِ.

أولاً: ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً.

ثانياً: ليكونَ ذلك حافزاً لإيمانِ أهلِ الكتاب عندما يقرؤون أو يسمَعونَ التَّبشيرَ ببعثتِه ﷺ في كتُبِهم وعلى لسانِ جميعِ الرُّسلِ.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٥٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٢٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٥٦)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦٥)، واللفظ للحاكم، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٥٤)].

أولاً: بشارات الأنبياء بنبوة محمد ﷺ.

بُشرى في دعوةِ إبراهيمَ عليه السَّلام، قالَ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة].

وبُشرى عيسى عليه السَّلام، قالَ تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصف:٦].

وقالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ قال ﷺ: **«نَعَمْ! أنا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»**[(١)].

فذِكرُه ﷺ دعوةَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ الذي تُنسَبُ إليه العَربُ، ثم بُشرى عيسى الذي هو خاتَـمُ أنبياءِ بني إسرائيلَ يدلُّ هذا على أنَّ مَن بينَهما من الأنبياءِ بشَّروا به أيضاً، وقد أخبَرنا اللهُ بذلكَ في كتابهِ فقال جلَّ شأنُه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران].

قالَ عليُّ بن أبي طالب وابنُ عباس رضي الله عنهما: **مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْـمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ**[(٢)]. وفي هذا دليلٌ يا عبادَ الله!

---

(١) **صحيح**: وهـذا لفظ ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٠) والحاكم (٤١٧٤)، رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة، و(٤/ ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

(٢) رواه عن علي وابن عباس رضي الله عنهما الطبري في تفسيره (٧٣٢٩، ٧٣٣٣)ط. أحمد شاكر. واللفظ لرواية علي رضي الله عنه، [«صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص٥٢)].




أنَّ جميعَ الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ بشَّروا برسولِنا ﷺ وأمَروا باتِّباعِه[١].

ثانياً: بشارات الكتب السماوية بنبوة محمد ﷺ.

أخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ أنّ محمداً ﷺ بشَّر به في التَّوراةِ والإنجيلِ، قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

ومن الأمثلة على ذلك: أن محمداً ﷺ بُشِّر به في التوراة والإنجيل:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ الله ﷺ في التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ وَالله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ في الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا

(١) انظر، [«صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص٥٢)].

عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا[١].

ولكن لـماذا لم يُؤمِنوا به؟ حَسَداً من عندِ أنفُسِهم.

دخلَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ نَاشرًا التَّوْرَاةَ يَقْرَؤُهَا يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنٍ لَهُ فِي الْـمَوْتِ كَأَحْسَنِ الْفِتْيَانِ وَأَجْمَلِهِم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي؟**» فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا؛ أَيْ لَا، فَقَالَ ابْنُهُ: إِي وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، فَقَالَ ﷺ: «**أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَخِيكُمْ**»، ثُمَّ وَلِيَ كَفَنَهُ وَحَنَّطَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ[٢].

الشّاهدُ: أنَّ هذا الفتى في اللَّحظاتِ الأخيرةِ قالَ: إي واللهِ إنا لنَجدُ في كتابِنا صِفَتَكَ ومَخرجَكَ، ولكن كتَـموا ذلكَ حَسَداً وبَغياً.



وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ قال: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ يحطُّ اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ**»، قَالَ: فَأَسْكَتُوا، مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «**أَبَيْتُمْ! فَوَاللهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ وَأَنَا الْعَاقِبُ وَأَنَا النَّبِيُّ الْـمُصْطَفَى آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ**» ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا: كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: فَأَقْبَلَ فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: وَاللهِ! مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللهِ أَنَّهُ نَبِيُّ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢١٢٥).

(٢) **جيد**: رواه أحمد (٥/ ٤١١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص ٧٣)].



اللهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ، قَالُوا: كَذَبْتَ ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ، أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ وَلَمَّا آمَنَ كَذَّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ**» قَالَ: فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿**قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾**﴾ [الأحقاف][1].

الشاهدُ يا عبادَ الله! أنَّ عبدَاللهِ بن سلام عَلِمَ من التَّوراةِ أنَّ هذه الصِّفاتِ التي جاءَ بها محمَّدٌ ﷺ موجودةٌ عندَهم في التَّوراةِ، فلما وَجدَها في رسولِ الله ﷺ آمنَ وشَهِدَ أن لا إله إلَّاالله وأن محمداً رسولُ اللهِ وخَرجَ معَ رسولِ الله ﷺ، فالحمدُ للهِ على نِعمةِ الإسلامِ والسُّنَّة.



ثالثاً: بشارات علماء أهل الكتاب بنبوة محمد ﷺ

اللهُ عزَّ وجلَّ يُخبِرُنا بذلكَ في كتابه، قالَ تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾**﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾**﴾ [البقرة:١٤٦] وقالَ تعالى عن القِسِّيسِينَ والرُّهبان: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾**﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦٩)، [«صحيح السيرة النبوية» (٨٠-٨١)].

ومن الأمثلة على ذلك:

سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه أخبرَ في قِصَّةِ إسلامِه الطَّويلة:

أنّ راهبَ النَّصارى عندَما حضَرَته الوفاةُ طلبَ منه سلمانُ أن يُوصيه، فقال الرَّاهب: أي بُنيَّ! واللهِ ما أعلَمُه بَقِيَ أحدٌ على مثلِ ما كُنّا عليه آمرُكَ أنْ تأتِيَه، ولكنه قد أظلَّكَ زمانُ نبيٍّ يُبعَثُ من الحَرَم، مُهاجَرُهُ بين حرَّتَينِ إلى أرضٍ سَبَخةٍ ذاتَ نَخلٍ، وإنّ فيه علاماتٍ لا تَخفى، بينَ كَتِفَيهِ خاتمُ النُّبوَّة، يأكلُ الهديَّةَ ولا يأكلُ الصَّدقةَ، فإن استطعتَ أن تَخْلُصَ إلى تلكَ البلادِ فافعَل، فإنه قد أظلَّكَ زمانُه.

ثم قصَّ سلمانُ خبرَ قُدومِه إلى المدينةِ واسترقاقِه، ولقائِه برسولِ اللهِ حينَ الهجرةِ، وإعطائِه له طعاماً على أنه صدقةٌ فلم يأكُل منه الرَّسولُ، ثم إعطائِه له طعاماً على أنه هديةٌ وأكلِه منه، ثم رؤيتِه خاتمَ النُّبوَّةِ بينَ كتفَيهِ وإسلامِه على إثرِ ذلك[1].

وقالَ هرقلُ ملكُ الرُّوم: فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ[2].

وقالَ رجالٌ من الأنصار: «إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ -مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَهُدَاهُ لَنَا- لِـمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، وَكُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا

(١) **صحيح بهذا اللفظ**: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٩٢-٩٥)، و رواه أيضاً أحمد (٥/ ٤٤١)، والبزار (٢٥٠٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧).




وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنَ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩][(١)].

قالَ ابنُ إسحاق: حَدَّثَنِى عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِى قُرَيْظَةَ أَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَدْرِى عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ وَأُسِيدِ ابْنَي سَعْيَةَ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ؟ - نَفَرٍ مِنْ هَدَلٍ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَا نَضِيرٍ كَانُوا فَوْقَ ذَلِكَ - فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ مِنْ يَهُودَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْهَيَّبَانِ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا، وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ خَيْرًا مِنْهُ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسِنِينَ، فَكُنَّا إِذَا أُقْحِطْنَا وَقَلَّ عَلَيْنَا الْمَطَرُ نَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ الْهَيَّبَانِ اخْرُجْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ حَتَّى تُقَدِّمُوا أَمَامَ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً، فَنَقُولُ: كَمْ نُقَدِّمُ؟ فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرَةِ حَرَّتِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَسْتَسْقِي، فَوَاللهِ مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تَمُرَّ الشِّعَابُ، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةٍ، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ! فَقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَنِي أَتَوَقَّعُ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ هَذِهِ الْبِلَادَ مُهَاجَرُهُ فَأَتَّبِعُهُ، فَلَا تُسْبَقُنَّ إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ، يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! فَإِنَّهُ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَسْبِي الذَّرَارِيّ وَالنِّسَاءَ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ ثُمَّ مَاتَ.

فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِى افْتُتِحَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ قَالَ أُولَئِكَ الْفِتْيَةُ الثَّلَاثَةُ -وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا- يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! لَلَّذِي كَانَ ذَكَرَ لَكُمُ ابْنُ الْهَيَّبَانِ، قَالُوا مَا هُوَ؟ قَالُوا: بَلَى وَاللهِ إِنَّهُ لَهُوَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّهُ وَاللهِ لَهُوَ بِصِفَتِهِ ثُمَّ نَزَلُوا فَأَسْلَمُوا وَخَلَّوْا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيهِمْ[(٢)].

(١) **صحيح**: رواه ابن إسحاق في السيرة كما عند ابن هشام (٢/ ٣٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٥٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في سننه (٩/ ١١٤)، وفي الدلائل (١٣٨٢)، [«صحيح السيرة النبوية» (٦٠-٦١)]




عباد الله! وأخبارٌ وأدلةٌ كثيرةٌ تبشِّرُ برسولِنا ﷺ، أرَدْنا أن نُذَكِّرَ بها قبل أنْ نتكلَّمَ عن مرحلةِ بدءِ الوَحيِ والبَعثةِ التي يُبعَثُ فيها النَّبيُّ ﷺ، لتَزدادوا إيماناً معَ إيمانِكم، ولتَعلَموا أنّ دينَكُم هو الحقُّ، وأنّ رسولَكم هو الحقُّ، فتَتَمسَّكوا بدينِكم وبسُنَّةِ نبيِّكم، ولتَثبُتوا عندَ الفِتَنِ.

فيا **عبادَ الله!** احمَدوا الله أن جعَلَكم من المسلمِينَ، فعِزَّتُكُم في دينِكم، وإن طَلَبْتُم العِزَّةَ بغيرِ الإسلامِ أذَلَّكُمُ الله.

فقد قالَ عمرُ رضي الله عنه: كُنّا أذلَّ قومٍ فأعزنا اللهُ بالإسلام، فمهما نطلبُ العزَّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله[1]

اللهمَّ رُدَّ المسلمِينَ إلى دينِهم ردّاً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٥١)]





إشراقُ شمس النبوة

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ.

وحديثُنا في هذا اللّقاءِ سيكونُ عن إشراقِ شَمسِ النُّبوَّةِ؛ عن مَرحلةِ بَدءِ الوَحي.

أمَّةَ الإسلام! رسولُنا ﷺ يَقترِبُ سِنُّه من الأربعينَ سَنةً، وكانَ ﷺ قبلَ البعثة يُسلِّمُ عليه الحَجَرُ والشَّجرُ والجبالُ.

عن جابرِ بن سَمُرَة قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**»[(١)].





وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قالَ: كُنّا معَ رسولِ الله ﷺ بمكَّةَ، فخَرجَ في بعضِ نواحيها، فما استقبلَهُ شجرٌ ولا جبلٌ إلَّاقالَ: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله![(٢)].

وفي روايةٍ: لقد رأيتُني أَدخُل معَه الوادي، فلا يَمرُّ بحجرٍ ولا شَجَرٍ إلَّاقالَ: السَّلامُ عليكم يا رسولَ الله! وأنا أسمعُه.

ورسولُنا ﷺ قبلَ البعثةِ كان يُحِبُّ الـخلاءَ والعُزلةَ والانفرادَ عن قومِه؛ لِـما يَراهُم عليه من الضَّلالِ الـمُبين؛ من عبادةِ الأوثانِ والسُّجودِ للأصنام، وقَويَت محبَّتهُ للخَلوةِ عندَ اقترابِ نُزولِ الوَحيِ، وكان لا يَرى رؤيا إلَّاجاءَت مثلَ فَلَقِ الصُّبحِ، كلُّ ذلكَ مُقدِّماتُ النُّبوةِ.

بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ وعُمرُه أربعونَ سنةً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٢٦)، والدارمي (٢١)، والحاكم (٢/ ٦٧٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٩٥)].

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قالَ: بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ(١).

ونَزَلَ الوحيُ على رسولِنا ﷺ أولَ ما نَزَلَ يومَ الإثنين، فقد سُئِلَ ﷺ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ: «**فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ**»(٢).

والـمَشهورُ أنّه ﷺ بُعِثَ في شهرِ رمضانَ، واستدلّ ابنُ إسحاقَ على ذلكَ بقولِه تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة]. وقال ﷺ: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَت التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**»(٣).



فيا عبادَ الله! رسولُنا ﷺ نَزلَ الوحيُ عليه عندَما بلغَ أربعينَ سنةً، وكانَ ذلكَ في يوم الإثنينِ من شَهرِ رمضانَ، والوحيُ الذي يَنزِلُ على رسولِنا ﷺ هو الوحيُ الذي كانَ ينزِلُ على جميعِ الأنبياءِ السّابقِينَ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١١٦٢).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٠٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٧٥)].



أمةَ الإسلام! رسولُنا ﷺ هناكَ في غارِ حراءَ يَعبدُ ربَّه ويَخلو وحدَه.

وتعالَوا بنا لَنستـمِعَ إلى قصَّةِ بَدءِ الوَحيِ.

عن أمِّ الـمؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها قالَت: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ- قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِـمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْـمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق]. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ! مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ - وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ- فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله**



ﷺ: **أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ»**(١).

وأما الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من هذا الحديثِ فهي كثيرةٌ؛ منها على سبيلِ الـمثال:

أولاً: في الحديث فضل اعتزال أهل الشرك والسوء والمعاصي.

قالَ تعالى حاكياً عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم]، وقالَ تعالى حاكياً عن موسى عليه السَّلام: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدخان]. وقالَ ربُّنا جلَّ وعلا لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].



فعلى الـمُسلم أن يَعتزلَ أهلَ الشِّركِ والفُسوقِ والعصيانِ؛ لأنّه إنْ جَلسَ معَهم سيتأثَّرُ بهم؛ ولذلكَ **كَانَ يَقُولُ لقمانُ لابْنِهِ**: يَا بُنَيَّ لاَ تَعَلَّم الْعِلْمَ لِتُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِتُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ تُرَائِيَ بِهِ فِي الْـمَجَالِسِ، وَلاَ تَتْرُكِ الْعِلْمَ زُهْداً فِيهِ وَرَغْبَةً فِي الْجَهَالَةِ، يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْـمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِماً يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلاً يُعَلِّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ فَلاَ تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِماً لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلاً زَادُوكَ غَيًّا، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِعَذَابٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) رواه الدارمي (٣٧٧).



وقالَ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الـمُسْلِمِ، غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**»(١).

وسُئِل ﷺ: أَيُّ النَّاس أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قِيلَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ**»، وفي رواية: «**يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»(٢).

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ ﵁ قالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٣).

ومن فوائد العزلة.

أولاً: الفراغُ للعبادةِ والفكرِ، والاستئناسُ بمناجاةِ الله تعالى عن مناجاةِ الـخَلق.

ثانياً: التـخلّصُ بالعُزلةِ عن الـمعاصي التي يَتعرَّضُ الإنسانُ لـها غالباً بالـمُخالطةِ ويَسْلمُ منها في الـخلوةِ وهي أربعة:



أحدها: الغِيبة.

ثانيها: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن الـمنكر.

ثالثها: الرِّياء.

ورابعها: مُسارقةُ الطَّبعِ لـما يُشاهِدُ من أخلاقِ النَّاسِ وأعمالِهم.

ثالثاً: الـخلاصُ من الفِتَنِ والخُصوماتِ، وصيانةُ الدِّينِ والنَّفسِ عن الـخَوضِ فيها والتَّعرُّضِ لأخطارِها.

رابعاً: الـخلاصُ من شرِّ النّاس؛ من الغِيبةِ، وسوءِ الظَّنِّ بك، والتُّهمةِ عليك.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩).

(٢) متفق **عليه**: رواه البخاري (٢٧٨٦، ٦٤٩٤)، ومسلم (١٨٨٨).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٤/ ١٤٨، ١٥٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٠)].

خامساً: أن ينقطعَ طمَعُ النّاسِ عنكَ، وينقطعَ طمعُكَ عنهم.

سادساً: الـخلاصُ من مُشاهدةِ الثُّقَلاء والحمقى ومُقاساةِ أخلاقهم(١).

ثانياً: في الحديث: فضلُ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها فهي التي ضَرَبَت لنا مثلاً أعلى في الزَّوجةِ الصّالحةِ، وكيفَ أنها مثالٌ للزَّوجةِ الصّالحةِ، التي تُعينُ زوجَها على العِبادةِ، حيثُ كانَت تُـجَهِّزُ له الزّادَ فيأخُذَه ﷺ ويذهبَ إلى غارِ حِراءَ فإنْ انتهى عادَ إليها وتزوَّدَ مرَّةً أُخرى.

وهي التي رَفَعَت عنه الـهمَّ والخوفَ عندما رَجَعَ إليها بعدَ أن نَزَلَ عليه الوحيُ وقالَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**»، فقالَت له: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا.

وهي التي أَخذَت بزَوجِها وذهبَت به إلى وَرقَةَ بن نَوفلٍ حتى تُفرِّجَ عن رسولِ الله ﷺ كَرْبَه وتُطمئِنَ قلبَه أنّ ما نَزَلَ به هو الـخيرُ، وهكذا تكونُ الزَّوجةُ الصّالحةُ، تُعينُ زوجَها على طاعةِ اللهِ، فإن رَجَعَ من عَمَلِه مَهموماً حزيناً تُـخفِّفُ عنه الـهمَّ والحزنَ.

ثالثاً: في الحديث: فضلُ العلم، وأنّ الإسلام يدعو إلى العلم قبل كل شيء، ففي أول آيةٍ نَزَلَتْ من القرآنِ على رسولِ الله ﷺ تَـحثُّ على العلم وطلَب العلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق]، فيَجبُ على الـمسلم أن يتعلَّمَ دينَه من الكتابِ والسُّنّة، بفَهم سَلَفِ الأمّة؛ لأنه بالعِلم الشَّرعيِّ يُميِّزُ بينَ الإيمانِ والكفرِ، وبينَ الشِّركِ والتَّوحيدِ، وبين السُنّةِ والبِدعَةِ، وبينَ الحلالِ والحرامِ.

رابعاً: في الحديث: فضلُ ورقة بن نوفل.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ**»(٢).

(١) انظر: مقدمة «العزلة» لابن أبي الدنيا، تـحقيق الشيخ مشهور بن حسن آل سلـمان.

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٢/ ٦٦٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٠٥)].




وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ورقةَ بنِ نوفل فقال: «**رَأَيْتُهُ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ**(١)**، عَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ سُنْدُسٍ**»(٢).

خامساً: في الحديث: بيان سُنة من سنن الأمم مع منْ يدعوهم إلى الله عز وجل، وهي التَّكذيبُ والإخراجُ والقَتلُ، وهذا يُؤخَذُ من قَولِ ورقةَ: لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**».

فهذا نوحٌ عليه السَّلامُ مَكَثَ في قومِه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسينَ عاماً يدعو قومَه إلى التَّوحيدِ فقالَ لهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، فماذا قالَ له قومُه؟ قالوا: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف]، فاتَّهموه بالضَّلالِ. وقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون] فاتّهموه بالجنونِ وقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء] فهدّدوه بالرَّجم.

وهذا إبراهيمُ عليه السَّلامُ قالَ لقومِه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت]، فماذا قالوا له؟ قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت].

وهذا لوطٌ عليه السلام، نَهى قومَه عن الفاحِشةِ فماذا قالوا له: ﴿فَمَا

---

(١) أي في وسط الجنة.

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى (٢٠٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٤)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٩٤)].

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل].

وقالوا لرسولهم: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء].

وهذا شعيبُ عليه السلام يقولُ لقومه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف]، فماذا قالوا له: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف].

فهذه سُنّةٌ من سُنَنِ الأمم الكافرةِ معَ رسُلِهم ومعَ الدُّعاةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.



وقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ].

إنّها السُّنَنُ، فها همُ الكفّارُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، إن وَجَدوا قوماً يَدعونَ النَّاسَ إلى الإسلامِ الحقِّ، وَقَفوا في وجوهِهم وكذَّبوهم وقاتَلوهُم وأَخرجوهُم من بلادهِم، فلا تتعجَّبوا من ذلكَ يا عبادَ الله! فهي معركةٌ بينَ الحقِّ والباطلِ،



ولكن أخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ بأنَّ العاقبةَ للمُتَّقينَ، وأن النَّصرَ للصّالحينَ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمين إلى دينِك ردّاً جميلاً.





مرحلة الدعوة إلى الله

المرحلة الأولى: الدعوةُ إلى الله سِراً

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاء الله تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاءِ سيكونُ عن الـمَرحلةِ الأولى من مَراحلِ الدَّعوة إلى اللهِ تعالى، ألا وهي الـمَرحلة السِّرِّيّةُ في مكَّةَ.

في الجُمعةِ الـماضيةِ تبيَّنَ لنا أنّ الوحيَ نَزَلَ على رسولِنا ﷺ بغارِ حِراءَ وقالَ له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

ولـما ذَهَبَ رسولُنا ﷺ إلى وَرقةَ بن نوفلٍ وقصَّ عليه الـخبرَ قالَ له ورقةُ: (هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ)[١].

«وفَتَرَ الوحي»: أي تأخَّرَ مُدةً من الزَّمان، ولا يُعلَمُ على وجهِ التَّـحديدِ كَم دامَت مُدَّةُ انقطاعِ الوَحي، ولكن يَبدو أنّها لم تَدُم طويلاً، فقد روى ابنُ سعدٍ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما ما يُفيدُ أنها كانَت أياماً[٢].

وتأخَّرَ الوَحيُ عن رسولِ اللهِ ﷺ ليَذهبَ عنه ما كانَ وجَدَهُ من الرَّوعِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٧)، (١٢/ ٣٦٠).

وليَحصُلَ له التَشوُّقُ إلى العَودِ(١)، فلمّا حَصَلَ له ذلكَ، وأَخَذَ يَترَقَّبُ مجيءَ الوَحيِ، جاءَه جبريلُ للمَرَّةِ الثانية، فعَن جابر بن عبدالله الأنصاريّ رضي الله عنه أنه سَمعَ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ عن فَترةِ الوحي قال: «بَيْنَا أَنَا أَمْشي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَري فَإِذَا الْـمَلَكُ الَّذي جَاءَني بِحرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر]، فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ»(٢)، أي حَمِيَ الوَحيُ وتَتابعَ في النُّزولِ على رسولِ اللهِ ﷺ.

فبِالوحيِ الأول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق] ثَبتَتِ النُّبوَّةُ لرسولِنا ﷺ.

وبالوحي الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدَّثر] ثبتَتِ الرِّسالةُ لرسولِنا ﷺ.




أي: بالوَحيِ الأولِ كانَ نبيّاً، وبالثاني كانَ رسولاً.

وقبلَ أنْ نتكلَّمَ عن الـمَرحلةِ الأولى من مَراحلِ الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى ألا وهي الـمَرحلةُ السِّرِّيّة، تعالَوا بنا لنَتعرَّفَ على أقسامِ الوَحيِ، ومراتبِ الوحيِ الذي هو مَصدرُ الرِّسالةِ ومَدَدُ الدَّعوة.

فاللهُ عزَّ وجلَّ قالَ لرسولِه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، والذي نزل إلى رسولنا ﷺ -ليُبَلِّغَه إلى النّاسِ- هو الوَحيُ الذي جاءَه من اللهِ تباركَ وتَعالى بواسِطَةِ جبريلَ عليه السلام.

قالَ ابنُ القيِّم رحِمه الله وهو يَذكُرُ مَراتبَ الوَحي:

أحدها: الرُّؤيا الصَّادقةُ، وكانَت مبدأَ وحيِه ﷺ، وكانَ لا يَرى رؤيا إلَّا جاءَت مثلَ

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١)، واللفظ للبخاري.

فَلَقِ الصُّبح.

الثانية: ما كانَ يُلْقيهِ الـمَلكُ في رَوعِه وقلبه من غير أن يَراهُ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ رُوحَ الْقُدُسِ**[1] **نَفَثَ فِي رَوْعِي**[2] **أَنَّ نفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فَإِنَّ اللهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِه**»[3].

الثالثة: أنّه كانَ يَتـمَثَّلُ له الـمَلَكُ رجلاً، فيُخاطِبُه حتى يَعي عنه ما يَقولُ له، وفي هذه الـمَرتبةِ كان يَراه الصَّحابةُ أحياناً، كما في حَديثِ جبريلَ عليه السلام، عندَما سألَ النَّبيَّ ﷺ عن الإسلام، والإيمانِ، والإحسانِ، وكانَ في صورةِ رجلٍ، فلـما ولّى قالَ ﷺ: «**يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[4].

الرابعة: أنّه كانَ يأتيه في مِثل صَلْصَلَةِ الجرسِ. وكانَ أشدَّه عليه، فيتَلبَّسُ به الـملَكُ حتى إنّ جبينَهُ ليتَفصَّدُ عَرَقاً في اليَومِ الشَّديدِ البَردِ، وحتى إنّ راحِلَتَه لتَبرُكُ به إلى الأرضِ -إذا كانَ راكبَها- ولَقَد جاءَه الوحيُ مرّةً كذلكَ، وفَخِذُه على فَخِذِ زيدِ بن ثابتٍ فثَقُلَت عليه حتى كادَت تَرضُّها[5].

الخامسة: أنّه يَرى الـمَلَك في صورتِه التي خُلقَ عليها، فيُوحي إليه ما شاءَ اللهُ أنْ يُوحيَه. وهذا وَقعَ لهُ مرَّتَينِ، كما ذَكَرَ اللهُ ذلكَ في سُورةِ النَّجم.

السادسة: ما أوحاه اللهُ -وهو فوقَ السَّماواتِ- ليلةَ الـمعراجِ من فَرضِ الصَّلاةِ وغيرِها.

(١) أي جبريل عليه السلام.

(٢) أي في نفسي.

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير (٧٦٩٤) من حديث أبي أمامة، ورواه البزار (٢٩١٤) من حديث حذيفة، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٦٦)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨).

(٥) انظر الأدلة في «زاد الـمعاد» (ص٧٩، ٨٠).



السابعة: كلامُ اللهِ له منه إليه بلا واسِطةِ ملكٍ، كما كَلَّمَ اللهُ موسى بنَ عمرانَ عليه السَّلام.

نَزَلَ الوَحيُ على رسولِنا ﷺ في الـمرَّةِ الثانيةِ يَقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر]، وفي هذه الآياتِ يأمرُ ربُّنا -جلَّ وعلا- رسولَه ﷺ أن يَقومَ بدَعوةِ الناسِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

أسئلةٌ تدورُ في الذِّهنِ الآن.

من أينَ يبدأُ رسولُ اللهِ ﷺ دعوتَه؟

وكيفَ يبدأُ رسولُ اللهِ ﷺ دعوتَه؟

وإلامَ يَدعو رسولُ اللهِ ﷺ النّاس؟

هل يبدأُ رسولُ الله ﷺ دَعوتَه بقَلبِ نِظامِ الحُكمِ في مكَّةَ، ثم بَعدَ ذلكَ يَدعو النّاسَ إلى اللهِ تعالى؟

أم يَبدأُ بالبَحثِ عن الوصُولِ إلى الـمناصبِ العُليا في مكَّةَ ثم يَقومُ من خلالـها بدَعوةِ النّاسِ إلى اللهِ تعالى؟ أم أنه يُحاوِلُ أن يُسَيطِرَ على اقتصادِ مكَّةَ ليَستطيعَ من خلالِه أن يَدعُوَ النّاسَ إلى اللهِ تعالى؟

هل يَبدأُ رسولُ الله ﷺ بدعوةِ الناسِ لتَـحريرِ الأرضِ من الفُرسِ والرُّوم؟ أم يَبدأُ بدعوةِ النّاسِ لتَـحسينِ الأوضاعِ الاقتصاديّةِ؟ أم يَبدأُ بتَـحريضِ النّاسِ على وُلاةِ الأمرِ؟

والجواب:

بدأَ رسولُ اللهِ ﷺ دعوتَه بالتَّوحيدِ، والتَّـحذيرِ من الشِّركِ، كما بَدأَ الأنبياءُ قبلَه، قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل]، وما مِن نبيٍّ أُرسِلَ إلى قومِه إلَّاقالَ لهم ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف]، فبَدأَ رسولُنا ﷺ بدَعوةِ النّاسِ إلى التَّوحيدِ، ويُحذِّرُهم من الشِّركِ، ويُذكِّرُهم بيوم القيامة، ويُبيِّنُ لهم أن في هذا اليَوم يَبعَثُ اللهُ الـخلائِقَ ليُحاسبَهم على أعمالِهم ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم]. وأَخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ يُزَكّي أصحابَه بدَعوتِهم إلى كلِّ خيرٍ قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

وبدأَ رسولُ اللهِ ﷺ يدعو النَّاسَ سِرّاً إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، وتركِ عبادةِ الأوثانِ، فدَعا إلى عبادةِ الله؛ القريبَ والبعيدَ، والأحرارَ والعبيدَ، فآمنَ به حينئذٍ كلُّ لبيبٍ نجيبٍ سعيدٍ، واستـمرَّ على مُخالفتِه وعصيانِه كلُّ جبّارٍ عَنيدٍ، فكانَ أولَ من بادَر إلى التَّصديقِ من الرِّجالِ الأحرارِ: أبو بكرٍ الصِّدّيق، ومن الغِلمان: عليُّ ابنُ أبي طالبٍ، ومن النساء: خديجةُ بنتُ خويلدٍ زوجتُه عليها السلام، ومن الـموالي: مَولاه زيدُ بن حارثةَ، وأَخذَ رسولُ اللهِ ﷺ يَدعو النّاسَ في مكَّةَ إلى الله سِرّاً، لا يَصطَدِمُ بكفّارِ مكَّةَ ولا يَتدخَّلُ في آلهتِهم.



وهذه أمثلة على ذلك:

فهذا عمرو بن عَبَسةَ السُّلميُّ يُخبِرُنا عن إسلامِه فيَقولُ:

(كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي



فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**». فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلاَ تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـمَدِينَةَ وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْـمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَىَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْـمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْـمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ...)[1].




الشاهدُ أنَّ الرَّسولَ ﷺ كانَ في الـمَرحلةِ الأولى يَدعو النّاس سِرّاً.

وهذا عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يُخبِرُنا عن إسلامهِ فيقول:

(كُنْتُ غُلاَمًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ فَقَالاَ: «**يَا غُلاَمُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا**» قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا.

فَقَالَ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: «**إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ**» قَالَ:

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٣٢).



فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ)[١].

والمرحلةُ الأولى في مكَّةَ في الدَّعوةِ إلى اللهِ كانت سِريَّةً، والسَّببُ في ذلكَ: أنَّ كفَّارَ مكَّةَ كانوا لا يسمحونَ لأحدٍ أن يَعتَديَ على آلهتِهم، وأن يأتيَ بدينٍ غيرِ الذي هُم عليه؛ ولذلكَ بدأَ النَّبيُّ ﷺ بالدَّعوةِ سِرّاً.

وسيتبيَّنُ لكم -إن شاء الله- أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يأمرُ رسولَه أن يَصدَعَ بالدَّعوةِ فيَدخُلَ في الـمرحلةِ الجَهريّة.

فكثيرٌ من الجَماعاتِ التي سَلكَت طريقاً غيرَ طريقِ الـمُصطفى ﷺ يبدؤونَ دعوتَهم الـمُنحرِفةَ سِرّاً ويَظنُّونَ أنهم بذلكَ يتأسَّونَ برسولِ اللهِ ﷺ.

نقولُ لهم: لا، أنتـم تَعيشونَ في مُجتـمعٍ مُسلم، تَستطيعونَ أن تقولوا: «لا إله إلّاالله» وتُـحافظوا على الصَّلاة، وتُعَلِّموا الناسَ دينَهم، وتدعوا النّاسَ إلى التَّوحيدِ لا يَمنعُكُم أحدٌ من ذلك.



ومن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ مما سمعنا:

في قولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدّثر] أنه على الدُّعاةِ الـمخلِصينَ أن يَقوموا لهذا الدِّينِ، فاللهُ سبحانَه وتعالى يقولُ لرسولِنا ﷺ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾.

فعلى الدُّعاة أن يَدعو النّاسَ إلى عبادةِ اللهِ وإلى عقيدةِ التَّوحيدِ كما بَدَأَ رسولُ اللهِ ﷺ، فكثيرٌ من النّاسِ يُصَلّي وهو يُشرِكُ باللهِ، وكثيرٌ من النّاس يُصَلِّي وهو يَذهبُ إلى السَّحَرةِ والمُشعوذِينَ، وكثيرٌ من النّاسِ يصلّي وهو يَخافُ ويعتقدُ أن السّحَرةَ والمُشعوذينَ يَضرُّونَ ويَنفعونَ وهذا شِركٌ.

(١) حسن: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٥٠-١٥١)، وأحمد (١/ ٤٦٢)، وأبو يعلى (٤٩٨٥)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٢٤)].



على الدُّعاةِ إلى اللهِ أن يكونوا قُدوةً للنّاسِ، فيَعملوا بهذا العلمِ، ويتأسَّوا برسولِ اللهِ ﷺ، فحرامٌ على الدّاعي إلى اللهِ أن يَضَعَ آلاتِ اللَّهوِ في بيتِهِ، وحرامٌ على الدّاعي إلى اللهِ أن يَضَعَ أمواله في البُنوكِ ليُرابيَ بها، وحرامٌ على الداعي إلى اللهِ أن يقولَ ما لا يَفعلُ.

على الدُّعاةِ الـمخلصِينَ أن يَقوموا لهذا الدِّينِ ولا يَطلبوا أجراً من النّاسِ، فأجُرهم على اللهِ وأجرُهم عندَ الله، وأن يبدؤوا بالعقيدةِ والتَّوحيدِ كما بدأَ النَّبيُّ ﷺ.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.





مرحلة الدعوة إلى الله

المرحلة الثانية: الدعوة إلى الله جهراً

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاءِ، سيَكونُ عن الـمَرحلةِ الثّانيةِ من مَراحلِ الدَّعوة إلى اللهِ تعالى؛ ألا وهي الـمَرحلةُ الجَهريّة.

فها هو رسولُ اللهِ ﷺ في مكّةَ يدعو النَّاسَ سِرّاً، وبَقِيَ على ذلكَ حتّى أمرَهُ اللهُ أن يجهَرَ بدعوتهِ.

عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما قالَ: لـما نزلَت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَـمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فقال ﷺ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فنزلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾[1].

والتبُّ هو: الـهَلاكُ والخُسرانُ.

وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: لـمّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] دَعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «**يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).



مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَـمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: **«يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»**[٢].

وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ حينَ أُنزل عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، **«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ! بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»**[٣].

فهذه دَعوةٌ جَهريَّةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ للجَميعِ أن يُؤمِنوا باللهِ تباركَ وتعالى وحدَه.

ومَضى رسولُ اللهِ ﷺ يُبلِّغُ رسالةَ ربه جَهراً، وأَخذَ ﷺ يَدعو النّاسَ إلى عبادةِ اللهِ في كلِّ مكانٍ، وبَدأَ يَجهَرُ بصلاتِه وقراءةِ القرآنِ أمامَ الكُفّارِ، وأَخذَ الضُّعفاءُ والمَساكينُ يؤمنونَ باللهِ عزَّ وجلَّ، ويتَّبعونَ رسولَ اللهِ ﷺ على هذا الدِّينِ الذي بَعثَه

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).




اللهُ به، وأَخذوا يزدادونَ يوماً بعدَ يوم.

ومن أسلَم في مَرحلةِ الدَّعوةِ الجَهريَّةِ في مكَّةَ أبو ذرٍّ الغِفاريُّ ﷺ.

ويُؤخَذُ من الرِّواياتِ الصَّحيحةِ أنّ أبا ذَرٍّ ﷺ كانَ مُنكراً لحالِ الجاهليَّةِ، يأبى عبادةَ الأصنامِ، ويُنكِرُ على منْ يُشرِكُ باللهِ، وكانَ يُصلِّي للهِ قبلَ إسلامهِ بثلاثِ سنواتٍ دونَ أن يَخُصَّ قِبلَةً بعينِها بالتوجّه، ويبدو أنه كانَ متأثِّراً بالأحنافِ، ولـما سَمِعَ بالنَّبيِّ ﷺ قَدِمَ إلى مكَّةَ، وكَرِه أن يَسألَ عنه حتى أدركَهُ اللَّيل، فاضطجَعَ فرآه عليٌّ ﷺ فعَرَفَ أنه غَريبٌ، فاستضافَه ولم يَسألْهُ عن شيءٍ، ثم غادَرَه صباحاً إلى الـمسجدِ الحرام فمَكثَ حتى أَمسى، فرآه عليٌّ فاستضافَهُ للَيلةٍ ثانيةٍ، وحَدَثَ مثلُ ذلكَ في اللَّيلةِ الثالثةِ، ثم سأَلَه عن سَبَبِ قُدومِه فلـما استوثَقَ منه أبوذَرٍّ، أخبرَه بأنه يُريدُ مقابلةَ رسولِ الله ﷺ فقالَ له عليٌّ: «فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ الله، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْـمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِه وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْـمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّأمِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ**»[1].

اجتـمعَ كفّارُ مكَّةَ من أجلِ التَّشاورِ في كيفيَّةِ صَرفِ النَّاسِ عن هذا الدِّين الجديدِ، وفي كيفيَّةِ صَرفِ محمَّدٍ ﷺ نفسه عن هذه الدَّعوةِ الجديدةِ، فزيَّنَت لهم شياطينُ الإنسِ والجنِ أساليبَ كثيرةً منها:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).




السُّخريةُ والاستهزاءُ والتَّـحقيرُ والتَّضحيكُ بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابه، القَصدُ بذلك تَـخْذيلُ الـمُسلمِينَ وتوهينُ قِواهمُ الـمعنويَّةِ وصدُّ الناسِ عن الدِّينِ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾[المطفِّفين]، فاللهُ عزَّ وجلَّ يُعاقِبُ الكفّارَ بجنسِ ما فَعلوا يومَ القيامةِ فقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[المطففين]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾[المؤمنون].

ومنها: إثارة الشكوك والشُبهات حولَ النَّبيِّ ﷺ نفسِه ليَصدُّوا الناسَ عن

هذا الدِّين، فتارةً يتَّهمونَ رسولَ اللهِ ﷺ بالجُنون، قالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر]. وقالَ تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾ [القلم]. فردَّ اللهُ عليهم هذه الفِريةَ. فقالَ تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ [التكوير]. وقالَ تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم].

وتارةً يتَّهمونَه بالسِّحرِ والكَذِبِ والشِّعرِ والكِهانةِ، قالَ تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾ [ص]، وقالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨﴾ [الفرقان]، فردَّ اللهُ عليهم هذه الافتراءاتِ بقولِه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾ [الحاقة].



وأخذَ كُفَّارُ مكَّةَ يتَّهمونَ رسولَ اللهِ ﷺ بالاتِّهاماتِ الكاذبةِ ليَصدُّوا الناسَ عن الإيمانِ به، وجاءَ رجلٌ إلى مكّةَ فسَمِعَهم يقولونَ عن محمَّدٍ ﷺ: إنه مجنونٌ، فذهبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ليَرقيه، فلما جلَسَ عندَ النَّبيِّ ﷺ وسَمِعَ كلامَه آمنَ به واتَّبعَه.

عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي[1]

(١) من الرقية وهي العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة.

مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ(١)، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّى رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِى عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ؟(٢)

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ**».

قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(٣)، فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَى قَوْمِكَ**» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ شَيْئًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمُ ضِمَادٍ(٤).

انظروا عبادَ الله! أرادوا أن يَصُدُّوا النَّاسَ عن رسولِ اللهِ باتِّهامه أنه مجنونٌ، فكانَ ذلكَ سبباً لدُخُولَ النّاسِ في دينِ اللهِ أفواجاً.

وأما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ مما سمعنا فهي كثيرة منها:

أولاً: لا مجالَ للسِّرِّيّةِ والكتمانِ والخفاءِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى، وذلكَ بعدَ أن أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] وقولِه تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر]، فاللهُ عزَّ

(١) المراد بالريح، هنا، الجنون ومس الجن.

(٢) أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها.

(٣) أي وسطه ولجته.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٨).




وجلَّ أظهَرَ دينَه وأعلى كلِمتَه وعرَّفَ الإسلامَ، وأُرسِيَت قواعدُه ومبادِئُه، وعَرَفها القاصي والدّاني، وسَمِعَ بها القَريبُ والبَعيدُ، فلا مَجال للسِّرِّيةِ، ولا مجالَ للكتمانِ، ولا مجالَ للخَفاءِ.

وكانَ السَّلَفُ الصّالِحُ رضوانُ اللهِ عليهم يُنكِرونَ السِّرِّيةَ ويَعيبونَها وأهلَها الذين يُسرُّونَ بدعوتِهم ويَدعونَ النّاسَ بينَ الجُدرانِ في ظلامِ اللَّيل، فدينُنا ليسَ فيه شيءٌ للخَواصِّ وشيءٌ للعَوامِّ، إنما الإسلامُ يَدعو النّاس جَميعاً أن يكونوا عباداً للهِ، فمنْ دَعاكَ إلى العَقيدةِ الصَّحيحةِ فأجبه، ومنْ دعاكَ إلى درسِ علمٍ في بيتِ اللهِ فأجبه، ومن دَعاكَ إلى اجتماعٍ في ظُلمةِ اللَّيلِ، وأَخبرَكَ أن هذا خاصٌّ لا يَجوزُ أن تَنقُلَه إلى العَوامِّ؛ فلا تُجبه، فإنه حِزبيٌّ مُبتدِع.

عن عمرَ بن عبدِالعزيز رضي الله عنه قال: (إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يتناجَوْنَ بشيءٍ دُونَ العامّةِ فاعلمْ أَنَّهم على تَأْسِيسِ ضَلَالَةٍ)(١).

ولما مدحَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ السُنّةَ وأهلَها، وذمَّ البدعةَ وأهلَها قال: (فبانَ بما ذَكرنا أن المُبتدعَةَ هم الذين يَقولون شيئاً لا يُعرَفُ من قَبلُ ولا مُستندَ له ولهذا أسرُّوه وكتَموه، وأما أهلُ السُنَّةِ فقولُهم مشهورٌ وطريقتُهم ظاهرةٌ ولهمُ العاقبةُ بإذنِ الله تعالى)(٢).

كيفَ لا! والله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف].

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٣).



(١) رواه الدارمي (٣٠٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٥٢).
(٢) «تلبيس إبليس» (ص١٧-١٨).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٠).



ثانياً: أنه لا تَزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرى، فالرَّسولُ ﷺ يقولُ لأقربِ النّاسِ له: «**يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله! لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله! سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا**»(١)، فالنَّسَبُ والقَرابةُ لا ينفعان صاحبَهما يومَ القيامةِ؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون].

وقالَ تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة]. وقالَ تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم].

وبيَّن لنا ربُّنا جلَّ وعلا أنّ الصِلاتِ والأنسابَ والأرحامَ لا تنفعُ أصحابَها يومَ القيامة.

قالَ تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم].

لكن يُستثنى من ذلكَ قرابةُ ونسبُ المسلمينَ، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[الطور] ، ولقوله ﷺ: «**كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي**»(١).

ثالثاً: الـمكرُ السَّيِّءُ لا يَحِيقُ إلَّابأهلِه، فالكُفّار في مكَّةَ مكَروا برسولِ اللهِ ﷺ، واتَّهموه بالجُنونِ ليَصُدُّوا الناسَ عن سبيلِ اللهِ، فلـما قَدِم ضِمادٌ رضي الله عنه إلى مكَّة قالوا له: إنَّ محمداً مجنونٌ؛ فذَهبَ إليه ليَرقِيَه؛ فلـما سَمِعَ من النَّبيِّ ﷺ آمنَ به واتَّبعَه.

وفي هذا الزَّمانِ قد مكرَ الكفّار بالإسلامِ والمسلمِينَ، يُريدونَ أن يُشَوِّهوا صورةَ الإسلامِ بوسائلِ الإعلامِ، ولكن كانَ عكسَ ما أرادوا فللهِ الحمدُ والمنَّة، النّاسُ في هذا الزَّمانِ قد أَقبلوا على الصَّلاةِ أكثرَ من ذي قبلُ، وقد أقبلَ طُلّابُ العلمِ على دروسِ العلمِ، وقد دَخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أكثرَ من قَبلُ، ذلك حتى تَعلَمَ أيُّها الـمسلمُ أنَّ الـمكرَ السيِّءَ لا يحيقُ إلَّابأهلِه، فهم يَمكُرونَ ويَكيدونَ وأنتَ يا ربَّنا ماذا تَفعلُ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾[الطارق]، وقالَ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف].




اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّباعَه وأرِنا الباطلَ باطِلاً وارزُقنا اجتنابَه.

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط (٥٦٠٦، ٦٦٠٩)، وفي الكبير (٢٦٣٣-٢٦٣٥) من حديث عمر بن الـخطاب، وأخرجه الطبراني في الكبير أيضا (١١٦٢١) من حديث ابن عباس، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٣٦)].

١١

أسلوب جديد من أساليب كفار مكة في الصدِّ عن دين الله، ألا وهو أذية قريش لرسول الله ﷺ

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاءِ سيكونُ عن أسلوبٍ جديدٍ من أساليبِ كفّارِ مكَّةَ في الصَّدِّ عن دينِ اللهِ، ألا وهو أذيةُ قريشٍ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فها هو رسولُنا في مكَّةَ يَدعو النّاسَ إلى دينِ الله، ويقولُ لهم: قُولوا: لا إله إلَّاالله تُفلحوا، والنّاسُ يَدخُلونَ دينَ اللهِ، واجتـمعَ كفّارُ مكَّةَ للتَّشاوُرِ في كَيفيَّةِ صَرفِ النَّاسِ عن هذا الدِّينِ الجديدِ، وفي كيفيَّةِ صَرفِ محمَّدٍ ﷺ عن دَعوَتهِ الجديدةِ، فزيَّنَت لهم شَياطينُ الإنسِ والجنِّ أساليبَ؛ منها:

- الاستهزاءُ والسُّخريةُ والتَّـحقيرُ والتَّضحيكُ بالرَّسولِ ﷺ وأصحابهِ، ولكنَّهم فَشِلوا في ذلكَ.
- ومنها: إلقاءُ الشُّبهاتِ والشُّكوكِ والتُّهَم على رسولِ الله ﷺ؛ ليَصُدُّوا النَّاسَ عن الإيمانِ به، ولكنَّهم فَشِلُوا في ذلكَ أَيضاً.

فانتقلَ كفّارُ مكَّةَ إلى أسلوبٍ جديدٍ للصَّدِّ عن دينِ اللهِ، ألا وهو الاعتداءُ على رسولِ اللهِ ﷺ بالقَولِ والفعلِ والسَّبِّ والقَتلِ والتَّـخويفِ، ولذلكَ قال ﷺ: **«لَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبِطُ بِلَالٍ»**[١].



(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ٢٨٦)، واللفظ لابن ماجه، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨١)].



ومِن أذيَّةِ قُريشٍ لرَسولِ الله ﷺ بالقَولِ: ما رواه ربيعةُ بنُ عبّادٍ من بني الدَّيلِ -وكان جاهلياً فأسلم- قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْـمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا لِي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ(1).

وفي روايةٍ أُخرى قالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بذي الـمَجاز يتَّبعُ النّاسَ في منازِلِهم يَدعوهُم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ووراءَه رجلٌ أَحولُ تقِدُّ وجنتاهُ وهو يقولُ: أيُّها النّاسُ! لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينِكم ودينِ آبائِكم، قلت: مَن هو؟ قالوا: هذا أبو لَهبٍ(2).

مثالٌ آخر!

عن أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنها قالت: لَـمَّا نزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد]؛ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وفي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمٌ أَبَيْنَا، وَدِينُهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، ورَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْـمَسْجِدِ، ثُمَّ قَرَأَ قُرْآنًا، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ، قال: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي، وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء:٤٥]، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقالت: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي؟ فَقَالَ: لَا، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، قال: فَوَلَّتْ، وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا(3).




(١) **جيد**: رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، والطبراني (٤٥٨٢، ٤٥٩٠)، والحاكم (١/ ٦١)، واللفظ لأحمد، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤٢-١٤٣)].

(٢) **حسن**: رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٥)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤٣)].

(٣) **صحيح**: رواه الحميدي (٣٢٣)، وأبو يعلى (٥٣)، والحاكم (٢/ ٣٩٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٣٧)].



وقال ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»(١).

وكفّارُ مكَّةَ يؤذونَ رسولَ اللهِ ﷺ بألسنتِهم، فهذا يقولُ: إنّه ساحرٌ، وهذا يقولُ: إنّه كاهنٌ، وهذا يقول: إنّه كذّابٌ، وهذا يقول: إنّه شاعرٌ، والنَّبيُّ ﷺ يَضيقُ صدرُه بما يقولونَ، ويحزَنُ على ما يَسمَعُ منهم، وعلى كفرِهم وإعراضِهم، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ربطَ على قلبِهِ، فكانَ الوَحيُ يَنزِل عليه يُواسيهِ ويُعزِّيهِ ويُسَدِّدُه ويُثبِّتُه، ويُؤكِّدُ له أنَّ العاقبةَ له:

قالَ تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]، وقالَ تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾[يس]، وقالَ تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾[الطور]، وقالَ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، فأخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ أنَّ هذا الذي تَسمَعُه من كفّارِ مكَّةَ؛ هو الذي تقولُه الأممُ المكذِّبةُ لرسُلِها من قَبلُ، ولذلكَ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِهِ ﷺ مُواسياً: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور].

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٥٣٣).

وعن جُندبَ بن سفيانَ قالَ: اشْتَكى رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَجاءَتْ امْرَأَةٌ فَقالَتْ: يا مُحَمَّدُ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى][1].

وكفّارُ مكَّةَ يُؤذونَ رسولَ اللهِ ﷺ بألسنتِهم، ورسولُ اللهِ ﷺ يبلِّغُ دينَ اللهِ، ويَدعو النّاسَ إلى عبادةِ الله، ويقولُ للنّاسِ: «**قولوا: لا إله إلّاالله تفلحوا**» والنّاسُ يُقبلونَ على هذا الدِّينِ، ويتَّبعونَ رسولَ الله ﷺ فاجتـمعَت قريشُ مرَّةً أُخرى للتَّشاوُرِ في كيفيَّةِ صَرفِ محمَّدٍ ﷺ عن دعوتِه، فقرَّروا أن يَنتقلوا من أسلوبِ الشَّتـمِ والسَّبِّ إلى أُسلوبٍ أشدَّ، وهو البَطشُ والتَّعذيبُ والفَتكُ بالنَّبيِّ ﷺ، ولذلكَ قالَ ﷺ «**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ**»[2].



ومن صور هذا الاعتداء:

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ[3] جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعَهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ. لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ الله ﷺ، والنبي ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ -وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ- فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلاتَهُ رَفَعَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ٢٨٦)، واللفظ لابن ماجه، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨١)]

(٣) هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة.



صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا. وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ،وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**».

قالَ ابنُ مسعودٍ: فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ[١].

ثم قالَ ﷺ: وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً[٢]، وقام عليهم يناديهم: «**يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِيَ اللهُ حَقًّا، قَالَ عُمَرُ:يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ:مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**»[٣].



أسمعَهُم اللهُ عزَّ وجلَّ توبيخَ رسولِ اللهِ ﷺ[٤].

وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ.

فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي؛ زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا».فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤)، واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٣).

(٤) هذا من قول قتادة الذي رواه البخاري (٣٩٧٦) ولفظه: (أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما)

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾[العلق][1].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قالَ: مَرَّ أَبُو جَهْلٍ (بالنبي ﷺ وهو يصلي) فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ، فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِـمَ تَنْتَهِرُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي فَقَالَ جِبْرِيلُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾[العلق]. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ[2].

إيذاءٌ واعتداءٌ من كفّار مكَّةَ على رسولِ اللهِ ﷺ، ويا ليتَ الأمرَ توقّفَ عندَ ذلكَ، ولكنَّهم قرَّروا أن يقتُلوا رسولَ اللهِ ﷺ.

عن عروةَ بنِ الزُّبَيرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْـمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر:٢٨][3].

وحَزِنَ النَّبيُّ ﷺ حُزناً شَديداً؛ لـما يَفعلُه كفّارُ مكَّةَ من الاعتداءاتِ عليه وعلى أصحابِه، فما كانَ اللهُ ليَترُكَه حزيناً، بل أَراهُ من الآياتِ وخَوارقِ العاداتِ ما



(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨)، وأحمد (١/ ٢٥٦)، واللفظ لأحمد، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٥)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٥٦).



رَبطَ به على قلبهِ وثبَّتَه، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالدِّمَاءِ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا، فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حَسْبِي**»(١).



ومَضى رسولُ الله ﷺ يُبلِّغُ رسالةَ ربِّه، ويَدعو النّاسَ إلى دينِ الله صابراً مُحتَسِباً، واقِفاً عندَ أمرِ ربِّه: ﴿**فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩**﴾[الزخرف].

فرسولُنا ﷺ على خُلُقٍ عظيمٍ كما شَهِدَ له ربُّه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤**﴾ [القلم] ، فقد كانَ كُفّارُ مكَّةَ يَعتدونَ عليه بالسَّبِّ والشَّتمِ والضَّربِ، ومع ذلكَ كانَ لا يَنتقِمُ لنفسِه أبداً، بل جاءَه جبريلُ فقالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

رسولٌ كريمٌ، إنها أخلاقُ النُّبوَّةِ، ويَجِبُ على الدُّعاةِ أن يَتأسَّوا برسولِ الله ﷺ في الصَّبرِ على أذى الكفّارِ، وأن يَمضوا في الدَّعوةِ إلى هذا الدِّينِ العظيمِ.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه(٤٠٢٨)، وأحمد (٣/ ١١٣)، والدارمي (٢٣)، واللفظ لأحمد، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٣٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) واللفظ لمسلم.



تعالَوا بنا لنَنظُرَ إلى هذا الـخُلُقِ العظيم من رسولِ اللهِ ﷺ، وكفّارُ مكّةَ يجتهدون في إيذائه بالقَولِ والفعلِ، ومع ذلكَ فهو يعفو ويَصفَح.

عن عُروةَ قالَ: قلتُ لعبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاص: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ الله فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَته؟ فقال: حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ! سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلكَ فِي وَجْهِه، ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلكَ فِي وَجْهِه، ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «**أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟! أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**» فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِه طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنْ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَالله مَا كُنْتَ جَهُولًا، قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلكَ إِذْ طَلَعَ ﷺ، فَوَثَبُوا إِلَيْه وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِـمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَيَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلكَ**».

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِه، قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا**




يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ [غافر:٢٨]؟! ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالَت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

فقال ﷺ: «**قَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ** (أي الجبلين)!

فَقَالَ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٢].

اللهُ أكبرُ، إنّها أخلاقُ النُّبوَّةِ، إنّه العفوُ والصَّفحُ، فهكذا يا دعاةَ الإسلام تعلَّموا الصَّبرَ، وأقبلوا على اللهِ عزَّ وجلَّ، وادعُوا النّاسَ إلى هذا الدِّين بالحكمةِ والمَوعظةِ الحسَنة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينك ردّاً جميلاً.



(١) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٢١٨)، وابن حبان (٦٥٦٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤٨)]

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).





أذيّة قريش لأصحاب رسول الله ﷺ

أيها الإخوةُ عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ.

وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ عن أسلوبٍ جديدٍ من أساليبِ الصَّدِّ عن دينِ اللهِ؛ ألا وهو أذيَّةُ قريشٍ لأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فها هو رسولُنا ﷺ في مكَّةَ يَدعو النّاسَ جَهراً إلى (لا إله إلّاالله) وإلى عبادةِ اللهِ، ويُحذِّرُهم من الشِّركِ، وكفّارُ مكَّةَ يَعملونَ باللَّيلِ والنَّهارِ؛ ليَصُدّوا الناسَ عن هذا الدِّينِ الجَديدِ، فهم يَنتقلونَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ؛ لمنعِ النّاسِ من الدُّخولِ في هذا الدِّينِ الجديدِ.



فقد بيَّنا في الجُمعةِ الـماضيةِ كيفَ اعتدَوا على رسولِ اللهِ ﷺ ليَصدُّوه عن دعوتِه الجديدةِ، ولكنَّهم فَشِلوا في ذلكَ.

وها هم يَنتقلونَ إلى أسلوبٍ جديدٍ، ألا وهو الاعتداءُ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ليَصدُّوهم عن هذا الدِّينِ الجَديدِ.

فتعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى صورٍ من الاعتداءاتِ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في مكَّةَ.

أولاً: عن عبدِالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ،وَالْمِقْدَادُ؛ فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ،



وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْـمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ(١).

ثانياً: عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مرَّ بعمّارٍ وأهلِهِ وهُم يُعذَّبونَ، فقال: «**أبشروا آل عمارٍ و آل ياسرٍ فإنّ موعدَكم الجنة**»(٢).

وفي عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأمثاله أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل]، فهؤلاء كانوا معذورِينَ بما حَصَلَ لهم من الإهانةِ والعذابِ البليغ(٣).




ثالثاً: وعن عبدِالرَّحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه قالَ: جَلَسْنَا إِلَى الْـمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَوْمًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَاللهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ، فَاسْتُغْضِبَ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ، مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا يَحْمِلُ الرَّجُلَ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مَحْضَرًا غَيَّبَهُ اللهُ عَنْهُ لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ فِيهِ! وَاللهِ لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَقْوَامٌ أَكَبَّهُمُ اللهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللهَ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ مُصَدِّقِينَ لِـمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ قَدْ كُفِيتُمْ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ، وَاللهِ لَقَدْ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٣٨)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٤)].

(٣) «صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٥).

فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِه، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا وَقَدْ فَتَحَ اللهُ قُفْلَ قَلْبِهِ لِلْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ وَأَنَّهَا لَلَّتِي قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان][1].

والشاهدُ من كلام المقداد، أنّه طلب من الرجل أن يَحمدَ اللهَ عزَّ وجلَّ، فإنّه كانَ في أولِ الإسلام من الناسِ من رأى رسولَ اللهِ ﷺ وشَهِدَه، ومع ذلك لم يتَّبِع رسولَ اللهِ ﷺ، ولم يُجبه وأكبَّهم اللهُ على مناخِرِهم في النّارِ، ومن النّاسِ من تَعرَّضَ للبلاءِ بِسبَبِ إيمانِهِ؛ فيَقولُ لهم: احمَدوا الله بأنكم لم تَتعرَّضوا للبلاءِ الذي تَعرَّضنا له في أوّلِ الإسلامِ.



رابعاً: وعن قَيسِ بنِ أبي حازم رحمَه اللهُ قالَ: «سمعت سعيد بن زيد في مسجد الكوفة يقول: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ[2].

وقوله: وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الْإِسْلَامِ: أي: إنَّ عمرَ رضي الله عنه ربطَه بسَببِ إسلامِه، إهانةً له، وإلزاماً بالرُّجوعِ عن الإسلامِ، وكانَ ذلكَ قبلَ إسلامِ عمرَ.

شِدّةٌ وَعذابٌ وابتلاءٌ لا يَعلمُه إلَّا اللهُ نزلَ بالصحابة بسبب إيمانهم.

خامساً: وعن خَبّابِ بنِ الأرتِّ رضي الله عنه قالَ:

كُنْتُ قَيْنًا[3] فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَرَاهِمُ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧)، وابن حبان (٦٥٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٢).

(٣) **القين**: هو الحداد والصائغ (نهاية).



فَقَالَ: لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثَكَ، قَالَ:فَدَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ ثُمَّ أُبْعَثَ فَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا ثُمَّ أَقْضِيكَ، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم][1].

سادساً: وعن أبي ليلى الكِندِيِّ قالَ: جاءَ خَبّابُ إلى عُمرَ فقالَ: ادْنُ فَمَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْـمَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا عَمَّارٌ، فَجَعَلَ خَبَّابٌ يُرِيهِ آثَارًا بِظَهْرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْـمُشْرِكُونَ[2].

سابعاً: وعن خَبّاب بن الأرتِّ ﵁ قالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[3].

و في هذا الحديث دروس وعظات وعبر منها:

أولاً: الابتلاءُ سُنَّةٌ من سُننِ اللهِ في هذا الكَونِ ليميزَ اللهُ الـخبيثَ من الطيِّبِ، وليُمحِّصَ اللهُ الذين آمنوا، ويَمحقَ الكافرينَ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٢٥)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٦٥)،وابن ماجه (١٥٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٧)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).



قالَ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت]، وقالَ تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران].

ومن فوائدِ الابتلاءِ: تمحيصُ المؤمنِينَ ومَحقُ الكافرينَ ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾ [الأنفال].

ولذلك قالَ تعالى للمؤمنِينَ الصّادقِينَ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران:١٣٩-١٤٢].

ومن أجلِ ذلكَ ربّى النّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمّتَه على الصَّبرِ على البلاءِ، فقالَ




لخبّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**».

تربيةٌ على الصَّبرِ على البلاءِ.

وكانَ صلى الله عليه وسلم يمرُّ على أصحابِه وهم يُعذَّبونَ فيقولُ لهم: «**صَبراً آلَ ياسر! فإنَّ موعِدَكُم الجنة**»[(١)].

الصَّبرُ وعدمُ الاستعجالِ هو طريقُ النَّصرِ.

ولذلكَ بعد أن ربَّى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه على الصَّبرِ على البلاءِ؛ بأن ضَربَ لهم مثلاً بالمسلمِينَ الأوَّلِينَ من الأممِ السّابقةِ، وما نالَهم من التَّعذيبِ؛ ليكونوا أُسوةً لهم، وبعدَ أن بَشَّرَهم بأنَّ النَّصرَ والتَّمكينَ والعاقبةَ لهم، حَذَّرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه من الاستعجالِ «لأنّ من استعجلَ الشيء قبل أوانِهِ عُوقبَ بحِرمانِهِ».

ولذلك قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لخبابِّ بن الأرتِّ: «**وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[(٢)]

وقالَ صلى الله عليه وسلم لابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «**واعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[(٣)].

وبالصَّبرِ وعدمِ الاستعجالِ أمرَ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم كما أمرَ الأنبياءَ من قبلِه.

قال تعالى: ﴿**فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾**﴾ [الأحقاف]، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾**﴾ [مريم]، وقالَ تعالى: ﴿**فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا**




---

(١) **حسن صحيح**: رواه الحارث بن أبي أسامة(١٠١٦- بغية)، وأبو نعيم في الحلية(١/ ١٤٠)، وابن عساكر(٤٣/ ٣٦٩)، [«فقه السيرة» (ص١٠٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، وعبد بن حميد (٦٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].



﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر].

والصَّبرُ وعدمُ الاستعجالِ هو الطريقُ إلى النَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ، أما الطُّرُقُ العَوجاءُ التي ابتدعَها دُعاةُ الاستعجالِ، فهي لا تُسمِنُ ولا تُغني من جوعٍ، وهي لا تَزيدُ الـمسلمينَ إلَّا ضَعفاً.

وثَمَّة سؤالٌ يَطرحُ نفسَه: هل يجوزُ للمُسلمِ أن يَطلُبَ البلاءَ ويَحرِصَ عليه ويسَعى إليه؟

فكثيرٌ من الشَّبابِ يظنُّونَ أنهم إذا صَعَدوا الـمنابرَ، وإذا وقَفوا في الأسواقِ أمامَ النّاسِ، وسبُّوا على الحكّام وعلى أولياءِ الأمورِ، وأُخِذُوا ووُضِعُوا في السُّجونِ، يَظنُّون أنهم بذلكَ قد خَدَموا الدِّينَ، وجاهدوا في سبيل الله.

والجواب: لا! لا يَجوزُ للإنسانِ أبداً أن يَسعى إلى البلاءِ، ولا أن يُعَرِّضَ نفسَه له؛ لأنه لا يَدري إذا نزلَ به البلاءُ أيثبُتُ على دينِه أم لا؟ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن ذلكَ.



فقد لَقِيَ النَّبيُّ ﷺ العَدوَّ في بعضِ أيامهِ فانتظرَ حتى إذا مالَت الشَّمسُ قامَ فخَطَبَ في أصحابهِ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**»(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنّه قامَ يوماً على الـمَنبرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْـمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «**اسْأَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنْ الْعَافِيَةِ**»(٢).

وعن عبدِاللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنه قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٥٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٧١٨)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٧)].



حِينَ يُمْسي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي-وَقَالَ عُثْمَانُ: عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي- اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(١).

فيا معشرَ الشَّبابِ! هوِّنوا على أنفسكم، ليسَ الاضطهادُ والتَّعذيبُ شرطاً لِصحَّةِ الإيمانِ، ولا شَرطاً لكمالِهِ حتى تَنشُدوه وتَسعَوا إليه، ويقومُ قائمُكم بينَ ظَهرانِي النّاس فيَسبَّ الحاكمَ أو يَشتُمَه، أو يُحرِّضَ الناسَ عليه، ويَدعو الناسَ للخُروجِ عليه حتى يُؤخَذَ ويُودَعَ في السُّجونِ ويُعذَّبَ، يظُنُّ أنه قد عَمِلَ شيئاً أرضى الله به، لا واللهِ! قد نُهينا عن ذلكَ، وما يُدريكَ إذا تَعرَّضتَ للبلاءِ أتصبرُ أم لا؟ ما يُدريكَ إذا تعرَّضتَ للبلاءِ فنزل بك أن تُفتنَ عن دينِكَ وتَرجعَ عن الإسلام بعدَ أن هُديتَ إليه؟ أما عَلِمتَ أنّ الله تعالى قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾[العنكبوت].




والرَّسُول ﷺ قالَ: **«لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ»**(٢).

ثانياً: ومن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذا الحديث العظيم النصر للمؤمنين، والعاقبة للمتقين، والمستقبل لهذا الدين.

رسولُنا ﷺ في مكَّةَ يَدعو النَّاسَ إلى عبادةِ اللهِ، ويحذِّرُهم من الشِّركِ،

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى(١٠٤٠١)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٢/ ٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٥٩)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٤٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٦١٣)]

والصَّحابةُ الكرامُ ﭬ يُعانونَ أشدَّ ألوانِ الأذى، والرَّسولُ ﷺ يمرُّ على أصحابِهِ، وهم يُعذَّبونَ بأيدي الكفّارِ فيَأمرُهم بالصَّبرِ ويُبشِّرُهم بالجَنَّةِ ويُخبِرُهم أنَّ النَّصرَ لهم وأنَّ العاقِبةَ لهم وأنَّ الـمُستقبلَ لهذا الدِّينِ.

قالَ النبيُّ ﷺ لخبّابٍ ﭬ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ**»[١].

ويُبشِّرُهُم ﷺ وهم في هذه اللَّحظةِ يُعذَّبونَ فيُخبِرُهم أنَّهم سيَفتَحونَ مصرَ والشّامَ والعراقَ واليمنَ، بل يبشِّرُهم أنهم سيفتَحونَ الدُّنيا من مشرِقِها إلى مَغربِها، وقد صحَّتِ الأحاديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ وتحقَّقَ ما وَعَد به وما زالَ يتحقَّقُ حتّى تَقومَ السّاعةُ.

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ،بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ**




(١) **صحيح**:رواه البخاري (٣٦١٢).

(٢) **صحيح**:رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والطبراني في الكبير(٢/ ٥٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣)].

أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ»(١).

واللهُ عزَّ وجلَّ بشَّرَ المؤمنِينَ الصّادقِينَ، أنَّ العاقبةَ لهم، وأنَّ النَّصرَ لهم، وأنَّ المُستقبلَ للإسلام.

قالَ تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، وقالَ تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وقالَ تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، وقالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح].

وقال ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**»(٢).

فيا عبادَ الله! الصَّبرَ الصَّبرَ؛ وإيّاكُم والاستعجالَ، فإنّه يُدمِّرُ، وإيّاكم ودعاة الاستِعجالِ فإنهم خالفوا أمر الله وأمر رسول الله ﷺ.

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّباعه، وأرِنا الباطلَ باطِلاً وارزُقنا اجتنابَه.



(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والطيالسي (٤٣٨)، والبزار (٢٧٩٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٣١) [«صحيح الجامع» (٢٢٨٢)].





١٣

المفاوضات وطلب المعجزات

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاءِ سيكونُ عن أسلوبٍ جديدٍ من أساليبِ الصَّدِّ عن دينِ اللهِ؛ ألا وهو:

الـمُفاوضاتُ وطلبُ الـمُعجِزات.

رسولُنا ﷺ في مكَّةَ يدعو النَّاسَ سِرّاً وجَهراً، ليلاً ونهاراً إلى (لا إله إلَّاالله) وإلى عبادةِ الله، ويحذِّرُهم من الشِّركِ باللهِ ومن عبادةِ الأوثانِ، وكفّارُ مكَّةَ يتنقَّلونَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ليَصُدُّوا النّاسَ عن هذا الدِّينِ الجديدِ، ويَصدُّوا رسولَ اللهِ ﷺ عن دعوتِه الجديدةِ، ومعَ ذلكَ النّاسُ يدخلونَ في دينِ اللهِ ويتَّبعونَ رسولَ اللهِ ﷺ.



بعدَ أن فَشِلَ كفّارُ مكَّةَ في صَدِّ النّاسِ عن دينِ اللهِ بأساليبِ الاضطهادِ والتَّعذيبِ، انتَقلوا إلى أسلوبٍ جديدٍ؛ ألا وهو أسلوبُ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ والمُفاوضاتِ وطلَبِ الـمُعجزاتِ.

أولاً: أَرسلوا رُسلَهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ ليتَفاهموا معَه، لعلَّهم أن يَصِلُوا معَه ولو إلى ما يُسمّى في لغةِ العَصرِ بأنْصافِ الحُلول. فهذا في ظنِّهم خَيرٌ لهم من استـمرارِه ﷺ في الدَّعوةِ إلى الدِّينِ الجديدِ.

وأرسلَ كفّارُ مكَّةَ عُتبةَ بن رَبيعةَ ليَعرِضَ على رسول اللهِ ﷺ ما قَد رآه حَلّاً للمُشكلةِ، فقالَ: يا محمدُ، أنتَ خيرٌ أم هاشم؟ أنتَ خيرٌ أم عبدُ الـمطَّلب؟ أنتَ خيرٌ أم عبدُ الله؟ فلم يُجبه، قالَ: فيمَ تَشتُـم آلهتَنا وتُضلِّلُ آباءَنا؟ فإن كُنتَ إنما بكَ الرئاسةُ عَقَدنا ألويتَنا لكَ فكُنتَ رأسَنا ما بَقيتَ، وإن كانَ بكَ الباءةُ زوَّجناكَ عشرَ



نسوةٍ تـختارُ من أيِّ أبياتِ قريشٍ شئتَ، وإن كانَ بكَ الـمالُ جمعنا لكَ من أموالنا ما تَستَغني بها أنتَ وعَقِبُكَ من بَعدِكَ، ورسولُ اللهِ ساكتٌ لا يتكلَّمُ، فلـمّا فرَغَ قالَ رسولُ اللهِ، «بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت].

حتّى وَصلَ إلى قولِه تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت]»، فأمسكَ عُتبةُ على فيهِ وناشدَه الرَّحِمَ أن يَكُفَّ عنه، ولم يَخرُج إلى أهلِه واحتَبسَ عنهم، فقال أبو جهل: يا معشرَ قريشٍ! واللهِ ما نَرى عُتبةَ إلَّا قد صَبا إلى محمدٍ وأعجَبَه طعامُه وما ذاكَ إلَّا من حاجةٍ أصابَته، انطَلقوا بنا إليه، فأتَوه فقالَ أبو جَهل: واللهِ يا عتبةُ! ما حَسِبنا إلَّا أنك صَبَوتَ إلى محمدٍ وأعجَبَكَ أمرُه، فإن كانَت بكَ حاجةٌ جَمعنا لكَ من أموالِنا ما يُغنيكَ عن طعامِ محمدٍ، فغَضبَ وأقسَمَ باللهِ لا يُكلِّمُ محمداً أبداً، قال: ولقَد علِمتُـم أنّي من أكثرِ قُرَيشٍ مالاً ولكنّي أتيتُه... فقصَّ عليهم القَصَّةَ فأجابَني بشيءٍ واللهِ ما هو بسحرٍ ولا شعرٍ ولا كِهانةٍ - قرأَ بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ حتى بلغ: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فأمسكتُ بِفيهِ وناشدتُه الرَّحمَ أن يَكُفَّ، وقد علِمتُـم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يَكذِب، فخفت أن ينزلَ بكمُ العذابُ[١].




---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٢-٢٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٥٩-١٦٢)].



وظنَّ كفّارُ مكّةَ أن الأنبياءَ طلّابُ دنيا، يُريدونَ بدعوتِهمُ الدُّنيا الفانيةَ، ولذلكَ تَقدَّموا إلى رسولِ الله ﷺ بهذه الـمحاولةِ، وهي إغراؤُه بالـمالِ، والملكِ والرِّئاسةِ، والسِّيادةِ، ولكنَّهم فَشِلُوا في ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُجبهُم إلى طلَبِهم.

ثانياً: انتقلَ كفّارُ مكّةَ إلى محاولةٍ ثانيةٍ، ألا وهي ما يُسمّى بلغةِ العَصرِ «تَقاربُ الأديان».

قالَ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: إنَّ قُرَيْشًا دَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى أَنْ يُعْطُوهُ مَالا فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ وَيَطَؤوا عَقِبَهُ (أي يسودوه)، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، وَلاَ تَذْكُرْهَا بِشَرٍّ، فَإِنْ بَغَضْتَ فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، وَلَكَ فِيهَا صَلاحٌ، قَالَ: «**وَمَا هِيَ؟**» قَالَ: تَعْبُدُ إِلَهَنَا سَنَةً اللاتَ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: «**حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ رَبِي**» فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ اللَّوْحِ الْـمَحْفُوظِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون].

وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر][1].

ففَشِلَتِ الـمُحاولةُ الثّانية.

ففِكرةُ التَّقاربِ بينَ الأديانِ ليسَت بدعةً عصريَّةً، وإنّما هي قديمةٌ... أولُ مَن دعى إليها كفَّارُ مكّةَ؛ عندَما قالوا لرسولِ اللهِ ﷺ: نَعرِضُ عليكَ خَصلةً واحدةً، فهي لكَ ولنا فيها صلاحٌ. قال: «**ما هي؟**» قالوا: تَعبدُ آلهَتَنا سَنة: اللّاتَ والعزّى،



(١) **حسن**: رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٦٢)، والطبراني في الـمعجم الصغير (٧٥١)، واللفظ له، [«صحيح السيرة النبوية» (٢٠٥-٢٠٦)].



ونعبدُ إلهكَ سَنةً، اللهُ أكبرُ! ما هذا الضَّلالُ؟ كيفَ يلتقي من يَقولُ: (لا إله إلَّا الله) معَ مَن يَعبُدُ كلَّ يوم إلـهاً؟! كيف يَلتقي التَّوحيدُ والشِّركُ؟ كيفَ يلتقي الإيمانُ والكُفرُ؟ كيفَ يلتقي الـهُدى والضَّلالُ؟!

- فنَحنُ نقولُ لأصحابِ هذه الفكرةِ.

قالَ تعالى لرسولهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر] فالذي يقولُ بتَقاربِ الأديانِ؛ جاهلٌ لا يَعرِفُ رأسَه من رجلَيه، ولا يَعرِفُ السَّماءَ من الأرضِ، ولا يَعرِفُ اللَّيلَ من النَّهارِ.

ثالثاً: فَشِلَ كفّارُ مَكَّةَ في الـمحاولةِ الثّانيةِ فانتقَلوا إلى الـمُحاولة الثَّالثةِ، وهي أقربُ ما يكونُ بالنِّفاقِ والحيلةِ والخَديعةِ والمَكرِ، فأخذوا يَطلُبونَ من النَّبيِّ ﷺ أن يأتيَهم بآيةٍ -أي معجزة- تَشهدُ بصدقهِ، وأظهَروا له أنَّهم على أتـمِّ استعدادٍ أن يتَّبعوه ويُؤمِنوا به إذا اقتنَعوا أنه رسولُ اللهِ حقّاً، وهم أرادُوا من وراءِ ذلكَ تعجيزَ الرَّسولِ ﷺ. قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنبياء].




وقالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾.

فأمرَ اللهُ رسولَه أن يقولَ لهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

وبيَّن لنا ربُّنا جلَّ وعلا أنهم يَطلُبونَ الآياتِ، ولو نَزَلَت عليهم لا يُؤمنونَ فقالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام].

وأكبرُ دليلٍ على ذلكَ أنَّهم طلَبوا من رسولِ اللهِ ﷺ أن يُريَهم آيةً على نبوَّته، ولم يفعَلوا ذلكَ لكي يُؤمنوا؛ وإنما فَعَلوا ذلكَ خديعةً وحيلةً ومَكراً واستكباراً.

قالَ أنسٌ رضي الله عنه: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ[1].

وعن جُبيرِ بنِ مُطعم رضي الله عنه قالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ[2].

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[3].

ومعَ ذلكَ يَطلُبونَ من رسولِ اللهِ ﷺ الآياتِ إعجازاً منهُم لرسولِ اللهِ ﷺ.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُونَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٨٩)، وأحمد (٤/ ٨١)، [«صحيح الترمذي» (٢٦٢٢)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)



فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: «**بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»[١].

قالَ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:٥٩][٢].

وكيفَ يُرجى الـخيرُ ممَّن قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال].

ولم يَقولوا: اللهمَّ إن كانَ هذا هو الحقَّ من عندِك فاهدِنا إليه[٣].

رابعاً: فَشِلَ كفّارُ مكّةَ في الـمحاولةِ الثّالثةِ، فانتقَلوا إلى محاولةٍ رابعةٍ؛ ليَصدُّوا رسولَ اللهِ ﷺ عن دعوتهِ الجديدةِ ألا وهي ذهابُهم إلى عمِّه أبي طالب، الذي كانَ يَحوطُه ويَنصُرُه ويُؤيِّدُه ويَمنعُه، يُلحُّون عليه أن يتـخلّى عن ابنِ أخيه، فأتَوه فقالوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنْ إِيذَائِنَا، قَالَ: يَا عَقِيلُ! ائْتِ مُحَمَّدًا فَادْعُهُ فَذَهَبْتُ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَجَاءَ فِي نِصْفِ النَّهَارِ يَتَخَلَّلُ الْفَيْءَ، فَجَلَسَ عِنْدَ أُسْكُفَّةِ الْبَابِ، وَقُرَيْشٌ عِنْدَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً**».



(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٤٢)، وعبد بن حميد (٧٠٠)، والحاكم (١/ ١١٩، ١٢٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٢)] واللفظ لأحمد.

(٢) **صحيح**: وهي طريق أخرى للحديث السابق، وهذا الطريق رواه أحمد (١/ ٢٥٨)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٦)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)

(٣) «نور اليقين» (ص٧١).



والمعنى: ما أَقدِرُ أن أتركَ دينَ اللهِ الذي أَمَرَني بتبليغِه كما أنكم لا تَقدِرونَ أن تأتوا من الشَّمسِ بشُعلةٍ تَشتعِلونَ بها.

فَقَالَ أَبو طَالِب: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي فَارْجِعُوا[1].

وهكذا أيَّدَ اللهُ سبحانَه نبيَّه بعَمِّه على مخالفته لدينه، ولذا قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**»[2]. فأيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بأبي طالب مع أنه مات على الكفر.

أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ مما سمعنا فهي:

أولاً: الدّاعي إلى اللهِ لا يَترُكُ دعوتَه أبداً في مُقابلِ عَرَضٍ من أعراضِ الدُّنيا، فما مِن نَبيٍّ جاءَ لقومِه إلَّا قالَ لهم: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾[الشورى:٢٣]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾[هود:٢٩].



ورسولُنا ﷺ عندَما عَرَضَ عليه كُفّارُ مكَّةَ المالَ والجاهَ والسُّلطانَ لم يُناقِشهم فيها، فهي أَسقَطُ وأحقرُ من أن تُناقَشَ، ولكنَّه عَرَضَ عليهم أن يؤمِنوا باللهِ وحدَه فتَلا عليهِمُ القرآن.

وهذا سليمانُ عليه السلام بعَثَ بكتابهِ إلى بلقيسَ ملكةِ سبأٍ يَدعوها وقومَها إلى الإسلام ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ۝٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ۝٣٣﴾ [النمل].

فما كانَ من بلقيسَ إلَّا أن تَختبرَ ذلك المَلِكَ بهديَّةٍ تَبعثُها إليهِ من جميع

(١) **حسن**: رواه البزار (٢١٧٠)، وأبو يعلى (٦٨٠٤)، والحاكم (٣/ ٦٦٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٢)].
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).



أصنافِ الـمالِ، فإن كانَ هذا الـمَلِكُ يُريدُ الدُّنيا فسَيَقبلُ الـهَديَّةَ ويَكُفُّ عنهم، وإن لم يقبَلـها فمَعناهُ أنه صادقٌ في دَعوتِه، ولهم الـمبادرةُ إلى إجابتهِ والدُّخولِ في ملّتهِ.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[النمل].

فكانت النَّتيجةُ أن أسلَمت بلقيسُ وقومُها معَ سليمانَ للهِ ربِّ العالمينَ: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل:٤٤].

فاحذَروا مَعشرَ الدُّعاةِ أن تُفتَنوا بالمناصِبِ والـمالِ؛ فتَتركوا الدَّعوةَ إلى اللهِ، أو تُنافِقوا فتَـخطُبون خُطبةً تُريدونَ بها رضا النّاسِ، فمن أرضى النّاسَ بسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عليه وأسخَطَ عليه النّاسَ، ومن أرضى اللهَ بسَخَطِ النَّاسِ رضيَ اللهُ عنه وأرضى عنه النَّاسَ.

ثانياً: الـمُساوَماتُ والـمُفاوَضاتُ وأنصافُ الحلولِ لا تُقبَلُ أبداً في أَخطَرِ قَضيَّةٍ ألا وهي قضيةُ التَّوحيدِ، ولذلكَ عندَما طلبَ الكفّارُ من رسولِ اللهِ ﷺ أن يَعبُدَ آلهتَهم سنةً ويعبدوا إلهَه سنةً أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الزُّمَر] وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[الكافرون] فلا يجوزُ لإنسانٍ أبداً أن يُداهِنَ في قضيَّةِ التَّوحيدِ.

ثالثاً: أن يعلمَ الجميعُ أن أعداءَ الإسلامِ يُخطِّطونَ بالليلِ والنَّهارِ بكلِّ الأساليبِ؛ بأساليبِ الترغيبِ والتَّرهيبِ، وبأساليبِ الإغراءِ والمفاوضاتِ، وبأنصافِ الحُلولِ، كلُّ ذلكَ ليَصدوا النّاسَ عن دينِ اللهِ.





ولكن كما قالَ ربُّ العِزَّة: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف].

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.




١٤

مجادلة قريش للنبي ﷺ

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاء سيكونُ عن أسلوبٍ جديدٍ من أساليبِ الصدِّ عن دينِ اللهِ، ألا وهو مجادلةُ قُريشٍ للنَّبيِّ ﷺ.

ها هو رسولُنا ﷺ في مكَّةَ يدعو النّاسَ سِرّاً وجَهراً، وليلاً ونهاراً إلى عبادةِ اللهِ، ويحذِّرُهم من الشِّركِ، ومن عبادةِ الأصنام.

وكفّارُ مكَّةَ يَنتقِلونَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ؛ ليَصدُّوا النّاسَ عن هذا الدِّينِ العَظيم، ويَصدُّوا رسولَ اللهِ ﷺ عن دعوتِه، وفي الجُمعةِ الـماضيةِ تبيَّنَ لنا أن كفّارَ مكَّةَ استخدَموا أسلوبَ الـمُفاوضاتِ، وأنصافَ الحلولِ، وطَلبَ الـمُعجزاتِ، ولكنَّهم فَشِلوا في هذا الأسلوبِ، فالنّاسُ يَدخلونَ في الدِّينِ، ويتَّبعونَ رسولَ اللهِ ﷺ، فانتقلَ كفّارُ مكَّةَ إلى أسلوبٍ جديدٍ، ألا وهو أسلوبُ الجدالِ والمراءِ لدَحضِ الحقِّ، وصدِّ الناسِ عن دينِ اللهِ، واللهُ عزَّ وجلَّ يُخبرُنا عن ذلكَ في كتابِه أن الذين يُجادِلونَ في آياتِ اللهِ ويُجادِلونَ بالباطلِ همُ الكفّار.

فقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾[غافر].



وبيَّنَ لنا ربُّنا -جلَّ وعلا- أن جدالَهم هذا بالباطل ليُدحضوا به الحقَّ. فقالَ تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ [غافر]



وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ [الكهف] وأخبرنا ربُّنا –جلَّ وعلا– أن الذينَ يَدفعونَهم إلى هذا الجدالِ بالباطلِ هم شياطينُ الإنسِ والجنِّ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ [الأنعام]، وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ [الحج].

وقد وَصَفَ ربُّنا جلَّ وعلا لنا هؤلاءِ أنَّهم يُجادِلونَ بغيرِ علم ولا هدىً ولا كتابٍ منير، وأن الدّافعَ لذلكَ هو الكبرُ في قلوبِهم. فقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ [غافر].



ومن الأمور التي جادل فيها المشركون رسول الله ﷺ.

أولاً: البعث بعد الموت

عندَما دعا رسولُ اللهِ ﷺ النّاسَ في مكَّةَ إلى الإيمانِ بالبَعثِ بعدَ الـموتِ، أنكرَ الـمُشركونَ ذلكَ، وجادَلوا في عقيدةِ البَعثِ فأكثَروا فيها الجدالَ. قالَ تعالى عنهم: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ [ق]. وقالَ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ [المؤمنون].

ولم يَتوقَّف كفّارُ مكَّةَ على استبعادِ البَعثِ بعدَ الـموتِ بل أَقسَموا باللهِ لا يَبعَثُ اللهُ من يَموتُ. فقالَ تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ [النحل]، فأقسَمَ اللهُ لهم بنفسِه على أنَّ البَعثَ بعدَ الـموتِ حقٌّ وكائنٌ. فقالَ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ



﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم].

بل وأَمرَ ربُّنا جلَّ وعلا رسولَه ﷺ في ثلاثِ مواضعَ من القرآنِ أن يُقسمَ لهم باللهِ على أنَّ البَعثَ بعدَ الـموتِ كائنٌ. فقالَ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس].

ومعَ ذلكَ جاءَ أُبيُّ بنُ خلفٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بعَظم حائلٍ -أي بالٍ- ففتَّه، ثمَّ ذَراه في الريحِ، ثم قالَ: يا محمّدُ! من يُحيي هذا وهو رَميمٌ؟ قالَ: «**والله يحييه، ثم يميته، ثم يُدخلك النار**».




وأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس][1].

ثانياً: الآلهة التي تعبد من دون الله:

قالَ ابنُ إسحاقٍ: جَلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ فيما بَلغني يوماً معَ الوليدِ بنِ الـمُغيرةِ، فجاءَ النَّضرُ بنُ الحارثِ حتى جَلَسَ مَعَهم وفي الـمجلسِ غيرُ واحدٍ من رجالِ قُريشٍ،

(١) **صحيح**: رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٥٤) عن قتادة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها نزلت في العاص بن وائل كما ذكر ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٠١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٢٠١)].

فتكلَّمَ رسولُ الله، فَعَرضَ له النَّضرُ بنُ الحارثِ، وكلَّمَه رسولُ اللهِ ﷺ حتى أفحمَه، ثمَّ تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء]، ثم قامَ رسولُ الله ﷺ وأقبلَ عبدُ اللهِ بن الزِّبَعْرى بنِ قيسِ بن عديٍّ السَّهميُّ حتى جَلَسَ، فقالَ الوليدُ بنُ الـمُغيرةِ لعبدِ اللهِ بن الزِّبَعْرى: واللهِ ما قامَ النَّضرُ بنُ الحارثِ لابن عبدِ الـمطَّلب آنفاً وما قَعَدَ، وقد زَعَمَ محمدٌ أنّا وما نَعبُدُ من آلهتِنا هذه حَصبُ جهنم، فقالَ عبدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرى: أما واللهِ لو وَجَدْتُه لخَصَمتُه، فَسَلوا محمداً: أكلُّ من عُبِدَ من دونِ اللهِ في جهنَّمَ معَ من عبدَه؟ فنحنُ نَعبدُ الـملائكةَ، واليَهودُ تَعبدُ عُزيراً، والنَّصارى تَعبدُ الـمسيحَ عيسى ابن مريمَ، فعَجِبَ الوليدُ بنُ الـمغيرةِ ومن كانَ في الـمجلسِ من قولِ عبد اللهِ بن الزِّبَعْرى، ورأَوا أنه قد احتجَّ وخاصَمَ، فذكرَ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ فأنزلَ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء]؛ أي عيسى ابنُ مريم، وعُزيرٌ، ومن عُبدوا من الأحبارِ والرُّهبانِ الذي مَضَوا على طاعةِ الله، فاتَّـخذَهم مَن بعدَهم من أهلِ الضَّلالةِ أرباباً من دونِ الله، فأنزلَ اللهُ فيما ذكروا أنهم يَعبُدونَ الـملائكةَ وأنها بناتُ الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

ونَزلَ في إعجابِ الـمُشركينَ بقولِ ابن الزِّبَعْرى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ




﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾[الزخرف][(١)].

وهذا الجدلُ الذي سلكوه باطلٌ، وهم يَعلمونَ ذلكَ، لأنهم قَومٌ عَرَبٌ، ومن لُغتِهم أن (ما) لما لا يَعقِلُ، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾[الأنبياء]: إنما أُريدَ بذلكَ ما كانوا يَعبدونَه من الأحجارِ التي كانَت صورَ أصنام، ولا يَتناولُ ذلكَ الملائكةَ الذين زَعَموا أنهم يَعبُدونَهم في هذه الصُّورِ، ولا المسيحَ، ولا عُزيراً، ولا أحداً من الصَّالِحينَ؛ لأن الآيةَ لا تَتناوَلُهم لا لفظاً ولا مَعنىً، فهم يَعلمونَ أن ما ضَربوه بعيسى ابنِ مريمَ من المثلِ جَدلٌ باطلٌ. كما قالَ تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾[الزُّخرُف] ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾[الزُّخرُف] أي: دليلاً على تمامِ قُدرتِنا على ما نَشاءُ، حيثُ خَلَقناهُ من أنثى بلا ذكَرٍ، وقد خَلَقنا حواءَ من ذكرٍ بلا أُنثى، وخلَقنا آدمَ لا من هذا ولا من هذا، وخلَقنا سائرَ بني آدمَ من ذكرٍ وأُنثى. كما قالَ في الآيةِ الأُخرى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾[مريم] أي: أمارةً ودليلاً على قُدرتِنا الباهرةِ ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾ نرحمُ بها من نَشاء[(٢)].

وقالَ ابنُ عبّاس رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لقُريش: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ، وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَي تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ صَالِحًا، فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ**، فأنزل الله عزَّ وجلّ:



(١) **صحيح**: رواه الطبري من طريق ابن إسحاق (١٨/ ٥٣٩)، [«صحيح السيرة النبوية» (١٩٧-١٩٨)].
(٢) «صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص١٩٨-١٩٩).



﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾[الزخرف][1].

«وهذا القياسُ الفاسدُ من قُريشٍ، من تشبيهِ الأنبياءِ الـمُكرَمينَ بالأصنام الـمَعبودةِ غيرِ العاقلة اقتضى الرَّدَّ عليه، فقالَ اللهُ تعالى مبيِّناً عُبوديَّةَ عيسى للهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾[الزُّخرُف:٦٤] وإنه لم يَدعُ إلى عبادةِ نفسه، بل دَعا إلى عبادةِ اللهِ وحدَه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾[الزُّخرُف:٥٨]، وسمّى القرآنُ احتجاجَ قُريش بالجدَل: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وهو الـمراءُ الباطلُ حيثُ كانوا عَرَباً فُصحاءَ لا يَخفى عليهم أن الآيةَ ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾[الأنبياء] هي خطابٌ لقريش، وهم يَعبُدونَ أصناماً لا تَعقِلُ، وليسَت خِطاباً للنَّصارى، فلا يَرِدُ اعتراضُهم على الآيةِ أصلاً -هي لـما لا يَعقِلُ- بدَعوى استحلالِـها للمَسيحِ عليه السلام»[2].



ثالثاً: الروح:

ومن الـمُجادلاتِ التي أثارَها الـمُشركونَ مع رسولِ اللهِ ﷺ سؤالُـهم عن الرُّوح.

عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ؟ قَالَ: فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ. فنزلت: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٥﴾[الإسراء]. قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَاةَ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا فَأُنْزِلَتْ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۝١٠٩﴾[الكهف][3].

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣١٧) وابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٤/ ١٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٠٨)]. وانظر «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (١/ ١٣١).

(٢) انظر «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ١٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٤)، وأحمد (١/ ٢٥٥)، [«ظلال الجنة» (٥٩٥)]، وانظر «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ١٦٤).



رابعاً: القدر

ومن الـمُجادلاتِ التي أثارَها الـمشركونَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ القَدَرُ؛ وهو إثباتُ ما قدَّرهُ اللهُ وقَضاه، وسَبقَ به علمُه، وكتبَه على عبادِه، فكل ما يقع لهم إنما هو مُقدَّرٌ في الأزلِ معلومٌ للهِ مرادٌ له، فنزلَتِ الآية: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾[القمر] والإيمانُ بالقضاءِ والقدَرِ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ، كما قالَ ﷺ: «**الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١]

وقد جاءَتِ الأدلةُ في الكتابِ والسُّنّةِ تُـخبرُ أن اللهَ عزَّ وجلَّ قدَّرَ كلَّ شيءٍ في كتابٍ قبلَ خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ بخَمسينَ ألفَ سنةٍ. قالَ تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد]. وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحج].

وقالَ ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ -قَالَ- وَعَرْشُهُ عَلَى الْـمَاءِ**»[٢].

خامساً: القرآن الكريم

ومن الأمورِ التي جادلَ فيها الـمُشركونَ رسولَ اللهِ ﷺ القرآنُ الكريمُ فقالوا عن القرآن: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾[الفرقان].

قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٩١٩).

أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام] وقالوا: إنما يُعلِّمه بَشَرٌ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان]، وطلَبوا من رسولِ اللهِ ﷺ أن يُغيِّرَ هذا القرآنَ أو يُبدِّلَه.

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس].

وقد أخبرَ اللهُ عزَّ وجلّ ونبَّه على خُطورةِ هذا العمل. فقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء]، فلما فَشِلُوا في مُجادلَتِهم قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت].

سادساً: نزول القرآن منجماً على رسول الله ﷺ

ومن الأمورِ التي جادلَ فيها الـمُشرِكونَ رسولَ اللهِ ﷺ؛ نُزولُ القرآنِ مُنَجَّماً على رسولِ اللهِ ﷺ، عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ الْـمُشْرِكُونَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ





كَمَا يَزْعُمُ نَبِيًّا فَلِمَ يُعَذِّبُهُ رَبُّهُ؟ ! أَلا يُنَزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ يُنَزِّلُ عَلَيْهِ الآيَةَ وَالآيَتَيْنِ وَالسُّورَةَ؟ ! فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ جواب مَا قَالُوا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان][1].

سابعاً: مجالسة المستضعفين والفقراء من المؤمنين.

ومن الأمورِ التي جادلَ فيها الـمُشركونَ رسولَ الله ﷺ؛ جُلوسُهم مَعَ الفقراءِ من الـمُسلمين في مجلسٍ واحدٍ، عن خَبّاب رضي الله عنه قالَ: جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فَوَجَدَا رَسُولَ الله ﷺ مَعَ صُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنْ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَرُوهُمْ فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا. قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].



ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام]. ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٩٢٢)، والضياء في «المختارة» (٤/ ١١٩، ١٢٠)، وانظر: «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ١٦٦).



﴿وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام]، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا، فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: وَلَا تُجَالِسِ الأَشْرَافَ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعَ ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨] قَالَ: هَلَاكًا، قَالَ: أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالَ خَبَّابٌ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ»[1].

هذه كانت مجادلةً بالباطلِ من كفّارِ مكّةَ، ومعَ ذلكَ فَشِلُوا في هذه الأساليبِ جميعِها لصَدِّ رسولِ اللهِ ﷺ عن دعوتهِ الجديدةِ.

اللهمَّ رُدَّ المسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٢٢٢-٢٢٤)]



١٥

قريش تعود إلى أسلوب الخنق والتضييق والتعذيب مما جعل كثيراً من المسلمين يهاجرون إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن أسلوبٍ جديدٍ من أساليبِ الصَّدِّ عن دينِ الله، ألا وهو أسلوبُ الـخَنقِ والتَّضييقِ والتَّعذيبِ والمُطاردةِ، مما جَعَلَ كثيراً من الـمُسلمين في مكَّةَ يُهاجرون إلى الحبشةِ فِراراً بدينِهم من الفتنةِ.

ها هو رسولُنا ﷺ في مكَّةَ يدعو النَّاسَ سرّاً وجَهراً، ليلاً ونهاراً إلى عبادةِ الله عزَّ وجلّ وإلى عقيدةِ التَّوحيدِ، ويُحذِّرُهم من الشِّركِ ومن عبادةِ الأوثانِ.



وكفّارُ مكَّةَ يَنتقلونَ من أسلوبٍ إلى أسلوب؛ ليَصدُّوا الناسَ عن دينِ اللهِ، ويَصُدُّوا رسولَ اللهِ ﷺ عن دعوتهِ الجديدةِ، ومعَ ذلكَ الناسُ يَدخلونَ في دينِ اللهِ، ويتَّبِعونَ رسولَ اللهِ ﷺ.

بعدَما فَشِلَت قُريشٌ في جميعِ الأساليبِ، لجأَت مَرَّةً أُخرى إلى أسلوبِ الـخَنقِ والتَّضييقِ والاضطِهادِ والتَّعذيبِ للمُسلِمينَ، مما جَعَلَهم يُهاجِرونَ إلى الحبشَةِ فِراراً بدينِهم من الفِتَنِ.

تقولُ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: لـما ضاقَت (مكَّةُ)، وأُوذِيَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ وفُتِنوا، ورأَوا ما يُصيبُهم من البلاءِ والفتنةِ في دينِهم، وأن رسولَ اللهِ ﷺ لا يَستطيعُ دَفعَ ذلكَ عنهم، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ في مَنَعةٍ من قَومِه ومن عمِّه، لا يَصِلُ إليه شيءٌ مما يكرَهُ ومما يَنالُ أصحابُه؛ فقالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا**



يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»[1].

بدأَ الرَّحيلُ إلى الحَبشةِ تَسلُّلاً في الـخفاءِ، حتى لا تَستيقِظَ قُريشٌ للأمرِ فتُـحبِطَه، ولم يَبدأ كذلكَ على نطاقٍ واسعٍ، فتَسلَّلَ بضعةَ عَشرَ رجلاً وامرأةٌ كانَ على رأسِهم عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه وزوجتُه رُقيَّةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، فلم يَلبَثوا إلَّا يَسيراً حتى انتهى إلى مَسامعِهم أنَّ الاضطهادَ والتَّعذيبَ والتَّضييقَ على الـمسلمِينَ في مكَّةَ قد خَفَّت وطأتُه، وتَرَكَ الكفّارُ الـمسلمِينَ أحراراً، فعادَ الـمسلمونَ من الحبَشةِ إلى ديارِهم وأرضِهم وأهليهم، فبينما هم على مشارفِ مكَّةَ إذ تأكدوا أن الأخبارَ التي وصلَتهم غيرُ صحيحةٍ، وكانَت قريشٌ قد أغاظَها خُروجُ هؤلاءِ النَّفرِ من بينهم دونَ علمِهم، فلـما سَمِعُوا بعودَتِهم أخذُوهم وسامُوهم سوءَ العذابِ، إلَّا نفراً قليلاً منهم قد دَخَلوا في جوارِ بعضِ ساداتِ قُريشٍ.




ولـما اشتدَّ الاضطهادُ والتَّعذيبُ والإيذاءُ بالمسلمِينَ في مكَّةَ بعدَ عودةِ الـمهاجِرينَ أشارَ النَّبيُّ ﷺ على أصحابِه بالهجرةِ مرَّةً ثانيةً إلى الحبشةِ.

عن أمِّ سلَمةَ زوجِ النَّبيِّ ﷺ قالَت: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارِ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْـمُغِيرَةِ الْـمَخْزُومِيِّ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في سننه (٩/ ٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٩٠)].

يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْـمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْـمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْـمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْـمَلِكُ! قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ ايْمُ اللهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ: أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي، قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي




فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ:فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ؛ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ!

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ




أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ مَا عَدَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ! وَاللهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي وَالسُّيُومُ -الْآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ»(١).

وأما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ مما سمعنا فهي:

أولاً: يَجِبُ على العبدِ الـمُسلم أن يُهاجِرَ من البلَدِ التي لم يَتـمكَّن فيها من عبادةِ ربِّه إلى بلد آخرَ يتـمكَّنُ فيها من عبادةِ ربِّه، فقد هاجَرَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ من مكَّةَ عندَما ضُيِّقَ عليهم إلى الحبشةِ؛ ليتـمكنوا من عبادة ربهم، وقد هاجَرَ رسولُ اللهِ ﷺ -وهو أفضلُ خلقِ اللهِ- من مكَّةَ -وهي أفضلُ بلادِ اللهِ- ليتـمكَّن هو وأصحابُه من عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٠١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٧٠)].




ثانياً: أن المؤمنينَ إذا اتَّقوا ربَّهم جَعَلَ لهم مَخرجاً ودافعَ عنهم. قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج].

فقد جَعَلَ اللهُ للمُهاجرِينَ إلى الحبشةِ مَخرَجاً، ودافعَ عنهم، ونَصَرَهم على أعدائِهم.

ثالثاً: أن الكفّارَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يُنفقونَ أموالَهم ليَصدُّوا عن سبيلِ اللهِ، فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال].

وقد تبين لكم يا عبادَ اللهِ! مِن حديثِ أمِّ سلمةَ رضي الله عنها كيفَ أَنفقَ كفّارُ مكَّةَ أموالَهم في إرسالِ الهدايا إلى النَّجاشيِّ، وإلى بَطارِقَته، ثم كانتِ النَّتيجةُ حَسرةً عليهم.

رابعاً: أن من صَدَقَ نجا، فعندَما صَدَقَ جعفرُ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ومن معَه معَ النَّجاشيِّ ولم يكتُموا شيئاً من عقيدتهم، فكانتِ العاقبةُ أحسنَ العواقبِ وأحمدَها، ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة].

وقالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ**»(١)

خامساً: فَضلُ النَّجاشيِّ الملكِ العادلِ الذي لم يَظلِم المسلمينَ في أرضه ودافعَ عنهم وحافَظَ عليهم، فقد قالَ فيه الرَّسولُ ﷺ حينَ ماتَ: «**مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ لمسلم.




صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ»[(١)].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْـمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ**»[(٢)].

قالَت عائشة رضي الله عنها: «**لَـمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لاَ يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ**»[(٣)].

أيها المسلمون! ما أعجب ما رأى الـمُهاجرونَ إلى الحبشةِ في أرضِ الحبشةِ؟ هذا الذي نَعرِفُه -إن شاءَ اللهُ تعالى- في الجُمعةِ القادمة.



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (٩٥٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٣٣)، ومسلم (٩٥١)، واللفظ للبخاري.

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٢٥٢٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٨١)].





١٦

الهجرة إلى الحبشة
وأعجب ما رأى المسلمون في أرض الحبشة

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الـمُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ أيضاً عن هِجرةِ بعضِ الـمُسلمِينَ إلى الحبشةِ، وعن أعجبِ ما رأى الـمُسلمون في أرضِ الحبشةِ.

في الجُمعةِ الـماضيةِ تبيَّن لنا أن الـمسلمِينَ هاجَروا من مكَّةَ إلى الحبشةِ فِراراً بدينِهم، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لهم: «**إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ**»(١).




تقولُ أُمُّ سلمةَ رضي الله عنها: «فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالاً، حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا، فَنَزَلْنَا خَيْرَ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا.

تقولُ: فلما رأت قريشٌ أنا قد أَصَبنا داراً وأمناً، غارُوا منا، فاجتَمعوا على أن يَبعثوا إلى النَّجاشيِّ فينا، ليُخرِجَنا من بلادِه وليَرُدَّنا عليهم».

فبعدَ أن ذكَرَت رضي الله عنها الـمُحاولةَ الفاشِلةَ التي قامَ بها كفّارُ مكَّةَ قالَت: «ثمَّ قالَ النَّجاشيُّ: فَوَالله! مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلاَ حَاجَةَ لَنَا بِهَا».

تقولُ رضي الله عنها: «فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ».

تقولُ رضي الله عنها: «وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ»(٢)

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في سننه (٩/ ٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٩٠)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٠١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٧٠)].

ولـما فَشلَت قريشٌ في مُحاولتِها الغادرةِ وهي إرجاعُ الـمُهاجِرينَ من أرضِ الحبشةِ إلى مكَّةَ، أَخَذوا يَصبُّونَ العذابَ صبّاً على المسلمين في مكة ويضيقوا عليهم.

«فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَكّةُ وَأَصَابَهُ فِيهَا الْأَذَى، وَرَأى مِنْ تَظَاهُر قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ مَا رَأَى، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْهِجْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ»[١].



وتعالوا بنا لنستـمع إلى عائشة رضي الله عنها وهي تـخبرنا الـخبر، تقول رضي الله عنها: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَـمَّا ابْتُلِيَ الْـمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ -وهو موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن- لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ[٢] فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ، فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟ فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَأَمَّنُوا أَبَا بَكْرٍ وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ

(١) **جيد**: رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٧٣) من طريق ابن إسحاق، [«صحيح السيرة النبوية» (٢١٢)]

(٢) القارة: قبيلة مشهورة، يضرب بهم الـمثل في قوة الرمي.



لِأَبِي بَكْرٍ: فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلَاةِ وَلَا الْقِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْـمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ -أي يزدحمونَ- يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ الْـمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ -أي ننقضُ عهدك-، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ[1].



وهذا أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه يُخبِرُنا عن هِجرتِه هو وأصحابُه إلى الحبشةِ.

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا فَوَافَقْنَا النبيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**»[2].

وقالَ النبيُّ ﷺ ذلكَ عندَما قالَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه لأصحاب السَّفينة: «**سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ**» فلما بَلَغَ الخبرُ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٩٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٧٦)، ومسلم (٢٥٠٢)، واللفظ للبخاري.



إلى النَّبيِّ ﷺ قال: «**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**»(١).

ولـما عادَ مُهاجرو الحبشةِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ جَعَلَ يسألُـهم ويُخبرونَه بما رأَوا في أرضِ الحبشةِ من أعاجيبَ:

فعَن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: لـما رَجَعَ مُهاجرو البحرِ إلى رسولِ الله ﷺ، قالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟!**» **قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ الله! بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَـمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا**».

فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ! كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟!**»(٢).



وفي هذا الحديث فوائدُ عظيمة منها:

أولاً: تحريم الظلم.

قالَ اللهُ تعالى في الحديثِ القُدُسيِّ: «**يَا عِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَـمُوا**»(٣)، وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٣٠، ٤٢٣١)، ومسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠١٠)، وأبو يعلى (٢٠٠٣)، وابن حبان (٥٠٥٨)، [«صحيح الجامع» (٤٥٩٨)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٧) من حديث ابن عمر، ومسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر، واللفظ لمسلم.



وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

والظُّلم عاقبتُه وخيمةٌ، والله تبارك وتعالى يأخذُ من الظّالم للمَظلوم يومَ القيامة، فلا يَدخلُ أحدٌ الجنَّةَ ولواحدٍ من أهلِ النّارِ عندَه مظلمةٌ، ولا يَدخُلُ أحدٌ النّارَ ولواحدٍ من أهلِ الجنَّة عنده مَظلمةٌ.

قالَ ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَن اقْتَطَعَ**» -أي أَخذَ- «**حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِم بِيَمِينِه، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ فقال ﷺ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيه مِنْ عِرْضِه أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(٣).

ولذلكَ قالَ ﷺ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْـمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي. قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).



عباد الله! فالظُّلمُ خسرانٌ في الدُّنيا والآخرةِ.

والظّالـِمُ لا يُحبُّه اللهُ. قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾ [آل عمران].

والظّالمُ مَلعونٌ. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].

عبادَ الله! الظُّلمُ سببٌ لهلاكِ الأممِ.

قالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ٥٩﴾ [الكهف:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص]، وعن أبي موسى الأشعريِّ قالَ: قالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيُمْلي للظَّالم حتَّى إذا أَخذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قالَ: ثُمَّ قرأَ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود][1].

وقالَ ﷺ في هذا الحديثِ الذي ذكرنا «**كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يُؤْخَذُ لِضَعيفِهِمْ مِنْ شَديدِهِمْ**».

ابنَ آدم!

لا تَظلِمنَّ إذا ما كُنتَ مُقتدرا ... فالظُّلـمُ ترجِـعُ عُقبـاهُ إلى النَّـدمِ

تَـنـامُ عيناكَ والمَـظـلـومُ مُنتبهٌ ... يدعـو عليـكَ وعـينُ اللهِ لم تَنَـمِ

ثانياً: أن نصر المظلوم واجب على القادر عليه.

قالَ ﷺ: «**انْصُرْ أَخاكَ ظالمًا أَوْ مَظْلومًا**» فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال ﷺ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٥٢).

وقال ﷺ: «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ**»[١].

وعن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ،..وذكر منها: نَصْر الْـمَظْلُوم»[٢].

ثالثاً: إثبات البعث، والحشر، والحساب، والجزاء:

وهذا يَظهرُ من قولِ العَجوزِ للفَتى الذي ظَلمَها واعتدى عليها: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتْ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[٣].

ابنَ آدم:

مثِّل وُقوفَكَ يومَ العَرضِ عُريانا ... مُستَوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حَيرانا

والنارُ تَلهَبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العَرشِ غَضبانا

اقرأ كتابَكَ يا عَبدي على مَهَلٍ ... فهَل تَرى فيه حَرفاً غيرَ ما كانا

لـما قـرأتَ ولم تُنكِر قِـراءتَـه ... إقـرارَ من عَـرَفَ الأشياءَ عِرفانا

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، و مسلم (٢٥٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).



نادى الجليلُ خُذوه يا ملائِكَتي   وامضُوا بعبدٍ عصى للنّار عَطشانا
المُجرمونَ غداً في النّارِ يَلتَهبوا   والمؤمنونَ في دارِ الـخُلدِ سكّانا

ومن أعاجيبِ ما رأى الـمُهاجرونَ في أرضِ الحبشةِ ما رَواه البُخاريُّ ومُسلمٌ في «صحيحيهما» عن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: «لـما كانَ مَرضُ النبيِّ ﷺ تذاكرَ بعضُ نسائِه كنيسةً بأرضِ الحبشة يُقالُ لـها (مارية) -وقد كانَت أمُّ سلَمةَ وأمُّ حَبيبةَ قد أتتا أرضَ الحبشة- فذَكَرنَ من حُسنِها وتصاويرِها. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أُولَئكَ إذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١].

وفي هذا الحديث فائدةٌ عظيمةٌ جداً، ألا وهي حُرمةُ بناءِ الـمساجدِ على القُبورِ.




عن عائشةَ وابن عبّاس رضي الله عنهما قالا: «لَـمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِه فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِه فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»[٢].

وقالَت عائشةُ رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِه الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» قالت: لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[٣].

وعن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٤٦) وابن سعد (٢/ ٢٤٢) والحميدي (٧٣٥٢) انظر «أحكام الجنائز» الألباني (ص٢٧٦).

وقالَ ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»**(١).

وقالَ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِد»**(٢).

من هذه الأحاديثِ يَتبيَّنُ لنا:

أنَّ بناءَ الـمساجدِ على القبورِ حرامٌ، وكبيرةٌ من الكبائر، ومَنْ فَعَلَ ذلك فهو مِن شرارِ الـخلقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ.

أنَّ الصَّلاةَ إلى القبورِ مُستقبلاً لـها حرامٌ.

أنَّ السُّجودَ على القُبورِ حرامٌ.

فليَتَّقِ اللهَ الذين يَبنونَ الـمساجِدَ على القُبورِ، والذين يَدفِنونَ أنفُسَهم وأقاربَهم في الـمساجدِ التي بَنَوها، فإن هذا حرامٌ وكبيرةٌ من الكبائرِ، والذي يَفَعلُ ذلكَ هو مِن شرارِ الـخلقِ عندَ اللهِ، يوم القيامة.

اللَّهم رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِكَ ردّاً جميلاً.



(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤٠٥)،وأبو يعلى (٥٣١٦)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٧٨)].



١٧

إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن إسلامِ حمزةَ بنِ عبدِالمطَّلبِ وعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنهما.



تبيَّنَ لنا من الجُمَعِ السّابقةِ أن كفّارَ مكَّةَ استخدَموا جميعَ الأساليبِ لمنعِ النّاسِ من الدُّخولِ في دينِ اللهِ، ولكنَّهم فَشِلوا في ذلكَ. قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف]، وقالَ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة].

وكفّارُ مكَّةَ باللَّيلِ والنَّهارِ يُحاولونَ أن يَمنعوا النّاسَ من الدُّخولِ في دينِ اللهِ، ومعَ ذلكَ فإنَّ النّاسَ في كلّ يومٍ يَدخلونَ في دينِ اللهِ، ويتَّبعونَ رسولَ اللهِ ﷺ، فهذا حمزةُ بنُ عبدِالمطَّلبِ رضي الله عنه... أتعرفونَه؟ إنه عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ، وأخوه من الرّضاعةِ، قالَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ: **«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»**(١).

ومما يُروى في سببِ إسلامِه رضي الله عنه أن جاريةً عيَّرَته بإيذاءِ أبي جهلٍ لابنِ أخيه

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٢٩٥٨)، من حديث علي، وفي الأوسط (٤٠٧٩)، من حديث ابن عباس والحاكم (٢/ ١٣٠)، من حديث جابر، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٤)].



محمَّدٍ ﷺ، فتوجَّهَ إليه وغاضَبه وسبَّه وقالَ له: كيفَ تَسُبُّ محمَّداً وأنا على دينِه، فشجَّه شجّةً مُنكرةً، فكانَ إسلامُه في بدايةِ الأمر أنفةً، ثم شَرَحَ اللهُ صدرَه بنورِ اليَقينِ، حتّى صارَ من أفاضلِ الـمؤمنِين»[1].

وعن محمدِ بن كعبِ القُرظيِّ قالَ: كَانَ إِسْلامُ حَمْزَةَ بن عَبْدِ الْـمُطَّلِب رضي الله عنه حَمِيَّةً وَكَانَ رَجُلا رَامِيًا، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ فَيَصْطَادُ، فَإِذَا رَجَعَ مَرَّ بِمَجْلِسِ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُ: رَمَيْتُ كَذَا، وَصَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ يَنْطَلِقُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَأَقْبَلَ مِنْ رَمْيِهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عُمَارَةَ! مَاذَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مِنْ أَبِي جَهْلِ بن هِشَامٍ؟ وَتَنَاوَلَهُ وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ، فَقَالَ: «هَلْ رَآهُ أَحَدٌ؟» قَالَتْ: إِي وَاللهِ! لَقَدْ رَآهُ نَاسٌ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْـمَجْلِسِ عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ وَأَبُو جَهْلٍ فِيهِمْ، فَاتَّكَأَ عَلَى قَوْسِهِ، فَقَالَ: «رَمَيْتُ كَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا»، ثُمَّ جَمَعَ يَدَهُ بِالْقَوْسِ، فَضَرَبَ بِهَا بَيْنَ أُذُنَيْ أَبِي جَهْلٍ، فَدَقَّ سِيَتَهَا، ثُمَّ قَالَ: «خُذْهَا بِالْقَوْسِ، وَأُخْرَى بِالسَّيْفِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالُوا: يَا أَبَا عُمَارَةَ! إِنَّهُ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَلَوْ كُنْتَ أَنْتَ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْهُ، مَا أَقْرَرْنَاكَ وَذَاكَ، وَمَا كُنْتَ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَاحِشًا»[2].

ثم شَرحَ اللهُ صدرَ حمزةَ بنِ عبدِالمطَّلِب رضي الله عنه للإسلامِ وثَبتَ عليه، فعَلِمَت قريشٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزةَ سيمنَعُه، فكفُّوا عن بَعضِ ما كانوا يَنالونَ منه[3]».

وهذا عمرُ بنُ الـخطابِ رضي الله عنه.. أتعرِفونَه؟

(١) رواه ابن إسحاق (١/ ٣٠٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٩٢٥)، قال الـهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً ورجال رجال الصحيح، [«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦١)]

(٣) «البداية والنهاية» (٣/ ٣٣).




الفاروقُ الذي قالَ فيه ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدي نَبيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب**»(١) وقال عنه ﷺ: «**قَدْ كَانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنْ الأُمَم مُحَدَّثُونَ**» -أي مُلهَمون- **فَإِنْ يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»(٢). وقالَ عنه ﷺ: «**إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ**»(٣).

الفاروقُ عمرُ بنُ الـخطاب رضي الله عنه الذي قالَ عن نفسه: وَافَقْتُ رَبِّي في ثَلَاث: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَام إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥]، وَآيَةُ الْحِجَاب قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَاب، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبيِّ ﷺ في الْغَيْرَة عَلَيْه فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا منْكُنَّ، فَنَزَلَتْ هَذه الآيَةُ(٤).




أمّةَ الإسلام! كانَ عمرُ بنُ الـخطّاب رضي الله عنه قبلَ إسلامه من أشدِّ النّاس عداوةً للنَّبيِّ ﷺ وأكثرهم إيذاءً وتعذيباً للمسلمينَ، قالَ سعيدُ بن زيد رضي الله عنه -وهو ابنُ ابنِ عمِّ عمرَ، وزوجُ أختِه فاطمةَ بنتِ الـخطاب: «وَالله لَقَدْ رَأَيْتُني وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الْإِسْلَام قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ»(٥).

وكانَ عمرُ بنُ الـخطاب رجلاً قويّاً مهيباً، وكان يُؤذي الـمسلمينَ ويشتدُّ عليهم، حتى يَئِسَ بعضُهم من إسلامه لـما رأى من غِلظَته وقَسوَته على الـمسلمينَ، ولكنَّ شدَّةَ عمرَ الظاهرةَ تكمُنُ خلفَها رحمةٌ ورقّة، وكان بعضُ الـمسلمينَ مما يَرى من قسوة عمرَ على الـمسلمينَ كان يقولُ: بأنه لا يُمكنُ أبداً أن يُسلمَ عمرُ.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٨٦)، والحاكم (٣/ ٩٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٩١)، والنسائي في الكبرى (٨٩٥٧)، [«صحيح الجامع» (٢٤٩٦)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٢).

عن أمِّ عبدِالله بنتِ أبي حَثمةَ قالتْ: «و الله إنا لنَرحلُ إلى أرضِ الحبشةِ فقَد ذهبَ عامرُ في بعضِ حاجَتِنا إذ أقبلَ عمرُ بنُ الـخطابِ ﵁، حتى وَقَفَ عليَّ و هو على شِركه، و كنّا نَلقى منه البلاءَ و الشِّدَّةَ علينا، فقال: إنه الانطلاقُ يا أمَّ عبد الله؟ فقلت: نعم و اللهِ! لنخرجنَّ في أرضِ الله، آذيتُـمونا و قهرتُـمونا حتى يجعلَ اللهُ لنا مَخرجاً، فقال: صحبكم الله، و رأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنَه فيما أرى خُروجُنا قال: فجاءَ عامرُ بن ربيعةَ من حاجَتِه تلكَ فقلتُ: يا أبا عبد الله! لو رأيتِ عمرَ آنِفاً و رقَّتَه وحُزنَه علينا. قال: أفتطمعينَ في إسلامِه؟ قلتُ: نعم، قال: لا يُسلِمُ الذي رأيتِ حتى يُسلِمَ حِمارُ الـخطابِ، قالَ يائساً منه ممّا كانَ يرى من غِلظَتِه وقَسوتِه على الإسلام»(١).

ولكنَّ اللهَ تباركَ وتعالى القادرَ على كلِّ شيء -كما أنه يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها- كذلك يُحيي القلوبَ القاسيةَ بعدَ موتِها.

ولذلكَ لـما ذكَرَ اللهُ في كتابه قسوةَ قلوبِ أهلِ الكتابِ مُحذِّراً منها، عقَّبَ على ذلكَ بذِكرِ قُدرتِه على إحياءِ الأرضِ الـميتةِ، حتى لا ييأسَ أصحابُ القلوبِ القاسيةِ من إحيائِها.

فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد].

وقد عَلِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن قسوةَ قلبِ عمرَ قسوةٌ عارضةٌ لا مُستحكِمةٌ، ولا دائمةٌ، ولذلكَ هيّأ له الأسبابَ للإسلامِ، وإذا أرادَ اللهُ شيئاً هيَّأ له أسبابَه ليكونَ.

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٤/ ٦٥)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٨٩)].




ومن أسباب إسلام عمر بن الخطاب:

أولاً: سماعه للقرآن الكريم: فالقرآن هو كلام الله، له تأثير في القلوب.

فيُروى عن عمرَ أنه قالَ: «خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ. قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ. قَالَ فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة]، قلت: كاهن، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ»[(١)].

وهذه القصَّةُ فيها ضَعفٌ، وكذلكَ قصَّتُه معَ أختِه فاطمةَ حينَ لطمَها لإسلامِها وضربَ زوجَها سعيدَ بن زيدٍ، ثمَّ اطِّلاعُه على صحيفةٍ فيها آياتٌ وإسلامُه فلم يَثْبُت شيءٌ من هذه القصصِ من طريقٍ صحيحةٍ.

ولكنَّ الحافظ ابنَ حجرٍ ذكرَ بأن الباعثَ له على دخولِه في الإسلامِ ما سَمِعَ في بيتِ أختِه فاطمةَ من القرآنِ.. وعدمُ ثبوتِ الرِّوايات حديثيّاً لا يعني حتـميَّةَ عدمِ وقُوعِها تاريخياً»[(٢)].

ثانياً: دعاء النبي ﷺ له:

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ**»[(٣)].



---

(١) رواه أحمد (١/ ١٧) قال الألباني رحمه الله: الإسناد صحيح، لولا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر بن الخطاب، [«السلسلة الصحيحة» (٦٥٣١)].

(٢) انظر «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ١٨٠).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، [«السلسلة السيرة» (١٩٣)].



واستجابَ اللهُ تبارك وتعالى دعاءَ رسولِ ﷺ، فأسلمَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، فاعتزَّ به الإسلامُ، وفرِحَ المسلمونَ بإسلامِه فرَحاً عظيماً، وازدادوا بإسلامِه قوَّةً ومَنَعةً وعِزَّةً ورفعةً.

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»(١).

وقالَ أيضاً: «لقد رأيتُنا وما نَستطيعُ أن نُصَلِّيَ بَالبَيتِ حتى أسلمَ عُمرُ، فلما أسلمَ عمرُ قاتَلَهم حتى تَركونا نُصلِّي»(٢).

وقالَ أيضاً: «إِنَّ إِسْلامَهُ كَانَ نَصْرًا» أي للإسلام والمسلمين(٣).

وقالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما لعمرَ بنِ الخطابِ حينَ طُعِنَ: «فَلَمَّا أَسْلَمْتَ كَانَ إِسْلامُكَ عِزًّا، وَأَظْهَرَ اللهُ بِكَ الإِسْلامَ وَرَسُولَ اللهِ وَأَصْحَابَهُ»(٤).

لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يرض أن يستخفي كما يَستخفي المسلمُونَ، بل أصرَّ على إعلانِ إسلامِه، وإظهارِ دينِه، والجهرِ بصلاتِه.

وتعالَوا بنا لنَستمِعَ إلى ابنِ عمرَ رضي الله عنهما وهو يُخبِرُنا الخبرَ:

عن ابن عمر قال: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ أَيّ قُرَيْش أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ؟ فَقِيلَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَر الْجُمَحِيّ، قَالَ فَغَدَا عَلَيْه. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَغَدَوْت أَتْبَعُ أَثَرَهُ وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ وَأَنَا غُلامٌ أَعْقِلُ كُلّ مَا رَأَيْتُ، حَتّى جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: أَعَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنّي قَدْ أَسْلَمْت وَدَخَلْت فِي دِينِ مُحَمّدٍ ﷺ؟

قَالَ: فَوَاَللّهِ مَا رَاجَعَهُ حَتّى قَامَ يَجُرّ رِدَاءَهُ، وَاتّبَعَهُ عُمَرُ وَاتّبَعْت أَبِي، حَتّى إذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! وَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ



(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٨٤).

(٢) رواه ابن سعد (٣/ ٢٧٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩٨٩)، الطبراني في المعجم الكبير (٨٧٢٥).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٢٣)، وفي الأوسط (٥٧٩).



الْكَعْبَةِ، أَلَا إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ. قَالَ و يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ كَذَبَ، وَلَكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتْ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ. قَالَ: وَطَلَحَ -أي تعب- فَقَعَدَ وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَأَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا، قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حِبَرَةٌ وَقَمِيصٌ مُوَشًّى، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَا عُمَرُ. فَقَالَ فَمَهْ! رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟ أَتَرَوْنَ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا؟! خَلُّوا عَنْ الرَّجُلِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ عَنْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ؟ فَقَالَ ذَاكَ أَيْ بُنَيِّ! الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ[1].

قالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: «أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالإِسْلام عُمَرُ بن الْخَطَّاب»[2]، أسلمَ عمرُ وانتشرَ الخبرُ وازدادَ الكفّارُ همّاً وغمّاً، وازدادَ المسلمونَ فرحاً وعزّةً ومَنَعةً بإسلامِ عمرَ.

ولم يكتفِ عُمرُ رضي الله عنه بذلكَ بل طَلَبَ من النَّبيِّ ﷺ أن يُعلِنَ إسلامَه في كلِّ مجلسٍ كانَ يَجلِسُه في الكفرِ.

عن عمرَ رضي الله عنه أنه أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! لا أدعُ مجلساً جلستُه في الكُفرِ إلَّا أعلنتُ فيه الإسلامَ، فأتى المسجدَ وفيه بطونُ قريشٍ فتحلَّقَه فجَعلَ يُعلنُ الإسلامَ، ويَشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله، فجَعلوا يَضربونَه

(١) **إسناده جيد قوي**: أخرجه ابن اسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٢)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٩١)].

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٨٩٠).

ويضربُهم، فلـما تكاثَروا عليه خلَّصَه رجلٌ[١].

وأما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة إسلام عمر رضي الله عنه:

أولاً: أن الدعاءَ يَنفعُ مما نَزلَ ومما لم يَنزِل؛ فقد انتفعَ عمرُ بنُ الخطابِ بدعاءِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

فاحذَر يا أيها الـمسلمُ أن تَبخلَ على نفسِكَ وعلى إخوانِكَ بالدُّعاء، فالدُّعاءُ مُستـجابٌ، وليس شيءٌ أكرمَ على اللهِ تباركَ وتعالى من الدُّعاءِ، فادعُ اللهَ -تباركَ وتعالى- واسألَه من فضلِه.

ثانياً: يجوزُ للمُسلم أن يَدعوَ للكافر بالهدايةِ، فقد دَعا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لعُمرَ بن الـخطاب بالهداية. فقَال صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الـخَطَّابِ**» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ[٢].

وقد دعا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمِّ أبي هريرةَ بالهدايةِ، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَام فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الله صلى الله عليه وسلم، فَلَـمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْـمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا[٣].



(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٢٩٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي(٣٦٨١)، وأحمد(٢/ ٩٥)، [«صحيح السيرة» (١٩٣)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩١).



وإذا كانَ الدعاءُ للكافرِ بالهدايةِ جائزٌ ومشروعٌ، فالدُّعاءُ للمسلم العاصي بالتَّوبةِ والرُّجوعِ إلى اللهِ من بابِ أولى، فإذا رأيتَ مسلماً عاصياً فادعُ اللهَ أنَ يردَّه إلى الإسلامِ، وأن يعودَ إلى ربِّه، فدعوةُ المسلمِ لأخيهِ بظَهرِ الغيبِ مُستجابةٌ عندَ الرَّبِّ -تبارك وتعالى-.




ثالثاً: المسلمُ عزيزٌ بإسلامهِ والكافرُ ذليلٌ بكفرِه، فهذا عمرُ بنُ الخطابِ اعتزَّ بإسلامهِ فأعلَن به بكلِّ عِزَّةٍ وفخرٍ أمامَ الكفارِ، كيفَ لا، وهو الذي قالَ: «كُنّا أذلاءَ فأعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فلو ابتغَينا العزَّةَ بغيرِ الإسلامِ أذلَّنا اللهُ».

أمة القرآن! أما آنَ الأوانُ أن نعودَ إلى إسلامِنا لنَعتزَّ به فقط، ولا نَعتزَّ بغيرهِ، فيا عبادَ اللهِ! الرُّجوعَ الرُجوعَ إلى الإسلامِ فإنَّ فيه واللهِ العزةَ، وبه تَنتصِرونَ على أعدائِكم.

اللهمَّ ردَّ المسلِمينَ إلى دينِهم ردّاً جميلاً.

١٨

المقاطعة العامة والحصار الاقتصادي، وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، رحلة رسول الله ﷺ إلى الطائف

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الأحداثِ التالية:

أولاً: الـمقاطعةُ العامَّةُ والحصارُ الاقتصاديّ.

ثانياً: وفاةُ أبي طالب وخديجةَ رضي الله عنها.

ثالثاً: رحلةُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الطّائفِ.

ولـما فَشِلَت قُريشٌ في استعادةِ الـمسلمينَ من الحبشةِ، ورأَت أن النّاسَ يَدخلونَ في دينِ اللهِ، ويتَّبعونَ رسولَ اللهِ ﷺ وعلى رأسِ هؤلاءِ حمزةُ بن عبدِالمطَّلب، وعمرُ بنُ الـخطاب رضي الله عنهما، الذي ازدادَ الـمسلمونَ بإسلامِهما فَرَحاً وعزَّةً ومَنعةً، عَزَمَت قُريشٌ على قتلِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وحدَّد النَّبيُّ ﷺ الـمكانَ الذي تَقاسَمَت فيه قريشٌ على الكُفرِ -يعني تَـحالُفَها على مُقاطعةِ بني هاشمٍ حتّى يُسلِموا لهم رسولَ اللهِ ﷺ ليَقتلوه- فذَكَرَ أنه خيفُ بني كنانةَ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ بِمِنًى: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ**».

وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْـمُطَّلِبِ أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ النَّبِيَّ ﷺ[١].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩٠)، ومسلم (١٣١٤).




ولـما رأى أبو طالب إصرارَ قريشٍ على قَتلِ النَّبيِّ ﷺ، جَمعَ بني عبدِ الـمطَّلب ودعاهُم إلى الدُّخولِ بالنَّبيِّ ﷺ في شعبِ أبي طالبٍ، ودَعاهم أيضاً إلى أن يَمنَعوا النَّبيَّ ﷺ مِن كلِّ مَن أرادَ قتلَه، فاجتمعَ على ذلكَ مؤمنُهم وكافرُهم، منهُم مَن فَعَلَ ذلكَ حَميَّةً، ومنهم من فعَلَ ذلكَ إيماناً ويقيناً.

فلـما رأَت قُريشٌ أن بني هاشمٍ وبني عبدالمطَّلِب دَخَلوا بالنَّبيِّ ﷺ الشِّعبَ ليَمنعوه ممن أرادَ قتلَه، اتَّفقوا فيما بينَهم على مقاطعةٍ عامة لبني هاشمٍ وبني عبدِالمطَّلِبِ، وأجمَعوا أمرَهم أن لا يُبايعوهُم ولا يَبتاعوا منهم، ولا يُنكِحوهم ولا يَنكحُوا منهم، حتى يُسلِموا إليهم النَّبيَّ ﷺ ليَقتلوه، وكَتَبوا ذلكَ في صحيفةٍ، وعلَّقوها في جوفِ الكَعبةِ، ومضى على ذلكَ ثلاثُ سنينَ، فجُهدَ النَّبيُّ ﷺ ومَن معَه جُهداً شاقّاً، وأنهكَهُم الجوعُ، وهم في ذلكَ صابرونَ محتسِبونَ، واثِقونَ من أنَّ اللهَ تعالى جاعلٌ لهم من هذا الضِّيقِ فَرَجاً ومَـخرجاً.



فلم تَـمضِ الثَّلاثُ سنينَ على هذا الحصارِ وهذه الـمقاطعةِ حتى فَرَّقَ اللهُ كَلمةَ الـمشركِينَ، وفرَّقَ جمعَهم، فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يَتساءَلونَ عن سرِّ هذه الـمُقاطعةِ، وسببِ هذا الحصارِ الذي فَرَضوه على بني هاشمٍ وبني عبدِالمطَّلب، ونفعِه وضرَرِه، وماذا جَنَوا منه وماذا استفادُوا، فاجتـمعَ رجالٌ من قُريشٍ على نَقضِ هذه الصَّحيفةِ الظَّالمة.

وخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ ومن مَعه من الشِّعبِ، وقد أنهكَهمُ الجوعُ، وأصابَهم الضِّيقُ والشِّدَّةُ والبَلاءُ، كلُّ ذلكَ ببَغيِ قُريشٍ وظُلمِها واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

فرأى النَّبيُّ ﷺ أن يدعوَ اللهَ على قُريشٍ أن يصيبَهم بمثلِ ما أصابَهم فقالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**».



أي سبع سنينَ جدباً، وفي روايةٍ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**»[١].

فأخذَتهم سنةٌ، مَحَت كلَّ شيءٍ، حتى أكَلوا أوراقَ الشَّجرِ والميتةَ والجيفةَ، وكانَ أحدُهم ينظرُ إلى السماء فيرى الدُّخانَ من شدَّةِ الجوع، فلم يَجِدوا بدّاً من أن يأتوا رسولَ ﷺ ويسألوهُ أن يدعوَ اللهَ ليُفرِّجَ كربَهم، فدعَا لهم رسولُ اللهِ ﷺ، فسُقوا الغَيثَ ورفعَ اللهُ ما نَزَلَ بهم؛ إنها أخلاقُ النُّبوَّة!

عن عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: لَـمَّا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ: اللَّهُمَّ سَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى أَكَلُوا الْـمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ فَسُقُوا الْغَيْثَ»[٢].

وما أن خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ من الشِّعبِ حتى فاجأَ الـمرضُ أبا طالبٍ عمَّ رسولِ اللهِ ﷺ.

وكانَ أبو طالبٍ «يحوطُ النَّبيَّ ويَغضَبُ له»[٣]، «وينصرُه»[٤]، وكانَت قريشٌ تـحترمُه.

وأبو طالبٍ أشرفَ على الـموتِ، فأتاه النَّبيُّ ﷺ يدعوه للإسلامِ لعلَّه يموتُ عليه، ولكنَّ الـهُدى هدى اللهِ.



عن سعيدِ بن الـمسيِّب، عن أبيه أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَـمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠٧، ٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨)، [«صحيح السيرة النبوية» (٧٢٢)].

(٢) **صحيح بهذا اللفظ**: رواه البيهقي في السنن (٣/ ٣٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٢٠٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩).



الـمُطَّلب؟ فَلَمْ يَزَالا يُكلِّمانِه حَتَّى قَالَ آخرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْـمُطَّلِب، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**» فَنزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة]. وأنزل الله عزَّ وجلَّ قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][1].

وهكذا ماتَ أبو طالبٍ على الكُفرِ، وخَرَجَ من الدُّنيا على غيرِ لا إله إلَّا اللهُ، إلَّا أن اللهَ تفضَّلَ عليه بما قدَّم لرسولِ اللهِ ﷺ، فشَفَّعَ فيه رسولَ اللهِ ﷺ فأخرَجه من أسفلِ النّارِ إلى أعلاها.

عنِ العبّاسِ بنِ عبدِالمطّلبِ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»[2].

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[3].

وعن أبي سعيدٍ الـخُدريِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).



ولكن لم يَشفَع له النَّبيُّ ﷺ أن يَخرُجَ من النّارِ، لأنه لا يَخرُجُ من النّارِ من ماتَ كافراً أبداً، وحَرَّمَ اللهُ الجنَّةَ على من ماتَ كافراً أو مشركاً.

ماتَ أبوطالبٍ، ولم تَـمضِ إلّا أيامٌ قلائلُ حتى ماتَتِ الزَّوجةُ الوَفيَّةُ الأمينةُ خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ رضي الله عنها، فحَزِنَ عليها رسولُ الله ﷺ حُزناً شديداً، وظلَّ يَذكرُها بعدَ موتِها بكلِّ خَيرٍ، ويُثني عليها أحسنَ الثَّناءِ، حتى إنّ عائشةَ رضي الله عنها غارَت منها بعدَ موتِها ولم تَرَها، من كثرةِ ذكرِ الرَّسولِ ﷺ لـها.

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا،وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**»[١].

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ**»[٢].

جبريلُ عليه السلام يُقرِئُ خديجةَ السَّلامَ من ربِّها، ويُبشِّرُها بقصرٍ في الجنَّةِ قالَ أبوهريرةَ رضي الله عنه: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»[٣].

وماتَ أبو طالبٍ على الكُفرِ، وماتَت خديجةُ على الإيمانِ، لتعلَموا يا عبادَ اللهِ! أن الـموتَ حقٌّ على الجميعِ؛ على الـمؤمنِ والكافرِ، وعلى الكبيرِ والصَّغيرِ، وعلى الغَنيِّ والفقيرِ، وعلى القويِّ والضَّعيفِ، فما من أحدٍ منّا إلّا وسيأتيه الـموت

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (رقم ٢٤٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (٨٣٥٥) أحمد (١/ ٢٩٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٨)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).



ويَخرُجُ من هذه الدُّنيا، لكن هَنيئاً لمن خَرَجَ على الإيمانِ والعملِ الصالحِ، وخابَ وخَسِرَ من جاءَته الـمَنيَّةُ وهو على الكُفرِ ومعصيةِ الله.

قالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء]. وقالَ تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦﴾ [الرحمن]. وقالَ تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [الجمعة].

وقالَ جبريلُ عليه السلام لرسولِنا ﷺ: «**يا محمدُ! عِشْ ما شِئْت، فإنَّك ميِّت**»(١)

ابن آدم!

لا شيءَ مما ترى تَبْقى بَشَاشَته ... يَبْقَى الإله ويفنى الـمالُ والولدُ
لم تُغنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزَائنه ... والخُلْد قد حاولت عادٌ فما خلدُو
ولا سُليمانَ إذ تجري الرِّياحُ له ... والأنس والجُّن فيما بينها تردُ
أين الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كلّ أوْبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك موردٌ بلا كِذبٍ ... لا بدَّ من وِرِدِهِ يوماً كما وَردوا

عباد الله!

نَسيرُ إلَى الآجالِ في كُلِّ لحظةٍ ... وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مراحِلُ
وَلَمْ أرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ ... إذَا مَا تَخَطَّتْه الْأَمَاني بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ للرَّأْسِ شاعلُ
تَرَحَّلْ من الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنْ التُّقَى ... فَعُمْرُك أَيَّامٌ وهنَّ قَلَائِلُ

ولـما ماتَ أبو طالبٍ نالَت قُريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تَنالُ منه في حياةِ عمه أبي طالبٍ، فرأى رسولُ الله ﷺ أن يغيِّرَ البيئةَ، وأن يَخرُجَ

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، و الحاكم (٤/ ٣٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

بالدَّعوة من مكَّة إلى غيرها، لعلَّه يَجِدُ من القبائلِ والعشائر من يَقبلُ الدَّعوةَ، ويَحميه حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربِّه، فخَرَجَ إلى الطائف ماشياً يَلتـمِسُ النُّصرةَ من ثقيفٍ، رجاءَ أن يَقبَلوا منه ما جاءَهم به من اللهِ عزَّ وجلَّ، ولكنّها لم تَستـجب له، وأغرَت به صبيانَها فرَشَقوه بالحجارةِ حتى أدمَوه، فقابلَ ذلكَ بالصَّبرِ والرِّضا وخَرَجَ عائداً إلى مكَّةَ، مَهموماً حَزيناً، فأرسل اللهُ له مَلَكَ الجبال ليَنتقِمَ منهم، فقابَلَ الإساءةَ بالإحسانِ والعَفوِ والصَّبرِ، ولم يُوافِق مَلَكَ الجبالِ على إهلاكِهم، قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].



عن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: قلتُ يا رسولَ الله! هَلْ أَتَى عَلَيْك يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ**: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ -جبلين بمكة- **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[1].

إنها أخلاقُ النُّبوَّة، إنها الرَّحمةُ، ورَجعَ النَّبيُّ ﷺ إلى مكَّةَ، وكانَ بيَدِه أن يَتَـخلَّصَ من الكفّارِ، وأن يَستريحَ من شرِّهم، وأن يُمسِكَ هو الحكمَ ليَقومَ بما يُريدُ، ولكن ليسَ بهذه الطَّريقةِ جاءَ الأنبياءُ إلى هذه الأرض، إنهم جاؤوا لإخراجِ العبادِ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ ربِّ العبادِ، ولإخراجِ النّاسِ من الظُّلُـماتِ إلى النُّورِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).



وأما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هذه الأحداث فهي:

أولاً: الـمقاطعةُ العامّةُ والحصارُ الاقتصاديُّ، ومطاردةُ النّاس في أرزاقِهم؛ من أخلاقِ الكفَرةِ من قديمِ الزّمانِ وإلى يومِنا هذا، ففي مكّةَ فعَلَت قُريشٌ ذلك برسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه، وحاصَروهم في شِعبِ أبي طالب، وإلى يومِنا هذا الكفّارُ يَضربُونَ الحصارَ الاقتصاديَّ، والحظرَ على بلادِ الـمسلمِينَ، نقولُ للكفَّارِ في كلِّ مكانٍ: أرزاقُ العبادِ بيدِ اللهِ وليسَت بأيديكُم. قالَ تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ] ونقولُ للكفّارِ: إن اللهَ عزَّ وجلَّ بفَضلِه وكَرَمِه ورحمتِه، لم يَكِل رزقَ العبادِ إلى غيرِه. قالَ تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود].



أيرزقُ اللهُ الدَّوابَّ والطُّيورَ ويَنسى الذينَ يقولونَ: لا إله إلّا اللهُ؟! أيرزقُ اللهُ الكفَرةَ الفَجرةَ الذين يُحارِبونَ اللهَ ويُحارِبونَ دينَه وعبادَه، ويحرِمُ الذين يعبدونه وينصرونَ دينَه!!

قالَ ﷺ: «**إنَّ الرِّزْقَ لَيطْلُبُ الْعَبْدَ كَما يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لو أنّ ابن آدمَ هَربَ منْ رِزْقِهِ كما يهربُ من الـموتِ لأدركَهُ رزقُهُ كما يدركُهُ الـموت**»(٢).

(١) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٤٠٩٩)، وابن حبان (٣٢٣٨) من حديث أبي الدرداء،ورواه الطبراني في الكبير (٢٧٣٧) من حديث الحسن بن علي، [«صحيح الترغيب والترهيب » (١٧٠٣)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٤٤٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٠) من حديث جابر، [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٢)].



ولذلكَ قالَ ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي: أَنَّهُ لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ**»(١).

ثانياً: الرحمة والعفو والصفح من أخلاق رسولنا ﷺ، فقد فعل الكفار ما فعلوا برسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه، ولما دعا عليهم الرَّسولُ ﷺ بسَبع كسَبع يوسفَ واستجابَ اللهُ له فيهِم، وجاؤوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ يَطلُبونَ منه أن يَدعوَ اللهَ أن يَرفَع عنهم ذلكَ العذابَ، فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ ربَّه أن يُغيثَهم.

وعندمَا اعتدى أهلُ الطّائفِ على رسولِ اللهِ ﷺ ورَشقوه بالحجارةِ حتى أدمَوه، وجاءَ مَلَكُ الجبالِ يطلُبُ من رسولِ اللهِ ﷺ أن يأمُرَه أن يُطبقَ على الكفار الجبَلَين، رَفضَ رسولُ اللهِ ﷺ ذلكَ وقالَ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢)



إنها أخلاقُ النُّبوَّة.. كيفَ لا؟! واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقالَ تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

ثالثاً: على الدُّعاةِ أن يَصبِروا على دعوتِهم وعلى إيذاءِ النّاسِ لهم، فلا يأسَ ولا قُنوطَ من إسلامِ الكفَرةِ والفَجرةِ، ولا من توبةِ العُصاةِ الفَسَقةِ، فقلوبُ العبادِ بينَ إصبَعَينِ من أصابعِ الرَّحمنِ يُقَلِّبُها كيفَ يشاءُ، وكم من رجلٍ خَرَجَ ليلاً ليَقتُلَ

(١) **حسن صحيح**: رواه الشافعي في مسنده (١١٥٣) من حديث المطلب بن حنطب، والبزار (٢٩١٤) من حديث حذيفة، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٣٢) من حديث ابن مسعود، و الطبراني في الأوسط (٣١٠٩) من حديث جابر، و أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٢٣١)، ومسلم(١٧٩٥).



النَّبيَّ ﷺ فما أصبحَ إلَّا وهو من أتباعِه، فلا يجوزُ للدّاعي أن ييأسَ من دعوة الناسِ، ولا يجوزُ أن يَقنَطَ من هدايتهم، فاللهُ عزَّ وجلَّ هو الـهادي، والدّاعي ما عليه إلَّا البيانُ، وأجرُه على الله.

رابعاً: جليسُ السُّوء يَضرُّ صاحبَه في الحياةِ الدُّنيا، وعندَ الـموتِ، ويومَ القيامةِ، فقد تبيَّنَ لكم أن جليسَ السُّوءِ -وهو أبو جهلٍ- قد أضرَّ بصاحبِه عندَما قالَ له رسول الله ﷺ: «**يا عم! قل لا إله إلَّا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقالَ له أبو جهلٍ: يا أبا طالبِ! أترغَبُ عن ملَّةِ عبدِالمطلبِ؟ فخَرَجَ الرَّجلُ من الدُّنيا على ملَّةِ عبدِالمطَّلبِ -على الكُفرِ- وهكذا الجَليسُ السُّوء.

ولكن إذا جَلَسَ الجليسُ الصّالحُ عندَ صاحبِه عندَ الـموتِ قالَ له: (قل لا إله إلَّا الله) فيقولَـها.



والرسولُ ﷺ يقولُ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

اللهمَّ إنا نَسأَلُكَ الجنَّةَ ونعوذُ بكَ من النّار.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣)، [«أحكام الجنائز» (ص٤٨)].

١٩

الإسراء والمعراج

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الإسراءِ والمعراج.

والإسراءُ والمعراجُ كان مكافأةً ربانيَّةً، ومواساةً للرَّسولِ ﷺ بعدَ الحصارِ الظالمِ الذي استمَرَّ ثلاثَ سَنواتٍ في شِعبِ أبي طالبٍ، وبعدَ وفاةِ النّاصرِ الحميمِ أبي طالبٍ، والزَّوجةِ الوَفيَّةِ الأمينةِ خديجة رضي الله عنها، وبعدَ رحلةِ الطّائفِ الأليمةِ.

فكانَت هذه الرحلةُ الرَّبانيَّةُ، التي أكرمَ اللهُ تباركَ وتعالى فيها رسولَه ﷺ؛ ليُذهِبَ عن صدرِه الآلامَ والأحزانَ.




والإسراء: هو ذهابُ اللهِ تباركَ وتعالى بنبيِّه محمَّدٍ ﷺ، راكباً على البُراقِ، من المسجدِ الحرام بمكَّةَ، إلى المسجدِ الأقصى في القُدسِ، في جزءٍ من اللَّيلِ ثمَّ رجوعُه من ليلتهِ.

والمعراج: هو صعودُ الرَّسولِ ﷺ، من المسجدِ الأقصى في تلكَ اللَّيلةِ، بعدَ إسرائِه إلى السَّمواتِ العُلى، ثم إلى سِدرةِ المُنتهى، ثم رجوعِه إلى بيتِ المقدسِ في تلكَ اللَّيلةِ.

وحادثةُ الإسراءِ والمعراجِ ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ.

ففي كتابِ ربِّنا، ذَكَرَ اللهُ تعالى الإسراءَ وحِكمتَه بقولِه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

ويستفاد من هذه الآية ما يلي:

أولاً: بدأ اللهُ الآيةَ بـ(سبحانَ) لأنَّ من قَدِرَ على هذا فهو مُستَحِقٌّ للتَّنزيهِ والتَّقديس.

ثانياً: في ذكرِ (العبدِ) في هذا المقامِ تَشريفٌ، ولذلكَ وَصَفَ اللهُ رسولَه بالعُبوديَّةِ في أشرفِ المقامات:

ففي مقامِ التَّنزيل قالَ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف].

وفي مقامِ الدَّعوةِ قالَ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].

وفي مقامِ التَّحدّي قالَ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

وفي مقامِ الإسراءِ قالَ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

وفي ذكرِ العبدِ في هذا المقامِ أيضاً تحذيرٌ أن يُتَّخَذُ الإسراءُ وسيلةً لرفعِ الرَّسولِ ﷺ من مقامِ العُبوديَّةِ إلى مقامِ الألوهيَّةِ، وكانَ النبيُّ ﷺ ينهى عنِ الإطراءِ والغُلوِّ حتى لا يَقَعَ الناسُ في الشِّرك، فعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

ثالثاً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بمكَّةَ، وسُمِّيَ حراماً لحُرمَتِه، وهو أولُ بيتٍ وُضِعَ في الأرضِ، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٤٤٥).

بفلسطين: وسُمِّيَ بالأقصى لبُعدِه عن الـمسجد الحرام، وهو ثاني بيت بُنِيَ لله في الأرض، سُئِلَ ﷺ: «**أَيُّ مَسْجِد وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ الْـمَسْجِدُ الْحَرَامُ.** قيل: **ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ الْـمَسْجِدُ الْأَقْصَى.** قيل: **كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً**»(١).

رابعاً: وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ فالمسجدُ الأقصى مباركٌ، والأرضُ التي حولَه مباركةٌ، وهي بركاتٌ دينيَّةٌ ودنيويَّةٌ.

خامساً: وفي قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآ﴾ تلكَ هي حكمةُ الإسراءِ، لقَد رأى النَّبيُّ ﷺ في رحلتِه ما أذهبَ عن صدرِه الآلامَ والأحزانَ والرَّوعَ والخوفَ، وليَربطَ على قلبِه وليُثَبِّتَ فؤادَه، وليكونَ من الـمؤمنِينَ، أنَّ اللهَ معَه ولن يتَـخلَّى عنه، وأن اللهَ ناصرُه.

وفي كتابِ ربِّنا ذَكَرَ اللهُ قصَّةَ الـمعراجِ وثمرتَه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ يعني جبريل ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

فالإسراءُ والمعراجُ ثابتٌ في كتابِ ربِّنا.

وكانَ بالرُّوحِ والجسَدِ وفي اليقظةِ لقوله تعالى: ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ والعبدُ لا يكونُ إلَّا بالرُّوحِ والجَسدِ، ولقولِه تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ والبصرُ يكونُ في الجسدِ.

وفي قولِه ﷺ: «**لَـمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْـمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»(٢).

فلو أنه ﷺ أخبرَهم بأنها رؤيا رآها لـما اختبروه بالسُّؤالِ عن آياتِه وعلاماتِه.

والإسراءُ والمعراجُ ثابتٌ في سنَّةِ نبيِّنا ﷺ، فتعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى رسولِ اللهِ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠)و اللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧١٠) ومسلم (١٧٠).




ﷺ وهو يُخبِرُنا خبرَ الإسراءِ والمعراجِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ**»[١].

وبعدَ أن فَرَغَ جبريلُ عليه السلام من عمليَّةِ شقِّ الصَّدرِ وغَسلِه ولأْمِه لرسولِ اللهِ ﷺ بدأ الإسراءُ من الـمسجدِ الحرام، إلى الـمسجدِ الأقصى على البُراقِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُتيتُ بِالْبُرَاقِ؛ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْـمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ،قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْـمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: جِبْرِيلُ ﷺ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**»[٢].

ومن هناكَ من الـمسجدِ الأقصى بدأَت رحلةُ الـمعراجِ فعُرِجَ بالنَّبيِّ ﷺ، من الـمسجدِ الأقصى، إلى السَّمواتِ العُلى، إلى سدرةِ الـمُنتهى، إلى حيثُ شاءَ اللهُ.

قالَ ﷺ: «**ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ،فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.**

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَك؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢).




ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلَى السَّماءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قال الله عزَّ وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم]، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: مَن؟ قال: جبريل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْـمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْـمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَـمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.




قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[١].

وهكذا كان الإسراءُ والمعراجُ -تلكَ الرحلةُ العجيبةُ- تـمَّ في جزءٍ من اللَّيلِ، وعادَ النَّبيُّ ﷺ من رحلتِه والنّاسُ نيامٌ لم يَشعُر أحدٌ بذلك.

كفارُ مكَّةَ وخبرُ الإسراءِ والمعراجِ.

الذين كذَّبوا أن يقعَ وحيٌ على الأرضِ أتراهم يُصدِّقونَ بالوحي في السَّماء؟ تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يُخبِرُنا عن حال قُريش عندَما وصلَهمُ الـخَبر: عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لـمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ قَطعتُ بِأَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ الله أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْـمُسْتَهْزِئِ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**».

قَالَ إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**».

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢).

قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**».

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْـمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا.

قَالَ (أي أبو جهل): حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**».

قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟

قُلْتُ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**».

قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا!

قَالَ: «**نَعَمْ**».



قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ.

قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْـمَسْجِدَ؟

وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْـمَسْجِدَ، **فَقَالَ رَسُولُ الله** ﷺ: «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ**».

قال: «**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَالله لَقَدْ أَصَابَ [١].

ومعَ ذلكَ ما زادَهم ذلكَ إلَّا نفوراً.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (١١٢٨٥)، وأحمد (١/ ٣٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٢١)].

وفي هذا الحديث معجزات للنبي ﷺ:

المعجزة الأولى: رفع اللهُ الـمسجدَ الأقصى من بيتِ الـمقدسِ في فلسطينَ، وجاء به ووضعه في مكةَ أمامَ النبيِّ ﷺ، ينظر إليه قريباً من دار عِقال أو عقيل.

المعجزة الثانية: أن النبيَّ وحده هو الذي يرى الـمسجدَ الأقصى دون كلِّ من حولَه من الناس.

المعجزة الثالثة: بعد أن انتهت الـمهمةُ ردَّ اللهُ الـمسجدَ الأقصى مكانه حيث كان أولاً ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ٢٠﴾[إبراهيم].



فهذا سليمانُ عليه السلام، لـما طلب عرشَ بلقيسَ أن يأتيه من اليمن إلى بيت الـمقدس ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ٤٠﴾[النمل].

فاللهُ على كل شيء قدير، وإذا أراد أمراً أن يقولَ له كن فيكون، فالله يُكرم أولياءَهُ وأنبياءَهُ بما شاء من الكرامات والمعجزات.

وكفارُ مكةَ بعد ما سمعوا من رسول الله ﷺ النعت وقالوا: «أما النعت فوالله لقد أصاب».

ما زادهم ذلك إلَّا نفوراً، وأبى الظالمون إلَّا كفوراً، فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾[القمر].



فإذا كان هذا حالهم، فالله -عزَّ وجلَّ- يقول لرسول الله ﷺ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ واتركهم ليوم عظيم: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر].

أبو بكرٍ الصِّديقُ وخبرُ الإسراءِ والمعراجِ

أما أبو بكرٍ الصِّديق عندَما وصلَه الـخبرُ فماذا قال؟

فعن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: «لـما أُسرِيَ بالنَّبيِّ ﷺ إلى الـمسجدِ الأقصى؛ أصبح يتـحدَّثُ الناسُ بذلكَ فارتدَّ ناسٌ مِـمَّنْ كانوا آمنوا به وصدَّقوه وسَعَوا بذلكَ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فقالُوا: هل لكَ إلى صاحِبك! يزعمُ أنه أُسرِيَ به اللَّيلةَ إلى بيتِ الـمقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم! قال: لئنْ كانَ قال ذلكَ لقدْ صدَقَ، قالوا: أوَتُصَدِّقُه أنه ذهبَ اللَّيلةَ إلى بيتِ الـمقدسِ و جاءَ قبلَ أن يُصبِحَ؟ قال: نَعَم! إني لأصدّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أصدِّقه بخبرِ السَّماءِ في غَدوةٍ أو رَوحة؛ فلذلك سُمّيَ أبو بكرٍ الصِّديقَ»[1].

أمةَ الإسلام! قصةُ الإسراءَ والمعراجَ فيها دروسٌ وعِظاتٌ وعبرٌ عظيمةٌ فما هي العظاتُ والعِبَرُ التي تُؤخَذُ من حادثِ الإسراءِ والمعراجِ؟

هذا ما سنَعرفُه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-، إن كان في العمر بقية.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلِمينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.



(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٣/ ٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٦)].



الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من الإسراء والمعراج

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الدُّروسِ والعظاتِ والعبرِ؛ التي تُؤخَذُ من قصَّةِ الإسراءِ والمعراجِ.

وفي الجمعةِ الـماضيةِ تبيَّنَ لنا أنه أُسريَ برسولنا ﷺ إلى السَّمواتِ العُلى، إلى سِدرةِ الـمُنتهى إلى حيثُ شاءَ اللهُ تباركَ وتعالى، وقد فَرَضَ اللهُ تباركَ وتعالى على رسولِنا ﷺ الصَّلاةَ، وقد رأى رسولُنا ﷺ من آياتِ ربِّه الكبرى، ثم عادَ إلى الـمسجدِ الأقصى، ثم إلى الـمسجدِ الحرام في نفسِ اللَّيلةِ، وكانَ ذلكَ بالروحِ والجسدِ، وفي اليقظةِ لا في الـمنامِ، وقد تبيَّنَ لنا أن الإسراءَ والمعراجَ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّة.

وقصَّةُ الإسراءِ والمعراجِ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرُ كثيرةٌ جداً؛ منها:

أولاً: أهمية المسجد الأقصى في الإسلام.

أيها المسلمون! وإذا كُنتـم قد نَسيتُـمُ الـمسجدَ الأقصى فها نَحنُ نذكِّرُكُم به؛ الـمسجدُ الأقصى هو ثاني مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ؛ لعبادةِ اللهِ وتوحيدِه.

سُئِلَ ﷺ: «**أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ الْـمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قيل: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ الْـمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قيل: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً**»[1].

المسجدُ الأقصى؛ رَفع بناءَه وجدَّدَه سليمانُ بنُ داودَ عليهما السَّلامُ: عن عبدِالله ابنِ عمرو بن العاصِ عن رسولِ اللهِ ﷺ **أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليهما السلام لَـمَّا بَنَى بَيْتَ الْـمَقْدِسِ -أي الـمسجد الأقصى- (وفي رواية: لـما فرغ من بناء مسجد بيت**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).



الـمقدس)، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً..» الحديث[١].

الشاهدُ من هذا الحديث: أن الذي رَفَعَ بناءَ الـمسجدِ الأقصى وجدَّدَه؛ هو سليمانُ ابنُ داودَ عليهما السَّلام.

المسجدُ الأقصى هو قبلةُ الـمسلمينَ الأولى.

عن البراءِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِس سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَولَ صلاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْـمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ.. الحديث[٢].

فكان ﷺ يُقلِّبُ وجهَه في السَّماءِ، يَرغَبُ ويسألُ ربَّه أن يُحوِّلَ قبلتَه إلى الـمسجدِ الحرام، فاستجابَ اللهُ له، قالَ تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤**﴾[البقرة].

والمسجدُ الأقصى مسجدٌ مباركٌ، باركَ اللهُ فيه وحولَه من بركاتِ الدُّنيا والدِّين، قالَ تعالى: ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١**﴾[الإسراء]، وقالَ تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١**﴾[الأنبياء] وقالَ تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا**

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٢/ ٣٤)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد (٣/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٩٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥).




بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء] وقالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[سبأ].

فهذه البلادُ الـمباركةُ الـمقصودُ منها هوَ بيتُ الـمقدسِ، نسألُ اللهَ تباركَ وتعالى أن يَرُدَّها للمسلمِينَ من أيدي إخوةِ القردةِ والخنازيرِ.

والصلاةُ في الـمسجدِ الأقصى فضلُـها عظيمٌ.

عن عبدِالله بن عمرو بن العاص، عن رسولِ الله ﷺ، **«أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَـمَّا بَنَى بَيْتَ الْـمَقْدس سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خلالًا ثلاثةً؛ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيه، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْده فَأُوتِيه، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بنَاءِ الْـمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَته كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»** وفي رواية: **فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ»**(١).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: تذاكَرنا و نحنُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ: أيُّهما أفضلُ مسجدُ رسولِ اللهِ ﷺ أمْ مسجدُ بيتِ الـمقدسِ؟

فقالَ رسولِ اللهِ ﷺ: **«صلاةٌ في مَسْجِدي هذا أفْضَلُ منْ أربعِ صلواتٍ فيهِ، ولنعمَ الـمُصلى هوَ»** الحديث(٢).

فتكونُ الصَّلاةُ في الـمسجدِ الأقصى بمئتَينِ وخمسِينَ صلاةً.

أمةَ الإسلام! أنسيتُـم الـمسجدَ الأقصى؟ هو مَسرى رسولِ اللهِ ﷺ، ومنه عُرِجَ به إلى السَّماءِ.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٢/ ٣٤)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد (٣/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط (٦٩٨٣)، والحاكم (٤/ ٥٥٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٠٢)].




قالَ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

وقال ﷺ: «...**فَرَبَطْتُهُ (أي البراق) بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْـمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ**» الحديث.

أي عَرجَ من الـمسجدِ الأقصى إلى السَّماءِ، وفي هذه إشارةٌ أنه كما أن النُّبوَّة انتقلَت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل إلى رسولِنا ﷺ، فهذه بُشرى للنَّبيِّ ﷺ وأصحابِه والمسلمينَ إلى يوم القيامةِ بأنَّ قيادةَ البَشَريَّة ستَنتقلُ من أيدي بني إسرائيلَ، لأنهم عَصَوا اللهَ وملأوا الأرضَ غَدراً وخيانةً، ستَنتقِلُ إلى الأمةِ الإسلاميةِ، بقيادةِ رسولِـها ﷺ وقد فتَـحَت الأمةُ الإسلاميَّةُ الدُّنيا من مشرقِها إلى مغربِها، لـما كانوا متـمسِّكينَ بدينِهم، وبسُنَّةِ رسولِهم، لكن لـما انشغَلوا بالدُّنيا وحُطامِها ضَيَّعوا والبلادَ من مشرقِها إلى مغربِها، ولذلك نقول: إذا أردتُـم يا أمةَ الإسلامِ أن يعودَ الأقصى إليكُم وتُـحَرِّروا أرضَكُم من الكفّارِ فعليكُم أن تَعودوا إلى دينِكم، وأن تتـمسَّكوا به فإن فعلتُـم ذلكَ نصرتُـمُ اللهَ في أنفسِكم، وإن نصَرتُـمُ اللهَ في أنفسِكُم نصرَكُمُ اللهُ على عدوِّكم: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد].

والمسجدُ الأقصى من الـمساجدِ التي تُشَدُّ لـها الرِّحال.

قال ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْـمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصى**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).




وشدُّ الرِّحالِ تكونُ للصلاةِ في هذه الـمساجدِ أو الاعتكافِ فيها، أما شدُّ الرِّحالِ إلى الأضرحةِ والقبورِ والأولياءِ، فهذا حرامٌ ولا يجوزُ في شريعةِ الإسلامِ.

ثانياً: أهمية الصلاة في الإسلام.

أمّا الصلاةُ، فلأهميَّتِها فرَضَها اللهُ على رسولِه ﷺ هناكَ فوقَ السَّموات، بعدَ سدرةِ الـمنتهى مباشرةً وبدونِ واسطة.

والصَّلاةُ هي عمودُ الدِّين الذي لا يَقومُ إلَّا به.

قالَ ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّه وَعَمُودِه وَذُرْوَةِ سَنَامِه؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ**: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»(١)

الصلاةُ هي أولُ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ يومَ القيامة، فإن صَلَحت فقد أفلحَ وأنجح، وإن فسَدَت فقد خابَ وخسرَ، قالَ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»(٢).



الصلاةُ هي آخرُ وصيَّةٍ وصّى بها رسولُ اللهِ ﷺ أمتَه، فقالَ ﷺ في أنفاسِه الأخيرةِ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(٣).

الصلاةُ هي آخرُ ما تبقَّى لنا من ديننا، يقولُ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى مِنْ دِينِهِمُ الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَلَاقَ لَهُ عِنْدَ اللهِ**»(٤).

الصلاةُ تـجارةٌ رابحةٌ، يقولُ ربُّ العِزَّةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٢٢)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٤١٣)، وأبو داود (٨٦٤)، والنسائي (١/ ٢٣٢)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد (٢/ ٤٢٥)، [«صحيح الجامع» (٢٠٢٠)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٥٦)، وأحمد (١/ ٧٨) من حديث علي، ورواه أحمد (٦/ ٢٩٠) من حديث أم سلمة.

(٤) **حسن**: رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ١٦٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٧٢)].



ﭐلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ [فاطر].

الصلاةُ تمحو الذُّنوبَ والخطايا. قالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ [هود].

وقالَ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرًا ببابِ أَحدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِه شَيْءٌ؟ قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»(١).

وقالَ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!

قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢).



الصلاةُ تنهى صاحبَها عن الفحشاءِ والمُنكرِ. قالَ تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت].

الصلاةُ سببٌ للتَّمكينِ في الأرضِ. قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج].

الصلاةُ سببٌ لنُزولِ الرَّحمةِ على العبادِ. قالَ تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١).



الصلاةُ سببٌ لدخولِ الجنّة. قالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

أُولى هذه الصِّفاتِ الذين هم في صلاتِهم خاشعونَ، وآخرُ هذه الصِّفات، والذين هُم على صلواتِهم يحافظونَ، ومع ذلكَ فقد ضَيَّعَ الكثيرُ من النَّاسِ الصلاةَ.

أَنَسيَ هؤلاءِ الذين ضيَّعوا الصلاةَ أن أولَ أسبابِ دخولِ النار: تركُ الصَّلاةِ! قالَ تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر].

أَنَسيَ الذين تركوا الصلاةَ أن بينَ الرّجلِ وبين الكُفر تركَ الصَّلاة، قالَ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[١]، وقال ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٢].

أمةَ الإسلامِ! اتقوا اللهَ في الصَّلاةِ، فإنكم ستُسألونَ عنها يومَ القيامة.

ثالثاً: التحذير من الغيبة والخوض في أعراض المسلمين، وأكل لحوم الأبرياء:

قالَ ﷺ: «**لَـمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، [«صحيح الجامع» (٤١٤٣)].

وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[١].

والذينَ يَغتابونَ الـمسلمِينَ، ويأكلونَ لحومَ الأبرياءِ في مجالسِهم، هذا عذابُهم في حياةِ البَرزخ جزاءً وفاقاً، ولا يَظلِمُ ربُّك أحداً، فليتَّقِ الله كلٌّ منّا في لسانِه، لأنَّ اللِّسانَ إذا أُطلِقَ في أعراضِ الـمسلمِينَ أدخلَ صاحبَه النَّارَ. قالَ تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾**﴾[المدثر].

أي: كُنّا في الدُّنيا نخوضُ بألسنَتِنا بالباطلِ وأكلِ لحومِ الأبرياءِ.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أنَّ رجلاً قال: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فقال صلى الله عليه وسلم: «**هِيَ فِي النَّارِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم! فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**هِيَ فِي الْـجَنَّةِ**»[٢].

وعن معاذ رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ الله! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ؟

قال صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ» فبعد أن أخبره ودله على أبواب الـخير.

قال صلى الله عليه وسلم له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟».

قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤) [«السلسلة الصحيحة» (٥٣٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والحاكم (٤/ ١٨٣، ١٨٤) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].



وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»**(١).

وقال ﷺ للرجل عندما سأله: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: **«أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»**(٢).

وقال ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**(٣).

وقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! أَيُّ الْـمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ ﷺ: **«مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**(٤).

وقد حذّر النبي ﷺ الذين يأكلون لحوم الناس بألسنتهم، فقال ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا الْـمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»**(٥).



فاتقوا اللهَ يا مَعشرَ الـمسلمينَ في ألسنتِكُم وأمسكوها عن أعراضِ الـمسلمِينَ، وعن الغِيبةِ، فإنكُم راجعونَ إلى اللهِ وموقوفونَ بين يدَيه، وسائلُكم عن حصائِدِ ألسنتِكم.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

رابعاً: التحذير من خطباء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون. والذينَ يأمرونَ النّاسَ بالبرِّ وينسَونَ أنفسَهم، والذينَ يدعونَ الناسَ إلى كلِّ شرٍّ، الذينَ يدعونَ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤) وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٢٢)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٤/ ١٤٨)، واللفظ للترمذي، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٤٠)، واللفظ لمسلم.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠) [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤)].



النّاسَ إلى الشِّركِ والبدَع والخُرافات، الذينَ يَدعونَ النّاسَ إلى الحزبيَّةِ البَغيضةِ التي فرَّقَت الأمَة، الذين يُحَرِّضونَ الـمسلمِينَ على وُلاةِ أمرِهم ليُفسِدوا في الأرض.

قالَ رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟**

قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»(١).

فهذا الـخطيبُ الذي يقولُ للنّاس: هذا حرامٌ ثم يفعلُه، ويقول لهم: هذا حلالٌ ولا يفعلُه، خطيبُ السَّوءِ الذي يأمرُ بالبرِّ ويَنسى نفسَه، يأمرُ النّاسَ بالحجابِ وينسى امرأتَه وابنتَه، يأمرُ النّاسَ أن يبتعِدوا عن البنوكِ ويَضَعُ مالَه في البنوكِ، يأمرُ النّاسَ بالمحافظةِ على الصّلاةِ وهو يُضَيِّعُ الصّلاةَ، يُحذِّرُ الناس من الكذب وهو يَكذِبُ، يُحذِّرُ النّاسَ من الغيبةِ والنميمةِ وهو واقعٌ فيهما هذا خطيبٌ لا عقلَ له، قالَ ربُّ العِزَّةِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

ونقول لهذا الـخطيب:

يا أيها الـرجـلُ الـمعلّمُ غيره	هـلاّ لنفسِكَ كـانَ ذا التعليمُ
تَصِفُ الدواءَ لذي السّقام من الضَّنا	كيما يَـصِـحَّ بـه وأنـتَ سقيمُ
ابـدأ بنفسِكَ فانهَها عن غيِّها	فـإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ
لا تنهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتيَ مثله	عـارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

والله سبحانه وتعالى يمقت ذلك، قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٩) وأبو يعلى (٣٩٩٢، ٣٩٩٦) [«السلسلة الصحيحة» (٢٩١)].




﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وقد أخبرَ النَّبيُّ ﷺ عن عذابِ الذي يَقولُ للنّاسِ ويُخالِفُ بفِعلِه ما يقولُ، فقالَ ﷺ: **«يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ! مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»**[1].

خُطباءُ السُّوءِ **«دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**.

فاحذروهم يا عباد الله!

فهذا حذيفةُ ﷺ قالَ: يا رسولَ الله! **فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟** قال: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»** قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قالَ ﷺ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**[2].

فيا أمةَ الإسلام! وَاللهِ إني لكم لناصحٌ أمينٌ، فإن وجدتُمُ المنابرَ قد صَعدَ إليها الخطباءُ الذين يَدعونَ إلى الحزبيَّةِ البَغيضةِ، ولا همَّ لهم إلَّا أن يُحرِّضوا الناسَ على ولاةِ الأمرِ، ويَجعلونَ بلادَ المسلمينَ بركةً من الدِّماء فاحذروهُم، وارجعوا إلى عقيدةِ التَّوحيدِ وإلى منهجِ رسولِ الله ﷺ وإلى ما كانَ عليه الصَّحابةُ، كما قالَ ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ



(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٠٨٣)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).



أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة]، وكما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

وقالَ ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٢).

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجعلَني وإيّاكُم من المتَّبعينَ لرسولِه ﷺ.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٩٢-٢٠٤)]

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، و أبوداود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، واللفظ للترمذي، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].



٢١

بيعة العقبة

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللقاء سيكونُ عن بيعةِ العقبةِ الأولى والثّانية.

تكلَّمنا في الجُمُعةِ قبلَ الماضيةِ أنه أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، ثم عُرجَ برسولِنا ﷺ إلى السَّمواتِ العُلى إلى سدرةِ المُنتهى، إلى حيثُ شاءَ الله، وهناك فَرَضَ اللهُ -تبارك وتعالى- على رسولِنا ﷺ وعلى أمَّتِه خمسَ صَلَواتٍ في اليومِ واللَّيلة[1]. وقد رأى ﷺ في رحلة المعراج من آيات ربه الكبرى.





قال ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِى مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: «**مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟**» قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِى أَعْرَاضِهِمْ[2] .

وَلَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: «**مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟**» قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ[3].

وقد تكلَّمنا في الجُمعةِ الماضيةِ عن الدُّروسِ والعِظاتِ والعِبرِ التي تُؤخَذُ من رحلةِ الإسراءِ والمعراجِ، ومنها:

أولاً: منزلةُ الأقصى في الإسلامِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٤٩)، ومسلم(١٤٧٤).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٣٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٢٧)] .

ثانياً: منزلةُ الصَّلاةِ في الإسلام.

ثالثاً: التَّـحذيرُ من إطلاقِ اللِّسانِ في أعراضِ الـمسلمينَ، ومن أكلِ لحومِ الأبرياء.

رابعاً: التَّـحذيرُ من خُطَباءِ السُّوء الذين يَقولونَ ما لا يَفعلونَ، ويَفعلونَ بخِلافِ ما يَقولونَ، الذينَ يأمرونَ النّاسَ بالبرِّ وينسَونَ أنفسَهم وهم يَتلونَ الكتابَ، أفلا يَعقِلونَ.

أيها المسلمون! ورَجَعَ رسولُ الله ﷺ من رحلةِ الإسراءِ والمعراج قَريرَ العَينِ، مُنشَرِحَ الصَّدرِ، مطمَئِنَّ القَلبِ، عازماً على مُواصلةِ الدَّعوةِ إلى اللهِ، واثقاً من أنَّ الله ناصرُه، ومُظهِرُ دينِه. قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف].

ولم يَدَعْ رسولُ الله ﷺ فُرصةً للاجتـماعِ بالنّاسِ وتَبليغِهمُ الدَّعوةَ -وخاصَّةً في موسِمِ الحَجِّ عندَما تُقبِلُ القَبائلُ إلى مكَّةَ- وكانَ مما خاطَبَ به رسولُ الله ﷺ النّاسَ في الـموقِف: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟**»[1].

«ولـما أرادَ اللهُ إظهارَ دينِه، وإعزازَ نبيِّه، وإنجازَ موعدِه له خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ في الـموسِمِ الذي لَقِيَه فيه النَّفَرُ من الأنصارِ، فعَرَضَ نفسَه على قبائلِ العرَبِ كما كانَ يصنَعُ في كلِّ موسم، فبينَما هو عندَ العَقَبةِ لَقِيَ رَهطاً من الـخَزرجِ أرادَ اللهُ بهم خَيراً، قالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْتُمْ**»؟ قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟**» قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ،




(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩٢٥)، وأبو داود (٤٧٣٤)، وابن ماجه (٢٠١)، والنسائي في الكبرى (٧٧٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٤٧)].

وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نبياً مبعوثٌ الآن قد أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا تَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا[1].

ولما رَجَعَ هؤلاءِ إلى المدينةِ ذكَروا لقَومِهم رسولَ اللهِ ﷺ ودعَوهُم إلى الإسلام، وفَشا فيهم ذكرُ رسولِ اللهِ ﷺ فلم تبقَ دارٌ إلَّا دَخَلَها الإسلامُ، حتّى إذا استدارَ العامُ، وأقبلَ مَوسمُ الحجِّ، خَرَجَ من المدينةِ اثنا عشرَ رجلاً من الذينَ أسلَموا -فيهم السِّتَّةُ الذينَ كلَّمَهُمُ النَّبيُّ ﷺ في الموسم السّابقِ- وعَزَموا على الاجتماعِ برسولِ اللهِ ﷺ فلَقِيَهم رسولُ اللهِ ﷺ بالعَقَبةِ -بمِنىً- وعَقَدَ معَهُم بيعةً (وهي بيعةُ العَقَبةِ الأولى).

عن عبادةَ بن الصّامت رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ. قَالَ: فَبَايَعْنَاهُ**

(١) حسن: رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٣-٤٣٤) من طريق ابن إسحاق، [«فقه السيرة» (ص١٤٥)].




عَلَى ذَلِكَ»[١].

ولـما عَزَمَ القَومُ على العَودةِ إلى الـمَدينة، بَعَثَ معَهم رسولُ الله ﷺ مُصعبَ ابنَ عميرٍ رضي الله عنه وأمرَه أن يُقرِئَهم القرآنَ ويُعلِّمَهُم الإسلَام، ويُفقِّهَهم في الدِّين.

فقامَ مُصعبُ رضي الله عنه بمَهَمَّته خيرَ قيام، يَدعو النّاسَ إلى عبادةِ الله بالحِكمةِ والمَوعظةِ الحسَنةِ، مُتذَرِّعاً بالحِلْم والصَّبرِ الذي تَعلَّمَه من رسولِ الله ﷺ ، فانتشَرَ الإسلامُ في الـمدينةِ وغيرِها على يَديهِ رضي الله عنه.

وقبلَ حُلولِ مَوسِمِ الحجِّ التالي عادَ مُصعَبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه إلى مكَّةَ، ليُبَشِّر رسولَ اللهِ ﷺ بانتشارِ الإسلامِ ويُخبِرَه بحَصيلةِ دعوتِه في ذلكَ العام.

وكأنه يقولُ له: يا رسول الله! إن الـمدينةَ تتهيَّأُ لاستقبالِكَ أنتَ ومن مَعَكَ من الـمسلمِينَ.



ولـما انتشرَ الإسلامُ في الـمدينة، واطمَأنَّ الـمُسلمونَ الـمُهاجرونَ بينَ إخوانِهمُ الأنصار، وبَقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ في مَكَّةَ يُلاقي عَنَتَ قُريشٍ وأذاها الذي كانَ يشتَدُّ على مرِّ الأيام، قَدِمَ وفدُ الأنصارِ في مَوسِمِ الحجِّ فبايَعوا بيعةَ العَقَبةِ الثّانيةِ. وممَّن حَضَرَ هذه البَيعةَ جابرُ بن عبدالله الأنصاريِّ، وهو يُخبِرُنا الـخبرَ: عن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: مَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ بمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ في مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَفي الْـمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ**» حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ -كَذَا قَالَ- فَيَأْتِيه قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنَكَ، وَيَمْشي بَيْنَ رِحالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بالأَصَابعِ، حَتَّى بَعَثَنَا الله إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْـمُسْلِمِينَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩) واللفظ للبخاري.



يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْـمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، حَتَّى تَوَافَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُبَايِعُكَ؟ قال: (فذكر الحديث). قال: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَبَيِّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ[1].

وتـمَّتِ البَيعةُ، وبايعَ الأنصارُ رسولَ الله ﷺ على الطّاعةِ والنُّصرةِ والحَربِ لذلكَ سمّاها عبادةُ بنُ الصّامتِ رضي الله عنه: بيعةَ الحَربِ، وممَّن حَضَرَ هذه البيعةَ كعبُ ابنُ مالكٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه وهو أحدُ الـمُبايِعينَ في بيعَةِ العَقَبةِ الثّانيةِ يُخبِرُنا عمّا حَدَثَ في هذه البَيعَةِ.

عن كعبِ بن مالك رضي الله عنه قالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنْ الْـمُشْرِكِينَ..، فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.. وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنْ الْـمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا.. فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ؛ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو ابْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ. قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٢٢-٣٢٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٣)].

نَنْتَظِرُ رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْد الْـمُطَّلب -وَهُوَ يَوْمَئِذ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ- إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَـمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِب أَوَّلَ مُتَكَلِّم فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَج -قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَار الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا-: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ الله، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَلَا وَدَعَا إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَام. قَالَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، قَالَ فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ الله فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

فقاطعه أبو الـهيثم بنُ التَّيِّهان مُتسائلاً: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**»

ثُمَّ قَالَ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْس..**» وقد طلبَ الرسول ﷺ منهم الانصرافَ إلى رحالهم فقال رجلٌ منهم: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ، ولكنْ ارجعوا إلى رحالِكُم**» فرجَعوا إلى رحالِهم، وفي الصَّباح جاءَهم جمعٌ من كبارِ قُريشٍ يسألونَهم عمّا بلغَهم من بيعتِهم للنَّبيِّ ﷺ ودعوتِهم له للهجرة فحلف الـمشركون من الـخزرجِ والأوسِ بأنهم لم يَفعلوا، والمسلمونَ ينظُرونَ إلى بعضِهم[1].



(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٦٠-٤٦٣)، [«فقه السيرة» (١٤٦)].



وهكذا مَرَّت البَيعةُ بسَلامٍ، وعادَ الأنصارُ إلى الـمدينةِ يَنتظرونَ هِجرةَ النَّبيِّ ﷺ إليهم بتلَهُّفٍ كبيرٍ.

الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من بيعة العقبة الأولى والثانية:

أولاً: النَّصرُ معَ الصَّبرِ، كما أخبرَ النبيُّ ﷺ فقالَ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»(١) فإنَّ صبرْنا نصرَنا الله، فرسولُنا ﷺ والمُسلمونَ معه في مكَّةَ صبَروا على إيذاءِ قُريشٍ، وصبَروا على ما لاقُوا من أعداءِ الدِّينِ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ فجَعَلَ اللهُ لهم مَخرَجاً، ونَصرَهُم اللهُ بالأنصارِ، فبَعدَ أن أغلقَ أهلُ مكَّةَ قلوبَهم عن الدِّينِ فَتَحَ اللهُ قلوبَ أهلِ الـمدينةِ لهذا الدِّينِ، وبعدَ أن أبى أهلُ مكَّةَ أن يدَعوا رسولَ اللهِ ﷺ ليَدعُوَ لهذا الدِّينِ فَتَحَ اللهُ تبارك وتعالى الـمدينةَ على مِصراعَيها لرسولِ اللهِ ﷺ الذي يَحملُ هذا الدِّينَ.

فمَهما ضَيَّقَ الكُفّارُ على الـمسلِمينَ، فواللهِ الذي لا إلهَ إلّا هو فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى سيَجعَلُ للمؤمنينَ مَخرجاً، إن هم عادوا إلى اللهِ وصَدَقوا معَ اللهِ، وعادوا إلى دينِهم، وطلَبوا العِزَّة بالإسلامِ، فإن طلَبنا العِزَّةَ بالإسلامِ أعزَّنَا اللهُ، وإن طلَبنا العِزَّةَ بغيرِ الإسلامِ أذلَّنا اللهُ.

كما قالَ الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه: كُنّا أذلاء فأعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فلو ابتغَينا العِزَّةَ بغيرِ الإسلامِ أذلَّنا اللهُ(٢).

فاصبِروا على البلاءِ، وعُودوا إلى اللهِ، واعلَموا أن اللهَ تباركَ وتَعالى يَنصُرُ مَعَ الصَّبرِ، وإيّاكم ودعاةَ الاستعجالِ الذين يُغرقون الأمةَ في برَكٍ من الدِّماء، فإنَّ اللهَ نَهى عن الاستِعجالِ فقال لرسولِ اللهِ ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا

(١) **صحيح**: رواه الطبراني(١١٢٤٣)، والحاكم(٦٣٦٥)، [«ظلال الجنة» (٣١٥)].

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٢٠٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٥١)].




تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾[الأحقاف:٣٥]، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ لخبابٍ: «**ولكنكم تستعجلون**»(١).

ثانياً: أن الـمستقبل لهذا الدين: فقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، وأخبرَ النَّبيُّ ﷺ في سنَّتِه، أن الـمُستقبلَ لهذا الدِّينِ، وأنه ما مِن مكانٍ في هذه الدُّنيا تطلُعُ عليه الشَّمسُ إلَّا وسَيَدخُلُه الإسلامُ، وما من بيتِ شَجَرٍ ولا مَدَرٍ إلَّا وسيَدخُلُه الإسلامُ ولو كَرِهَ الكافرونَ، والـمنافقون فالمستقبلُ للإسلامِ.

ثالثاً: أن السِّرَّ في النَّجاحِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ هو الإخلاصُ.

الإخلاصُ هو سرُّ النَّجاحِ، فإن أرادَتِ الأمّةُ أن تَنجَحَ في دعوتِها لهذا الدِّين فعلَيها بالإخلاصِ للهِ تباركَ وتعالى، فها هو مُصعبُ بنُ عُمَيرٍ رضي الله عنه كانَ مُخلِصاً ضَرَبَ لنا مَثَلاً أعلى في ذلكَ، فاستـجابَ لأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وذَهَبَ إلى الـمدينةِ يَدعو لهذا الدِّينِ بالليلِ والنَّهارِ، فما مِن بيتٍ في الـمدينةِ إلَّا ودَخَلَه الإسلامُ بفَضلِ اللهِ -تباركَ وتعالى- ثم بالجهودِ العاليةِ العظيمة التي بذَلَـها مُصعبُ، فكانَ يجلِسُ في الـمكانِ يدعو لهذا الدِّينِ؛ يأتيه الرَّجلُ من الـمدينةِ يَحمِلُ حربتَه يريدُ أن يقتلَه، فما أن يَجلِسَ ويَسمعَ الكلامَ منه ودعوتَه بالحِلمِ واللِّينِ إلَّا وهو يَقومُ وقد شَهِدَ «أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ»، إنها الحكمةُ والحِلمُ في الدَّعوةِ والصَّبرُ على النَّاسِ، وكيفَ لا! وقد تعلَّم مُصعَبُ من رسولِ اللهِ ﷺ.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِهم ردّاً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

٢٢

هجرةُ الصَّحابةِ رضيَ اللّهُ عنهم إلى المدينةِ

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ عن هجرةِ الصحابةِ رضي الله عنهم إلى المدينةِ.

في الجمعةِ الماضيةِ تكلّمنا عن بيعةِ العقبةِ الأولى والثانيةِ، ففي بيعةِ العقبةِ الثانيةِ بايعَ الأنصارُ رسولَ اللهِ ﷺ على السمعِ والطاعةِ والنُّصرةِ والحربِ، فعندَما قالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**» قالوا له: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ(١).

وعندَما قالوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، -يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ فقالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**».



ولما تمّت بيعةُ العقبةِ الثانيةِ، وعادَ القومُ إلى المدينةِ ينتظرونَ هجرةَ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ إليهم بتلهّفٍ كبيرٍ؛ أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ المسلمينَ بالهجرةِ إلى المدينةِ واللُّحوقِ بالأنصارِ، فخرجوا أرسالاً -أي جماعاتٍ-.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٦٠-٤٦٣)، والطبراني في الكبير (٩١/ ٧٨، ١٧٤)، [«فقه السيرة»  (١٤٦)].

وكانت الـهجرةُ إلى الـمدينة بوحي منَ الله تعالى، قالَ رسولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْـمَنَام أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي -أي ظني- إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ فَإِذَا هِيَ الْـمَدِينَةُ يَثْرِبُ**»[١].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: قالَ النَّبيُّ ﷺ للمسلمينَ: «**أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**».

فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْـمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ، وَرَجَعَ إِلَى الْـمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ:هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ! قَالَ: نَعَمْ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ[٢]. وذلكَ استعداداً لهجرةِ النَّبيِّ من مكَّةَ إلى الـمدينةِ.




وعندَما أذنَ النَّبيُّ ﷺ للمسلمينَ بالهجرةِ إلى الـمدينةِ، طاروا إليها زَرافاتٍ ووِحدانا، يحدوهُم الشّوقُ إلى أرضِ أمنٍ وأمانٍ، يعبُدون فيها ربَّهم، ويجهَرونَ بصلاتِهم، ويأمنونَ فيها على أنفسِهم وأموالِهم، فلـمّا رأت قريشٌ الدّيارَ في مكّةَ خلَت، والمسلمينَ هاجَروا إلى الـمدينةِ، سعت بشتّى الطّرقِ إلى عرقلةِ الـهجرةِ إلى الـمدينةِ، وإثارةِ الـمشاكلِ أمامَ الـمهاجرينَ، مرّةً بحجزِ زوجاتِهم وأطفالِهم، ولكنَّهُ يُهاجرُ، فالدِّينُ عندَه أغلى من كلِّ شيءٍ، ومرةً بحجزِ أموالِهم ومنعِهم من حملِها، ومرةً بالاحتيالِ لإعادتِهم إلى مكّةَ، لكنَّ شيئاً من ذلكَ كلِّه لم يُعِق موكبَ الـهجرةِ، فالمهاجرونَ كانوا على أتـمِّ الاستعدادِ للانخلاعِ من أموالِهم وأهليهِم ودنياهُم كلِّـها تلبيةً لداعي العقيدةِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٣٥)، ومسلم (٢٢٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٩٧).

وهذهِ أمثلةٌ أضعُها بينَ أيدِيكُم لتعلَموا الصّعوباتِ الّتي كانت أمامَ الـمسلمينَ عندَما هاجَروا من مكّةَ، ومعَ ذلكَ هاجَروا فِراراً بدينِهم وطاعةً لربِّهِم، فالدِّينُ عندَهم أغلى من كلِّ شيءٍ.

فهذا أبو سلَمةَ رضي الله عنه أخذوا منهُ زوجتَهُ وابنَهُ ليمنعوهُ من الـهجرةِ فلم يمنعهُ ذلكَ من الـهجرةِ إلى الـمدينةِ فِراراً بدينِهِ الّذي هوَ أغلى من كلِّ شيءٍ، فتعالَوا بنا عبادَ اللهِ! لنستـمعَ إلى أمِّ سلمةَ رضي الله عنها وهيَ تـخبرُنا الـخبرَ، تقولُ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: لَـمّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إلَى الْـمَدِينَةِ رَحَّلَ لِي بَعِيرَهُ، ثُمّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْـمُغِيرَةِ -وهم أصهاره- قَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا: هَذِهِ نَفْسُك غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْت صَاحِبَتَك هَذِهِ، عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا: لَا وَاَللّهِ لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا. قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا ابني سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْـمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إلَى الْـمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي، قَالَتْ: فَكُنْت أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي حَتّى أُمْسِي، سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، حَتّى مَرّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمّي، أَحَدُ بَنِي الْـمُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي، فَقَالَ لِبَنِي الْـمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْـمِسْكِينَةَ؟ فَرّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِك إنْ شِئْت. قَالَتْ: وَرَدّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْت بَعِيرِي ثُمّ أَخَذْت ابْنِي فَوَضَعْته فِي حِجْرِي، ثُمّ خَرَجْت أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّهِ. قَالَتْ: فَقُلْت: أَتَبَلّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتّى أَقْدَمَ عَلَى زَوْجِي، حَتّى إذَا كُنْت بِالتّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدّارِ فَقَالَ




لي: إلَى أَيْنَ يَا بنْتَ أَبِي أُمَيّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْت: أُرِيدُ زَوْجِي بالْـمَدِينَةِ. قَالَ أَوَمَا مَعَك أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْت: لا وَاَللّهِ إلّا اللهُ وَبُنَيّ هَذَا. قَالَ: وَاَللّهِ مَا لَك مِنْ مَتْرَك، فَأَخَذَ بِخِطَام الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَاَللّهِ مَا صَحِبْت رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطّ، أَرَى أَنّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إذَا بَلَغَ الْـمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمّ اسْتَأْخَرَ عَنّي، حَتّى إذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطّ عَنْهُ ثُمّ قَيّدَهُ فِي الشّجَرَةِ، ثُمّ تَنَحّى فإذا دنا الرواحُ قام إلى بعيري فقدمه، فرَحَّلَه ثمَّ استأخر عني فقال: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بخطامِه فَقَادَهُ حَتّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتّى أَقْدَمَنِي الْـمَدِينَةَ، فَلَمّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُباء قَالَ: زَوْجُك فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ -وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا- فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ثُمّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ، فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْت فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْت صَاحِبًا قَطّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ[1].




الشاهدُ يا عبادَ الله! أن ننظرَ إلى الصّعوباتِ الّتي واجهها المسلمون وتغلبوا عليها وهاجَروا من مكّةَ إلى الـمدينةِ فِراراً بدينهم.

وهذا صهيبٌ الرُّوميُّ ﷺ لـمّا أرادَ الـهجرةَ قالَ لهُ كفارُ قُريش: أَتَيْتنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فَكَثُرَ مَالُك عِنْدَنَا، وَبَلَغْت الّذِي بَلَغْت، ثُمّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِك وَنَفْسِك، وَاَللّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلْت لَكُمْ مَالِي أَتُخْلُونَ سَبِيلِي؟.

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنّي جَعَلْت لَكُمْ مَالِي

قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«رَبِحَ صُهَيْبٌ! رَبِحَ صُهَيْبٌ»**[2].

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٦٩-٤٧٠)، وانظر «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ٢٠٢-٢٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد (٣/ ٢٢٨)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٠٩)، وابن حبان (٧٠٨٢)، [«فقه السيرة» (ص١٥٧)].

فانظروا عباد الله!، ضحّى صهيبٌ بماله كلّه ليفرَّ بدينه الّذي هوَ أغلى من كلِّ شيءٍ. قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة].

وهذا مثالٌ ثالثٌ يبيِّنُ الأساليبَ الّتي اتَّـخذَتها قريشٌ لمنعِ الـمسلمينَ منَ الـهجرةِ إلى الـمدينةِ.

قالَ عمرُ بنُ الـخطّابِ رضي الله عنه: اتّعَدْتُ (أي تواعدت) لَمّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إلَى الْـمَدِينَةِ أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السّهْمِيّ التّنَاضُبَ مِنْ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فَوْقَ سَرِفٍ، وَقُلْنَا: أَيّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ. قَالَ: فَأَصْبَحْت أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التّنَاضُبِ، وَحُبِسَ عَنّا هِشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ، فَلَمّا قَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقباءَ وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إلَى عَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنَ عَمّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمّهِمَا، حَتّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْـمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَكّةَ فَكَلّمَاهُ وَقَالَا: إنّ أُمّك قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتّى تَرَاك، وَلَا تَسْتَظِلّ مِنْ شَمْسٍ حَتّى تَرَاك، فَرَقّ لَهَا، فَقُلْت لَهُ: يَا عَيّاشُ! إنّهُ وَاَللّهِ إنْ يُرِيدُك الْقَوْمُ إلّا لِيَفْتِنُوك عَنْ دِينِك فَاحْذَرْهُمْ، فَوَاَللّهِ لَوْ قَدْ آذَى أُمّك الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدّ عَلَيْهَا حَرّ مَكّةَ لَاسْتَظَلّتْ.

قَالَ: فَقَالَ: أَبَرُّ قَسَمَ أُمّي، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ.

قَالَ فَقُلْت: وَاَللّهِ إنّك لَتَعْلَمُ أَنّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَك نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا.

قَالَ: فَأَبَى عَلَيّ إلّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا ؛ فَلَمّا أَبَى إلّا ذَلِكَ قَالَ: قُلْت لَهُ: أَمَا إذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْت، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَك مِنْ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا. فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطّرِيقِ قَالَ




لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا ابْنَ أَخِي ! وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبَنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ بَلَى. قَالَ فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ، وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ.

قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ مَا اللهُ بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللَّهَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ. فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر].




قَالَ عمرُ بنُ الخطّاب: فَكَتَبْتهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْت بِهَا إِلَى هِشَامِ ابْنِ الْعَاصِ قَالَ: فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ، فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْت أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى (وادٍ بمكة) أُصَعِّدُ فيها النظرَ وأُصَوِّبُه لأَفْهَمُهَا، حَتَّى قُلْت: اللَّهُمّ فَهِّمْنِيهَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا. قَالَ: فَرَجَعْت إِلَى بَعِيرِي، فَجَلَسْت عَلَيْهِ فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

حِيَلٌ، وعراقيلُ، وصعوباتٌ، وضعَتها قريشٌ أمامَ المهاجرينَ المسلمينَ من مكَّةَ إلى المدينةِ، ومعَ ذلكَ هاجَروا فِراراً بدينِهم، فالدّينُ عندَهم أغلى شيءٍ.

وهذه ثلاثةُ نماذجَ لِما كانَ المشركونَ في مكَّةَ يفعلونَهُ بمن يريدُ الهجرةَ منَ المسلمينَ، ومعَ ذلكَ خرجَ المسلمونَ من مكَّةَ أرسالاً يتبعُ بعضُهم بعضاً، ولم يبقَ بمكَّةَ أحدٌ من المسلمينَ إلَّا رسولُ اللهِ ﷺ وأبوبكرٍ وعليٌّ، أقاما معَ رسولِ

(١) **حسن**: رواه البيهقي في سننه (٩/ ١٣)، وفي الدلائل (٢/ ٤٦١-٤٦٢) مختصراً، [«السيرة النبوية الصحيحة» (ص٢٠٤-٢٠٦)].

اللهِ ﷺ بأمرِهِ وحُبِسَ قومٌ كُرهاً؛ حبسَهُم قومُهم، فكُتِبَ لهم أجرُ الـمهاجرينَ بما كانوا عليهِ من حرصِهم على الـهجرةِ.

والمسلمونَ منَ الـمهاجرينَ والأنصارِ في الـمدينةِ ينتظرونَ هجرةَ رسولِ اللهِ ﷺ إليهِم بتلهّفٍ كبيرٍ.

والرسولُ ﷺ في مكَّةَ ينتظرُ متى يؤذَنُ لهُ بالهجرةِ فيُهاجرَ إلى الـمدينةِ.

وأمّا الدروسُ والعظاتُ والعبرُ الّتي تؤخذُ من هجرةِ الصّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم من مكَّةَ إلى الـمدينةِ فهيَ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: على الـمسلمِ إذا ضُيِّقَ عليهِ في بلدٍ ما ولم يتـمكّن من عبادةِ ربِّهِ، أن يهاجرَ إلى بلدٍ آخرَ ليتـمكَّنَ من عبادةِ ربِّهِ، فالدِّينُ أغلى من كلِّ شيءٍ، فقدْ هاجرَ الصّحابةُ رضي الله عنهم من مكّةَ إلى الـمدينةِ فِراراً بدينِهم، وتركوا كلَّ شيءٍ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾ [النساء]، وقالَ تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾[النحل]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء].

ثانياً: الصحابةُ رضي الله عنهم جيلٌ فريدٌ اختارَهُم اللهُ لصُحبةِ نبيِّهِ ولنصرةِ دينِه؛ الأنصارُ في الـمدينةِ قدّموا الأرواحَ والأموالَ رخيصةً في سبيلِ هذا الدِّينِ العظيمِ؛

والمهاجرونَ تركوا الأموالَ والدّيارَ والأهلَ من أجلِ هذا الدّينِ العظيم، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالى في وصفِهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وقال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِى؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[1].

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسه فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِه، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ[2].

وقالَ الإمامُ الطّحاويُّ في «عقيدَته»: «ونحبُّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ولا نُفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهُم، ولا نتبرَّأُ من أحدٍ منهم، ونُبغِضُ من يُبغِضُهم. وبغيرِ الـخيرِ يذكرُهُم، ولا نذكرُهم إلَّا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ»[3].

ثالثاً: النجاةُ والسلامةُ في اتّباعِ الصّحابةِ رضي الله عنهم وسلوكِ منهجِهم

قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، و مسلم (٢٥٤١) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).



﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]. وقالَ ﷺ: «أُوصِيكُمْ بتقْوَى الله وَالسَّمْع وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[1].

وقالَ ﷺ: «وَسَتَفْتَرِقُ أمتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسبعين فرقةً كلُّهم فِي النَّار إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: من هِيَ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «مَا أَنا عَلَيْهِ وأصحابي»[2].

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: من كانَ منكُم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحابِ محمّدٍ ﷺ، فإنّهم كانوا أبرَّ هذهِ الأمّةِ قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها حالاً، قومٌ اختارَهم اللهُ لصحبةِ نبيِّهِ ﷺ وإقامةِ دينِه، فاعرفوا لَهم فضلَهم، واتّبعوهُم في آثارِهم فإنّهم كانوا على الـهدى الـمستقيم[3].

اللهمَّ ردَّ الـمسلمينَ إلى دينِكَ رداً جميلاً.



(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، واللفظ لأبي داود، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٤، ١٤٩٢)].

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٢٦).



٢٣

هجرةُ النّبيِّ ﷺ من مكةَ إلى المدينة

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ الحَبيبِ محمَّدٍ ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن هجرةِ الرَّسولِ ﷺ من مكَّةَ إلى الـمدينةِ.

والهِجرةُ من مكَّةَ إلى الـمدينةِ كانَت بوحيٍ من اللهِ إلى رسولِه ﷺ.

قالَ ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْـمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي -أي ظنّي- إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ؛ فَإِذَا هِيَ الْـمَدِينَةُ يَثْرِبُ**»(١).

وبعدَما تـحدَّدَ الـمكانُ الذي يُهاجَرُ إليه؛ أَذِنَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه بالهِجرةِ إلى الـمدينةِ فخَرَجوا أفراداً وجماعاتٍ، وتغلَّبوا على جميعِ الصُّعوباتِ التي واجهَتهم.

وأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكَّةَ بعدَ أصحابِه ينتظرُ أن يُؤذَنَ له في الـهجرةِ، ولم يَتـخلَّف معَه بمكَّةَ أحدٌ من الـمهاجِرينَ إلَّا من حُبِسَ أو فُتِنَ؛ إلَّا أبو بكرٍ وعليُّ ابن أبي طالبٍ رضي الله عنهما.

وكانَ أبو بكر كثيراً ما يَستأذِنُ رسولَ اللهِ ﷺ في الـهجرةِ، فيقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ! قَالَ: «**نَعَمْ**» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ(٢) استعداداً للهجرة من مكة إلى الـمدينة.

ورأَت قريشٌ أن الدِّيارَ قد خَلَت من أهلِـها، وأن الـمسلمِينَ قد تَركوا مكَّةَ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٩٧).

مهاجرينَ إلى الـمدينةَ، تاركِينَ ديارَهم وأموالَـهم، وشَعَرت قُريشٌ أيضاً بأنَّ الإسلامَ أضحَت له دارٌ يَأرِزُ إليها، وحِصنٌ يَحتـمي به، وتوجَّسَت خيفةً من عواقب هذه الـمَرحلةِ الـخطيرةِ في دعوةِ محمَّدٍ ﷺ، وعَلِمَت قريشٌ أيضاً أن محمَّداً لا بدَّ أن يُدرِكَ أصحابَه اليومَ أو غداً، فاجتـمَعوا في دارِ النَّدوةِ ليتَّـخِذوا قراراً حاسماً في هذا الأمرِ.

فرأى بعضُهم أن تُوضَعَ القُيودُ في يدِ محمَّدٍ ﷺ ويُشَدَّ وثاقُه ويُرمى به في السِّجنِ لا يَصِلُه منهم إلَّا الطَّعام، ويُترَكَ على ذلكَ حتى يموتُ، ورأى آخرُ أن يُنفى من مكَّةَ فلا يَدخُلُـها وتَنفُضُ قريشٌ يدَيها من أمرِه، وقد استُبعِدَ هذانِ الاقتراحانِ لعَدَمِ جدواهُما، واستقرَّ الرأيُ على الاقتراحِ الذي أبداه أبو جهلٍ.

قالَ أبو جهلٍ: أرى أن تأخُذوا من كلِّ بطنٍ من قريشٍ شابّاً نَسيباً وَسَطاً فتيّاً، ثم نُعطي كلَّ فتىً سيفاً صارماً، ثم يَضربونَه جميعاً ضَربةَ رجلٍ واحدٍ، فإذا قَتلوه تفرَّقَ دمُه في القبائلِ كلِّها، ولا أظنُّ أن بني هاشمٍ يَقوَونَ على حربِ قريشٍ كافَّةً، فإذا لم يَبقَ أمامَهم إلَّا الدِّيةُ أدَّيناها.



ورَضيَ كُفّارُ مكَّةَ بهذا الحلِّ للمُشكلةِ التي حَيَّرَتهم، وانصَرفوا ليَقوموا على تنفيذِ هذا القرارِ الجائرِ الغادرِ.

وقد أخبرَنا اللهُ في كتابه عن هذا الاجتـماعِ، قالَ تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال][1].

ولـما أجمعَ كفّارُ مكَّةَ على قتلِه ﷺ، أوحى اللهُ تباركَ وتعالى إليه بالإذنِ في الـهجرةِ، فخَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من بيتِه إلى بيتِ أبي بكرٍ رضي الله عنه ليُخبرَه بذلكَ.

تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى عائشةَ رضي الله عنها وهي تُـخبرُنا الـخبر، قالَت عائشةُ رضي الله عنها:

(١) «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٢/ ٢٢١-٢٢٣).



«بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ ﷺ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ.**»

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ -أي الصحبة- بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ»[1].

وتَواعَدا أن يَخرُجا ليلاً إلى غارِ ثور، فيَمكُثا ثلاثَ ليالٍ وذلكَ من تـمامِ إحْكامِ الـخِطّة، ورجاءَ النَّجاةِ والسّلامة، ذلكَ أنَّ قريشاً تعلمُ أنَّ النّبيَّ ﷺ مُهاجرٌ إلى الـمدينة، فإذا فَقدَته ستَطلُبه جهةَ الـمدينةِ -في الشَّمال- فخرجَ ﷺ أولَ ما خَرَجَ جهةَ الجنوبِ، جهةَ اليمنِ مُخالفاً تـماماً الطَّريقَ الذي قَصدَه، حتى إذا خَرجَت قُريشٌ من جهةِ الـمدينةِ فلم تُدرِكه عَلِمَت أنه قد نجا، فتَرجعُ فيَخرجُ بعدُ آمناً سالـماً مطمئناً.

واستأجَرا أجيراً يَهديهما الطّريقَ، وكانَ كافراً إلَّا أنهما أمَّناه على هذا السِّرِّ، وأسلَـما له الرّاحلتَين، وواعَداه أن يأتيَهما بعد ثلاث في غار ثور.

وفي اللَّيلِ خَرَجَ ﷺ وأبو بكرٍ، وأمرَ النَّبيُّ ﷺ عَلِيّاً أن ينامَ في فراشِه تلكَ اللَّيلةَ، وأتيَا غارَ ثورٍ فدخَلاه، وكانَ عبدُاللهِ بنُ أبي بكرٍ رضي الله عنهما يَبيتُ عندَهما إلى

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥).

الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيلِ، فإذا دَخلَ السَّحرُ تدلّى إلى مكَّةَ فأصبحَ بينَهم كأنه بائِتٌ فيهم، فيَستمعُ إليهم بالنَّهارِ، وما يكيدونَه للنَّبيِّ ﷺ، فإذا جاءَ اللَّيلُ ذَهَبَ إليهما، فأخبرَهما بما سَمِعَ من مكائدِ قُريشٍ، وكان عَامرُ بن فُهَيْرَةَ مولى أبي بكرٍ يَرعى الغَنمَ قريباً من الغارِ، فإذا كانَت العشاءُ راحَ عليهما بالغَنمِ في الظَّلامِ، فيَحلبانِ ويَطعَمانِ ثم يَنعَقُ عامرُ على الغَنمِ فتَنزلُ إليه، صَنَعَ ذلكَ حتى انتهَتِ الثّلاث.

وجاءَ الشَّبابُ الذين أَجمعوا أمرَهم على قتلِ النَّبيِّ ﷺ، وباتُوا ليلتَهم أمامَ الدّارِ، فلم يَرُعهم إلّا خُروجُ عليٍّ بدَلاً من محمَّدٍ ﷺ، فجُنَّ جنونُهم وطارُوا هنا وهناكَ في الطُّرُقاتِ، يَبحثونَ عن النَّبيِّ ﷺ وصاحبِه حتى انتَهى بهم أثرُ الأقدامِ إلى غارِ ثورٍ الذي دَخلَه النَّبيُّ ﷺ ، فأعمى اللهُ أبصارَهم، وصَرفَ قلوبَهم عن دخولِ الغارِ، وهم أمامَ بابِه وأبو بكرٍ يقول: **يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا**، فيقول ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١) قالَ تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾**﴾ [التوبة].



وَصَلَ المطارِدونَ إلى بابِ الغارِ، ولكنَّ اللهَ غالبٌ على أمرِه، فصَرفَ قلوبَهم عن دخولِ الغارِ، فرَجَعوا يجرّونَ أذيالَ الخَيبةِ، وبعدَ ثلاثٍ جاءَ الأجيرُ الكافرُ في موعدِه، وكان هادياً خِرِّيتاً -أي ماهِراً بالطَّريقِ- بالرّاحلتَينِ فارتحلَ النَّبيُّ ﷺ إحداهما وأبو بكرٍ الأخرى، وخَرَجَ معَهم عامرُ بن فُهَيرةَ، وانطلق بهم الدَّليلُ نحو الجنوبِ، ثم انحازَ بهم نَحو السّاحلِ، ثم أخَذَ طريقَ السَّاحلِ إلى المدينةِ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).



ولكنَّ قريشاً لم تَسكُت ولم تَهدأ، ساءَها خروجُ النبيِّ ﷺ من بينِهم، وفَشَلِهم في إدراكِه.

فذاعوا في النّاسِ: من جاء بمحمَّدٍ وصاحبِه أحياءً أو أمواتاً فله ديَتُهما، والدِّيةُ مئةٌ من الإبلِ، والإبلُ أنفسُ أموالِ العَربِ وأحبُّها إلى قلوبهم، فسالَ لُعابُ النّاسِ، من الذي يَأتي بمحمَّدٍ وصاحبِه فيأخذ مئتَين من الإبلِ. تعالَوا بنا لنَستمعَ إلى سراقةَ بنِ مالكٍ وهو يخبرنا الـخبر؛ قال سراقة: «فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْـمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ محمدٍ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ. فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَـمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ




وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ»(١).

النَّبِيُّ ﷺ في طريقه إلى المدينةِ، وقد وَصَلَت الأخبارُ إلى المدينةِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَرجَ من مكَّةَ إلى المدينةِ، فكانوا يَغدونَ كلَّ غداةٍ إلى ظاهرِ المدينةِ يَنتظرونَه، حتى إذا اشتَدَّ الحرُّ عليهم عادُوا إلى بُيوتِهم.

حتى إذا كانَ اليومُ الذي قَدِمَ فيه انتظروه حتى لم يَبقَ ظِلٌّ يَستظلُّونَ به فعادوا، وقَدِمَ الرَّسولُ ﷺ وقد دخَلوا بيوتَهم، فبَصرَ به يهوديٌّ فناداهم بأعلى صوتِه: يا مَعشرَ العرب! هذا جَدُّكم الذي تَنتظرونَ، فخَرَجوا فاستقبلوه، وكانَ فرحتُهم به غامرةً فقد حَملوا أسلحتَهم وتقَدَّموا نحوَ ظاهرِ الحرَّةِ فاستقبلوه.

ونَزَلَ رسول الله ﷺ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ سُيُوفَهُمْ(٢)، وعدد الذين استقبلوه من الأنصار خمس مئة. فأحاطوا بالرسول وبأبي بكر وهما راكبان، ومضى الموكب داخل المدينة.

فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ(٣)، وقد صَعدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ! يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ(٤)!

قال الصَّحابيُّ البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه وهو شاهِدُ عيَانٍ: «مَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ»(٥).

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٩١١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٩).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٩٢٥).



وأما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من هجرة النبي ﷺ فهي كثيرة جداً منها.

أولاً: الدِّينُ أغلى عندَ الـمسلم من كلِّ شيءٍ، فالرَّسولُ ﷺ وأصحابُه تَركوا ديارَهم وأموالَـهم فداءً ونُصرةً لهذا الدِّينِ العظيم، وهذا يَظهَرُ من قولِهِ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

ومن قولِه ﷺ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[1].

وكُفّارُ مكَّةَ أَخرجوا رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه لأنَّهم قالوا: ربنا الله، ولأنهم دخلوا في دين الله، وهذا يظهر من قول ورقة بن نوفل لرسولنا ﷺ: يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ: نَعَمْ! لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ[2].

ولذلك على الـمسلم إذا ضُيِّقَ عليه في دينِه، ولم يتـمكَّن من عبادةِ ربِّه، أن يهاجرَ إلى أيِّ بلدٍ مسلمٍ آخرَ ليتـمكَّنَ من عبادةِ ربِّه، فليسَ هناكَ على وجهِ الأرضِ شخصٌ أفضلَ من رسولِ اللهِ ﷺ، وليسَ هناكَ بلدٌ أفضلَ من مكَّةَ، ومعَ ذلكَ فقد هاجرَ النَّبيُّ ﷺ من مكَّةَ إلى الـمدينةِ.

ثانياً: الله عزَّ وجلَّ ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، مهما كاد الكفار للمسلمين وخططوا. قالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢، ٤٢٥٣، ٤٢٥٤)، [«صحيح الجامع» (٧٠٨٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وقالَ تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

وهذا يَظْهرُ من نَصرِ الله لرسولهِ ﷺ في هجرتِه من مكَّةَ إلى المدينةِ. فالصَّحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم هناكَ في المدينةِ لا يَملِكونَ لرسولِ اللهِ ﷺ شيئاً، وكفَّارُ مكَّةَ يُطاردونَ رسولَ اللهِ ﷺ في كلِّ مكانٍ ليَقتلوه، ومعَ ذلكَ نَصَرَ اللهُ رسولَه ﷺ وأيَّدَه بجنودِه التي لا يَعلمُها إلَّا اللهُ.

قالَ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابَه.



٢٤

الباحثون عن الحق
عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ عن الباحِثينِ عن الحقِّ، وهما: عبدُالله ابنُ سلام، وسلمانُ الفارسيّ رضي الله عنهما.

في الجُمعةِ الماضيةِ تكلَّمنا عن هِجرةِ النَّبيِّ ﷺ من مكَّةَ إلى المدينةِ، وتبيَّنَ لنا أن المُسلمِينَ في المدينةِ فَرِحوا بهجرةِ النبيِّ ﷺ فرَحاً شَديداً.

يقولُ البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ،فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ الله[١].



ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: لَـمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وما نَفَضْنَا عن رَسُولِ الله ﷺ أيدينا من دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا[٢].

الشاهدُ يا عبادَ الله! أن المدينةَ ومن فيها فَرِحوا بِهجرةِ النّبيِّ ﷺ فَرحاً شَديداً.

ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ راكباً على ناقتِه، والأنصارُ يتطلَّعُونَ إلى استضافتِه، فكلَّما مرَّ على أحدِهم دعاهُ للنُّزولِ عندَه فكانَ ﷺ يقولُ لهم: دَعوا النّاقةَ فإنها مأمورةٌ، فبَرَكَت على بابِ أبي أيوبٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، في مكانِ المسجدِ النَّبويِّ الذي هو فيه الآن[٣].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد (٣/ ٢٦٨)، [«فقه السيرة» (٢٠١)].

(٣) «السيرة النبوية الصحيحة» العمري (٢١٩).



فتساءَلَ ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أقربُ؟**» -يَقصِدُ بذلكَ بيوتَ بني النَّجارِ أخوالِهِ-.

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ! هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي[1]. فنزل ﷺ في داره.

وكانتِ الدّارُ طابقَين، فاختارَ النَّبيُّ ﷺ أن يَسكُنَ في الطّابق الأرضيِّ، فقالَ أبو أيوب رضي الله عنه: يَا نَبيّ الله! بأَبِي أَنْتَ وَأُمّي والله! إنِّي لأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَك، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلْوِ وَنَنْزِلَ نَحْنُ فَنكُونَ فِي السّفْلِ.

فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا أَيّوبَ! إنّه أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ**».

قالَ أبو أيوبٍ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وَكُنّا فَوْقَهُ فِي الْـمَسْكَنِ، فانكسرت جرة لنا فيها ماء، فقمت أنا وأم أيوب بِقَطِيفَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرَهَا، نُنَشّفُ بِهَا الْـمَاءَ تَخَوّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ[2].

وأَخذَتِ الوفودُ تَتوافدُ على رسولِ الله ﷺ في دارِ أبي أيوبٍ، وسَمِعَ عبدُاللهِ ابن سلام -وكانَ رجلاً يهودياً- بنزولِ النَّبيِّ ﷺ في دارِ أبي أيوبٍ، وقد تَنادى الناسُ فيما بينَهم: **قَدِمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ الله، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ الله ثَلَاثًا**، فجاءَ عبدُالله بن سلام معَ الناسِ ليَرى رسولَ الله ﷺ.

قالَ عبدُالله بنُ سلام: فلما رأيتُ وجهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[3].




فالإسلامُ هو دينُ السَّلامِ، جاءَ بالسَّلامِ والرَّحمةِ إلى النّاس.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩١١).

(٢) «سيرة ابن هشام» بإسناد صحيح، انظر «السيرة النبوية الصحيحة» العمري (ص٢٢٠).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٦٩)].

وذهبَ عبدُالله بنُ سلام إلى أهلِه ثم عادَ ليَبحثَ عن الحقِّ.

قالَ عبدُالله بنُ سلام: إنِّي سَائِلُك عَنْ ثَلَاث لَا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا نَبيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ مَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ و مَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ ﷺ: «أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا»

قَالَ ابنُ سلام: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْـمَلَائِكَةِ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْـمَشْرِقِ إِلَى الْـمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْـمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ** (أي: جَذَبَه إليه فكانَ أشبَه بأبيه)، **وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْـمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ.»**

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي.

فَجَاءَتْ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟»** قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ»** قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الله فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ الله[(١)].



وصَدَقَ اللهُ العظيمُ حيثُ قالَ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

[الأحقاف].

فهذه شهادةٌ مِنْ رجلٍ مَنَّ الله عليه بالإسلامِ من اليهودِ في رسولِ اللهِ ﷺ وفي

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٣٨).



اليهودِ، فأَخبَرَ في شهادتِه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حقٌّ، وأنَّ اليهودَ قومٌ بُهت.

وإذا كانَتِ اليهود تَعَلمُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حقٌّ بشهادةِ أعلمِهم وهو عبدُاللهِ بنُ سلامٍ، فتعالَوا بنا لنَرى شهادةَ النَّصارى أيضاً في رسولِ اللهِ ﷺ، وكيفَ أنَّ أحبارَهم ورُهبانَهم يعرفونَه كما يعرفونَ أبناءَهم كما قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

ويَظهرُ لنا ذلكَ من قِصَّةِ إسلامِ سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه.

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ (أي رئيسها): وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ أَيْ مُلَازِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْـمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ! إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَـمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَـمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرُبَتْ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَـمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! أَيْنَ كُنْتَ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ،




فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ،قَالَ: قُلْتُ:كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ:وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ:فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ:فَادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْـمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِـمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْـمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا:وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ:أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ:فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ:فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ




وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ الله فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ:أَيْ بُنَيَّ! وَالله مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْه، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقْ بِه، قَالَ: فَلَـمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْـمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِه، قَالَ:فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَـمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَالله مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ وَهُوَ فُلَانٌ فَالْحَقْ بِه،وَقَالَ: فَلَـمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَالله مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْـمَوْتُ، فَلَـمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَالله مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَـمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِه وَأَمْرِهِمْ، قَالَ:وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ:ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ الله فَلَـمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَالله مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ




بَيْنَ حرَّتَيْنِ بيْنَهُما نَخْلٌ، بهِ عَلامَاتٌ لا تخْفى، يأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بتلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ فَمَكَثْتُ بعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ، قَالُوا: نَعَمْ، فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقِرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْـمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْـمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْـمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ فُلَانُ: قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ! وَاللهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَـمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ (أي الرعدة) حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَـمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ»، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا وَتَحَوَّلَ



رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْـمَدِينَةِ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي فَلَـمَّا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ اسْتَدبرتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: تَحَوَّلْ فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ! فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ؛ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً (صغار النخل)، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْـمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْـمَغَازِي فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْـمُكَاتَبُ؟ قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ الله مِمَّا عَلَيَّ؟! قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ. قَالَ: فَأَخَذْتُهَا




فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»[1].

وأما الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبَرُ التي تُؤخَذُ من قِصَّةِ إسلام عبدِاللهِ بن سلام وسلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنهما فهي كثيرةٌ جداً نَعيشُ معَها في الجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمر بقيّةٌ.

اللهمَّ رُدَّ المسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٤٤١)، والبزار (٢٥٠٠)، والطبراني في الكبير (٦٠٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٤)].



٢٥

الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من إسلام عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنه.

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ عن الدُّروسِ والعِظاتِ والعبرِ التي تُؤخَذُ من قصَّةِ إسلام عبدِاللهِ بن سلامٍ وسلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنهما.

في الجمعة الماضية تبيَّن لنا أن رسول الله ﷺ عندما وصل إلى المدينة نزل في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكانت الدار من طابقين فنزل ﷺ في الطابق الأرضي، فلما طَلبَ منه أبو أيوب أن يصعد إلى الطابق العلوي قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا أيوب! إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت»، وبدأت الوفود تتوافدُ على رسولِ اللهِ ﷺ في دارِ أبي أيوب، وكانَ ممن جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يبحَثُ عن الحقّ؛ عبدُاللهِ بن سلامٍ وكانَ رجلاً يهودياً، فسألَ رسولَ اللهِ ﷺ عن أشياءَ فلما أجابَه الرَّسولُ ﷺ قال: «أشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله» ثم قالَ ابنُ سلامٍ: يا رسول الله! إن اليهودَ قومٌ بُهتٌ.. الخ.

وتكلَّمنا في الجُمعةِ الماضيةِ أيضاً عن سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه وكيفَ انتقلَ من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن رجلٍ إلى رجلٍ يَبحَثُ عن الحقِّ، فعندَما هاجرَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ وعَلِمَ به سلمانُ الفارسيُّ ذهبَ إليه، فلما وَجَدَ منه الصِّفاتِ التي أخبروه عنها؛ وهي أن النَّبيَّ ﷺ لا يأكلُ الصَّدقةَ، ويأكلُ الهديَّةَ، وبينَ كتفَيه خاتمُ النُّبوة، أسلمَ ودَخلَ في دينِ اللهِ، وكانَ سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه عبداً عندَ يهوديٍّ فأعانَه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ حتى تحرَّرَ من الرِّقِّ، وحَضَرَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ غزوةَ الخندقِ وما بعدَها من الغَزَواتِ.

وفي قصَّةِ إسلامِ عبدِالله بن سلامٍ وسلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنهما دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ؛ منها:

أولاً: تواضعُه ﷺ ورأفتُه ورحمتُه بأصحابِه وبضيوفِه، وهذا يَظهرُ من نزولِه في الطابقِ السُّفليِّ من دارِ أبي أيوبِ الأنصاريِّ، ومن قولِه ﷺ: «**يا أبا أيوب! إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت**».

ومن اللَّحظةِ الأولى وَضَعَ رسولُ الله ﷺ نفسَه في مكانٍ يَسهلُ على جميعِ النّاسِ أن يَصِلوا إليه، ولم يَجعَل على بيتهِ بوّابينَ يَمنعونَ النّاسَ من الدُّخولِ عليه ﷺ، فهذا عبدُالله بنِ سلامٍ من اليهودِ، ومعَ ذلكَ دخلَ على رسولِ الله ﷺ وسألَه وتكلَّمَ معَه ثم أسلمَ، والشّاهدُ على أن النَّبيَّ ﷺ ليسَ على بابِه بوّابون:

مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ،فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولى**»(١).

الشاهدُ يا عبادَ الله! أنها لم تَـجِد على بابِهِ بوّابِينَ يمنعونَها من الدُّخولِ على رسولِ الله ﷺ.

ومن تواضعه ﷺ:

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ -أي العبدة الـمملوكة- مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ)(٢) وذلك ليقضي لـها حاجتها، إنها أخلاق النبوة.



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً (٦٠٧٢)، ووصله ابن ماجه (٤١٧٧)، وأحمد (٣/ ٩٨)، [«مختصر الشمائل» (٢٨٥)].



-وسُئِلَت عائشةُ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِه؟

قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -يعني: خدمة أهله- فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ[١]. وكان ﷺ إذا مرَّ على الصبيان سلم عليهم[٢].

ومن تواضُعه ﷺ أنه قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[٤].

واللهُ عزَّ وجلّ يُثني عليه في كتابه فيقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقالَ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

وبهذا التَّواضُع، وبهذه الرَّحمة، وبهذا الرِّفق من رسولِ الله ﷺ بأصحابه وبالنّاس أقبلَ الناسُ عليه، والتفُّوا حولَه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران].

ثانياً: اليهودُ قومٌ بُهتٌ -أي أهلُ إفكٍ وكَذِبٍ يقولونَ في الإنسانِ ما ليسَ فيهِ-.

وهذا يُؤخَذُ من قولِ أحدِ علمائِهم وهو عبدُالله بن سلامٍ بعدَ أن شَرَحَ اللهُ صدرَه للإسلامِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إن اليَهود قومٌ بُهتٌ.

والبُهتان يا عبادَ الله! هو: أن تَرميَ الرَّجلَ بما ليسَ فيه.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).



قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ**»

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قالَ ﷺ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ؟

قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[1].

فهذا تاريخُ اليهودِ الأسودُ يشهدُ لهم بذلكَ؛ يَقلبونَ الحقائقَ فنَراهم في واقعِنا الـمعاصرِ يَقتلونَ الـمسلمِينَ في أرضِ فلسطينَ ثم بعدَ ذلكَ باستخدامِهم لوسائلِ الإعلامِ يَقلبونَ الحقائقَ ويُظهِرونَ للنّاسِ أنهم همُ الذين يُقتَلونَ.

فاليهود قوم بُهت:

• **ومن بهتانهم**: أنهم كذَبوا على اللهِ فوصَفوه بما لا يَليقُ، وقد فضَحَهُم اللهُ في كتابهِ. قالَ تعالى: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ١٨١**﴾[آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٦٤**﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠**﴾[التوبة].

• **ومن بهتانِهم**: أنهم اتَّهموا مريمَ بالزِّنا. قالَ تعالى: ﴿**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ١٥٦**﴾[النساء].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٩).

• **ومن بُهتانِهم**: أنهم زَعمُوا أن جبريلَ عليه السلام عدوٌّ لهم، وهذا يَظهَرُ من قولِ ابنِ سلام قبلَ أن يُسلِمَ عندَما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أخبرني بهنَّ جبريل آنفا**» فقالَ ابن سلام: جبريلٌ؟! قالَ ﷺ: «**نعم**»، قالَ ابنُ سلام: ذاكَ عدوُّ اليَهودِ من الملائكة، فاللهُ عزَّ وجلَّ كذَّبهم وردَّ عليهم فقالَ تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

• واليهودُ أهلُ حقدٍ وحسَدٍ على المسلمِينَ، وقد فَضَحَهُم اللهُ في كتابه؛ فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران]. وقالَ تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة]. وقالَ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

• اليهودُ لا يُحبُّونَ الخيرَ للمسلمِينَ أبداً، وهم أشدُّ الناسِ عداوةً للمؤمنين. قالَ تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

• واليهودُ يَعملونَ بالليلِ والنَّهارِ، ويُنفِقونَ أموالَهم ليَصرِفوا المسلمِينَ

عن دينهم، وذلك لأن اليهود يَقْوُونَ على حساب تفرق المسلمين وضعفهم وبعدهم عن دينهم. قالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة]. وقالَ تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[البقرة].




• واليهودُ هم أكلةُ الرِّبا في العالمِ كلِّه. قالَ تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾[النساء].

• اليهودُ يَنقضونَ العُهودَ والمواثيقَ وهم قتلةُ الأنبياءِ. قالَ تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

• اليهودُ هم أفسدُ النّاسِ في الأرضِ على الإطلاقِ، وهمُ الذينَ يُشعِلون الحروب بينَ النَّاسِ؛ لأنهم لا يَعيشونَ إلَّا على حسابِ خرابِ بيوتِ الآخرينَ قاتلَهم اللهِ. قالَ تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا



بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

• اليهودُ يُسارِعونَ إلى الإثم والعُدوانِ وأكلِ الحرام ليلاً ونهاراً. قالَ تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

[المائدة].

• اليهودُ من شرِّ الناسِ ومن أضلِّ الناسِ، ولذلكَ غَضبَ اللهُ عليهم ولعنَهم، قالَ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

• اليهودُ من أجبنِ النَّاسِ على الإطلاقِ؛ قالَ تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر].



ثالثاً: على الإنسانِ أن يبحثَ عن الحقِّ ليلاً ونهاراً، فإن وجده اتبعه بلا تردد، وهذا يُؤخَذُ من فعلِ عبدِاللهِ بن سلامٍ وسلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنهما.

فهذا عبدُالله بنُ سلام عندَما نَظرَ إلى وجهِ النَّبيِّ ﷺ ووجدَه ليسَ بوجهِ كذابٍ، وعندَما سألَه عن المسائلِ الثَّلاثِ وأجابَه النَّبيُّ ﷺ، عَرفَ ابنُ سلام أنَّ النَّبيَّ ﷺ حقٌّ، وأنه جاء بالحقِّ من عندِ اللهِ تعالى، فعندَها بلا تَردُّدٍ قال: أشهد أنَّ لا



إله إلا اللهُ وأشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، وقال ابنُ سلام لليهود: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ.

وهذا سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه تركَ أهلَه، وتركَ الغِنى عندَ أبيه، وانتقلَ من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن شخصٍ إلى شخصٍ، وباعُوه عبداً لرجلٍ من اليَهودِ، ومعَ ذلكَ يَبحَثُ عن الحقِّ؛ فعندَما التقى برسولِ اللهِ ﷺ وقَدَّمَ له الصَّدقةَ فلم يأكُلِ النَّبيُّ ﷺ منها، وقدَّمَ له الـهديَّةَ فأكلَ ﷺ منها، ورأى سلمانُ خاتـمَ النُّبوَّةِ بينَ كتفَيِ النَّبيِّ ﷺ انكبَّ على رسولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُه ويبكي، ودخلَ في دينِ اللهِ، فعلى الإنسانِ أن يبحثَ دائماً عن الحقِّ في كلِّ شيءٍ، فإذا وجدَه اتَّبعَه بلا تردُّد، لأنه ليسَ بعدَ الحقِّ إلَّا الضَّلالُ، ولأنَّ الحق أحق أن يُتبع، فكَم من إنسانٍ منعَه الكِبرُ من اتِّباعِ الحقِّ؟! وكَم من إنسانٍ منعَه الجهلُ من اتِّباعِ الحقِّ، وكَم من إنسانٍ منعَته الدُّنيا وحبُّ الدِّينارِ عن اتِّباعِ الحقِّ، وكَم من إنسانٍ منعَته الحزبيَّةُ البغيضةُ عن اتِّباعِ الحق؟!

قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

رابعاً: ضرورةُ التَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى، وضرورةُ مساعدةِ الـمحتاجِ، وضرورةُ التَّعاونِ على قضاءِ الدَّينِ عن الـمَدينِ.

وهذا يُؤخَذُ من فعل النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم مع سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما ساعدوه ليتحرر من الرق فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢].

وقال ﷺ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**» أي: سلمان(١).

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٤٤١)، والبزار (٢٥٠٠)، والطبراني في الكبير (٦٠٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٤)].




وقالَ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ..**»[1].

فإذا ابتُلِيَ رجلٌ من الـمؤمنينَ الصالِحينَ بِدَين، من غيرِ إسرافٍ ولا تبذيرٍ، ولا محاربةٍ للهِ ورسولِهِ بالمعاصي، فإنه يَجِبُ على الـمسلِمينَ أن يَتعاوَنوا مع هذا الرَّجلِ على قضاءِ هذا الدَّينِ عنه، كما فَعَلَ النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ معَ سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه.

قالَ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِى أَدَاءِ دَيْنِهِ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنَ اللهِ**»[2] أي: أعانَه الله.

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا فَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إِلَّا أَدَّاهُ اللهُ عَنْهُ فِي الدنيا**»[3].

اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمِينَ.




(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) واللفظ له.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٧٢، ٩٩، ١٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٠١)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٧/ ٣١٥)، وابن ماجه (٢٤٠٨)، وأحمد (٦/ ٣٣٥)، [«صحيح الجامع» (٥٥٥٣)].



المسجد في الإسلام

أيها الإخوةُ عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن المسجدِ في الإسلامِ.

أولُ عملٍ قامَ به النَّبيُّ ﷺ عندما وَصَلَ إلى المدينةِ هو بناءُ المسجدِ.

يقولُ أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ.

قال أنس: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ رحلَه.

قال أنس: وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ! ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ.

قال أنس: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ»(١).

هكذا عبادَ اللهِ! بدأَ النَّبيُّ ﷺ ببناءِ المسجدِ في المدينةِ، وهو مسجدُ النَّبيِّ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

ﷺ الذي لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إليه، وإلى الـمسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، بنى النَّبيُّ ﷺ لله بيتاً قبلَ أن يَبنيَ لنفسِه بيتاً وسكَناً، وبهذه البَساطةِ قامَ مَسجدُ النَّبيِّ ﷺ من النَّخيلِ ومن الحجارةِ، والسَّقفُ من الجريدِ، ولكنه خرَّجَ رجالاً هم صحابةُ النَّبيِّ ﷺ، الذين فتَحوا قلوبَ العِبادِ والبلادَ.

وحديثُنا عن الـمسجدِ سيكونُ حولَ العناصرِ التّالية:

العنصر الأول: اهتـمامُ الإسلام بالمساجد.

العنصر الثاني: أهميةُ الـمسجدِ في الإسلام.

العنصر الثالث: البدعُ والمخالفاتُ الشَّرعيةُ التي وَقَعت في بناءِ الـمساجد.

العنصر الأول: اهتمام الإسلام بالمساجد.

اهتـمَّ الإسلامُ بالمساجدِ اهتـماماً كبيراً وربطَ الـمسلمينَ بالمساجدِ، ففي كتابِ ربِّنا: قالَ تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾ [البقرة]. وقالَ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ

فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]. وقالَ تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وأما في سنَّةِ رسولِ الله ﷺ فقد اهتَمَّ النَّبيُّ ﷺ بالمساجد اهتماماً كبيراً، فحثَّ النَّبيُّ ﷺ على بناءِ المساجدِ، فقالَ ﷺ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»(١)، وقال ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**»(٢).

- وحثَّ النَّبيُّ ﷺ على نظافةِ المساجدِ. فقالَ ﷺ: «**الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»(٣).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) واللفظ له.

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢٤٢)، [«صحيح الجامع» (٢٢٣١)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).



وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَمَرَ رَسُول الله ﷺ بِبِنَاءِ الْـمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ (أي: في الأحياء) وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ»(١).

وقالَ ﷺ: **«مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْـمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لاَ رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْـمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»**(٢).

فلا يجوزُ إنشادُ الضَّالةِ عبرَ السَّمَّاعاتِ في الـمسجدِ.

وقالَ ﷺ: **«إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْـمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ»**(٣).

وقالَ ﷺ: **«لَا تُقَامُ الْحُدُودُ فِي الْـمَسَاجِدِ وَلَا يُسْتَقَادُ فِيهَا»**(٤) -أي لا يقتص-.

- وأمَرَ النَّبيُّ ﷺ الرِّجالَ بحضورِ الجماعةِ في الـمساجدِ، وحذَّرَ من التَّـخلُّف عن ذلكَ بدونِ عُذرٍ شرعيٍّ، فقالَ ﷺ: **«مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ»**(٥).



وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ..»**(٦).

فليَتَّقِ اللهَ الذين يتَـخلَّفونَ عن صلاةِ الجماعةِ بلا عُذرٍ شرعيٍّ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٥٩٤)، وأبو داود (٤٥٥)، وأحمد (٦/ ٢٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٦٨).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٣٢١)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٠٤)، [«صحيح الجامع» (٥٧٣)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (١٤٠١)، وابن ماجه (٢٥٩٩) من حديث ابن عباس، ورواه أبو داود (٤٤٩٠)، وأحمد (٣/ ٤٣٤)، [«صحيح الجامع» (٧٣٨١)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣)، [«إرواء الغليل» (٢/ ٣٣٧)]

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).



– وحثَّ النَّبيُّ ﷺ على شهودِ الجماعةِ، وحضورِ الصلاةِ، وملازمةِ المساجدِ في أوقاتِ الصَّلاةِ.

فقالَ ﷺ: **«مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أو رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنْ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»**[١].

وقالَ ﷺ: **«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: **«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»**[٢].

وقالَ ﷺ: **«بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٣].

وقالَ ﷺ: **«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»**[٤].

– وقد رغَّبَ النَّبيُّ ﷺ في حُبِّ المساجدِ والتَّعلُّقِ بها، وحضورِ مجالسِ العلمِ فيها، والجلوسِ فيها لذكرِ اللهِ بعدَ صلاةِ الفجرِ حتّى تَطلُعَ الشَّمسَ.

فقالَ ﷺ: **«سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»**[٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٢٣)، وأبو داود (٥٦١) من حديث بريدة، ورواه ابن ماجه (٧٨١) من حديث أنس، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩) واللفظ للبخاري.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).



وقالَ ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْـمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**»(٣).

واهتمَّ الإسلامُ بالمساجدِ اهتماماً بالغاً؛ أتدرونَ لِمَ يا عبادَ اللهِ؟!

هذا الذي نعرِفُه من:

العنصر الثاني: أهمية المسجد في الإسلام.

• المسجدُ هو أحبُّ البقاعِ إلى اللهِ تعالى. قالَ ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**»(٤).

• المسجدُ هو قلعةُ الإيمانِ. قالَ تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ [الأعراف]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة].

• المسجدُ هو المدرسةُ التي يَتخرَّجُ منها الرِّجالُ الذين يَفتحونَ قلوبَ العبادِ والبلادَ بدعوةِ الإسلامِ. قالَ تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) **حسن**: رواه البزار (٢٥٤٦)، والطبراني في الكبير (٦١٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٧١٦)].
(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٥٨٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٦٤)].
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧١).

ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

• المسجدُ هو الـمدرسةُ التي يتعلَّمُ الـمسلمونَ فيها دينَهمُ الصَّحيحَ، من خلالِ الكتابِ والسُّنَّةِ، بفَهمِ سلفِ الأمة، فقد علم النبي ﷺ أصحابه وزكاهم في مسجده، فتـخرَّجَ من مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ الصَّحابةُ ﷺ الذين فَتـحوا قلوبَ العبادِ والبلادَ.

فمن أين تـخرَّجَ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وسلمانُ وصهيبٌ وغيرُهم ﷺ أجمعين؟

• المسجدُ هو الـمدرسةُ التي يتعلَّمُ الـمسلمونَ فيها النِّظام في كلِّ شيءٍ في أعمالِهم، في بيوتِهم، في شؤونِهم، في أسواقِهم؛ ففي الـمسجدِ رجلٌ يُؤذِّنُ للصَّلاة، فإذا أمرَه الإمامُ بإقامةِ الصلاةِ أقامَها، ثم يتقدَّمُ الإمامُ ليَؤُمَّ النّاسَ، فلا يَتقدَّمُ أحدٌ للإمامةِ إلَّا بعدَ إذنِه، وهذا هو النِّظامُ في أسمى صُوَرِه وأبهى حُلَلِه، ويقومُ الـمسلمونَ أجمعونَ خلفَ هذا الإمامِ صفوفاً مُعتدلةً متساويةً.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يهتـمُّ بنفسِه بتسويةِ هذه الصُّفوفِ وتعديلِـها ويأمرُ بها:

عن أبي مسعودٍ ﷺ قالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(١).

فانظروا عبادَ الله! يومَ أن كانتِ الصُّفوف على عهدِ رسولِ الله ﷺ مستويةً اتَّـحدَتِ القلوبُ، ويومَ أن أصبحَتِ الصفوفُ في أيامِنا مُعوَجَّةً كانتِ القلوبُ مُختلفةً، فتفرَّقتِ الأمَّةُ وضَعُفَت، وقَوِيَ الأعداءُ علينا.




وعن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ ﷺ قالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُسَوِّى صُفُوفَنَا حَتَّى

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٢).

كَأَنَّمَا يُسَوِّى بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: **«عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»**(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَاذُوا بَيْنَ الْـمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ»**(٢).

وقال ﷺ: **«إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»**(٣).

فانظروا عبادَ الله! إلى هذا النِّظام! الصُّفوفُ مستويةٌ خلفَ إمامٍ واحدٍ وهم مُلتزمُونَ بهديهِ، مُقتدونَ بفعلِه، لا يُكبِّرونَ حتى يُكَبِّرَ، ولا يَركعونَ حتى يركعَ، ولا يَرفعونَ حتى يَرفعَ، ولا يَسجدونَ حتى يَسجُدَ، ولا يَنصرِفونَ من الصَّلاةِ حتى يَنصرِفَ.

والذي يُخالفُ هذا الإمامَ وهذا النِّظامَ متوعَّدٌ بالمَسخ على لسانِ رسولِ الله ﷺ، قالَ ﷺ: **«أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»**(٤).

وفي الـمسجدِ تَرى العدلَ والمساواةَ في أبهى صُوَرِها، فالغَنيُّ بجوارِ الفَقيرِ، والكبيرُ بجوارِ الصَّغيرِ، والعاميُّ بجوارِ الأميرِ، لا فَضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٧)، و مسلم (٤٣٦) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٦٦)، والنسائي (٢/ ٩٣)، وأحمد (٢/ ٩٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٧٤٣)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧).



كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات].

• وَفي الـمسجدِ ترى الرَّحمةَ من الإمامِ على الـمأمومِينَ، وتَرى السَّمعَ والطّاعَةَ من الـمأمومِينَ للإمام، وهذا يُعلِّمُ الـمسلمِينَ السَّمعَ والطاعةَ للأميرِ العامِّ، ويُعلِّمُ الأميرَ الرَّحمةَ على الرَّعيَّةِ التي استرعاهُ اللهُ عليها.

فالرَّعيَّةُ التي تَربَّت في الـمسجدِ تسمعُ وتطيعُ لأميرِها، وإن ضربَها وأخذَ أموالَـها ما لم يأمُر بمعصيةِ اللهِ، فإن أمرَ بمَعصيةِ اللهِ فلا سَمعَ ولا طاعةَ، لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

• وَفي الـمسجدِ تربّى الـمسلمونَ على مراقبةِ اللهِ في أعمالِهم؛ فالذي يَقِفُ خمسَ مرّاتٍ بين يدَي ربِّه يَمنَعُه ذلكَ من الإقدامِ على الـمعاصي والذُّنوبِ.




العنصر الثالث: البدع والمخالفات الشرعية التي وقعت في بناء المساجد.

تبيَّنَ لنا ما للمَسجدِ من أهميَّةٍ كبيرةٍ في حياةِ الـمسلمِينَ وعلى الرَّغم من عِظَمِ هذه الأهميَّةِ، فقد فَرَّطَ الـمسلمونَ من ناحيةٍ في بناءِ هذه الـمساجدِ، وأفرَطوا من ناحيةٍ ثانيةٍ.

أما تفريطُهم؛ فإنك تَـجدُ آلافَ القُرى والأحياءِ في العالمِ الإسلاميِّ ليسَ فيها مسجدٌ واحدٌ، بينما تَتناثرُ في كلِّ مكانٍ دورُ اللَّهوِ والفُجورِ، وأما إفراطُهم؛ فإنَّكَ تَـجدُ الـمسجدَ الواحدَ وقد كَلَّفَ بناؤُه مئاتِ الألوفِ من الدَّنانيرِ، أُنفقَت على الزَّخارفِ والتُّحَفِ التي أودعوها في هذا الـمسجد حتى صارَ أشبهَ بالمَتـحَف منه بالمسجدِ.



ومن المخالفات الشرعية التي وقع فيها الكثير من المسلمين في بناء المساجد.

أولاً: بناء المساجد على القبور.

وهذا حرامٌ، ولا يجوزُ في شريعةِ الإسلامِ، والنَّبيُّ ﷺ عندَما اشترى الأرضَ التي يُريدُ أن يبنيَ فيها مَسجدَه ووَجدَ فيها قبورَ الـمشركِينَ، أمرَ بقُبورِ الـمشركينَ فنُبِشَت، لأنه لا يَجوزُ بناءُ الـمساجدِ فوقَ القُبورِ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْـمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**»(١).

ولقَد كانَ ﷺ يُحذِّرُ من اتِّـخاذِ الـمساجدِ على القُبورِ، وَيَعُدُّ الـمتَّـخِذينَ شرارَ الـخلقِ.

عن عائشةَ رضي الله عنها أن أمَّ سلمةَ وأمَّ حبيبةَ رضي الله عنهما ذَكرتا لرسولِ ﷺ كنيسةً رأتاها في أرضِ الحبشةِ فيها تصاويرُ. فقالَ ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

ولـما حضرَته ﷺ الوفاةُ لم يَنشَغِل بسكَراتِ الـموتِ معَ شدَّتها عن تـحذيرِ أمَّتِه من اتِّـخاذِ القبورِ مساجدَ.

- عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: لَـمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٣) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

وعن جُنَدَبَ رضي الله عنه قالَ: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو



(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٧)، وأبو داود (٤٩٢)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (٣/ ٨٣، ٩٦)، [«صحيح الجامع» (٢٦٧٦٧)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).



يقولُ: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»(١).

فلا يجوزُ أبداً أن يُبنى مسجدٌ على قبر، أو يُجاءَ برجلٍ فيُدفنَ في المسجدِ، لأنَّ الإسلامَ جاءَ لمحاربةِ الشِّركِ وسدِّ الذَّرائعِ التي تُفضي إلى الشِّركِ، واتِّخاذُ المساجدِ على القبورِ ودَفنُ الصّالحينَ في المساجدِ بعدَ موتِهم من وسائلِ الشِّرك.

ثانياً: زخرفة المساجد

قالَ ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم**»(٤).

وصدقَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ نبَّأَ بمصيرِ المسلمينَ في قولِه: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**»(٥).

المسلمونَ اليومَ انشغَلوا بزخرفةِ المساجدِ عن تزكيةِ النُّفوسِ، وعمارةِ المساجدِ بالصلاةِ فيها فكانَ هذا حالُهم.

أما أسلافُنا الكبارُ -الصَّحابةُ ﭫ- فقد انصَرفوا عن زخرفةِ المساجدِ وتشييدِها إلى تزكيةِ أنفسِهم وتقويمِها، فكانوا أمثلةً صحيحةً للإسلامِ، وفتَحوا قلوبَ العبادِ والبلادَ.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٨)، وابن حبان (١٦١٥)، [«صحيح الجامع» (٥٥٥٠)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، [«صحيح الجامع» (٧٤٢١)].

(٤) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة (٨٧٩٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٥١)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) واللفظ لمسلم.

ورَضيَ اللهُ عن عمرَ الفاروقِ الذي قالَ لرجلٍ عندَما همَّ ببناءِ الـمسجدِ: «أكنّ النّاسَ من الـمطرِ، وإيّاك أن تُـحَمِّرَ أو تُصَفِّرَ؛ فتَفتِنَ الناس».

فيا أمةَ الإسلام! عودوا إلى اللهِ وإلى القرآنِ، وعودوا إلى الـمساجدِ، وكونوا عمّارَها، كما أراد اللهُ وكما أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ.

اللهمَّ فقِّهنا في دينِنا.







الإخاء بين المهاجرين والأنصار

أيها الإخوة عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سَيكونُ عن الإخاءِ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ.

في الجُمعةِ الماضيةِ تبيَّنَ لنا أن رسولَ اللهِ ﷺ عندَما وصلَ إلى المدينةِ بدأَ أولاً ببناءِ المسجدِ، لأنَّ في المسجدِ يَقفُ المسلمونَ خمسَ مرّاتٍ في اليومِ واللَّيلةِ بين يدَي ربِّهم، وفي المسجدِ يتعلَّمُ المسلمونَ دينَهم، وفي المسجدِ يتعوَّدُ المسلمونَ على النِّظامِ في كلِّ حياتِهم، وفي المسجدِ يتدرَّبُ المسلمونَ على السَّمعِ والطَّاعةِ لأولي أمرِهم.





ولما وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ المسلِمينَ بربِّهم من خلالِ عبادتِهم في المسجدِ، وصلَ بينَ المسلمِينَ بعضِهم ببعضٍ فآخى بينَ المهاجرينَ والأنصارِ.

وحديثُنا عن الإخاءِ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: المهاجرونَ والأنصارُ في الكتابِ والسنة.

العنصر الثاني: الإخاءُ بينَ المهاجرينَ والأنصار.

العنصر الثالث: حقوقُ الأخوَّةِ في الله.

العنصر الرابع: الأمراضُ التي تَفتِكُ وتُفسِدُ الأخوَّةَ في الله.

العنصر الأول: المهاجرون والأنصار في الكتاب والسنة.

المهاجرونَ هم الذين هاجَروا من مكَّةَ إلى المدينةِ، طاعةً ومحبةً للهِ ولرسولهِ ﷺ، ونصرةً لدينِ اللهِ كما وصفَهم ربُّهم في كتابِه.

فقالَ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

نَعَم واللهِ صادقونَ في إيمانِهم، صادقونَ في هجرتِهم، صادقونَ في محبَّتِهم للهِ ولرسولهِ ﷺ.

أما الأنصارُ هم أهلُ الـمدينةِ الذين استقبَلوا إخوانَهُم الـمهاجرينَ، وضَربوا مثلاً أعلى في الإيثارِ، كما وصفهم ربُّهم -تبارك وتعالى- في كتابهِ فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

ومن الأمثلةِ على الإيثارِ عندَ الأنصارِ:



يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله! أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ الله**» فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله.

فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ.

قالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالِيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ ففَعَلَتْ.

ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

ولذلك أثنى رسولُ الله ﷺ على الأنصارِ، وتـمنّى أن يكونَ منهم. فقالَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).



ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ**».

فقالَ أبو هريرةَ: مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ(١).

وجعل النبي ﷺ حبهم علامة الإيمان، وبغضهم أمارة النفاق، فقال ﷺ: «**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**»(٢).

فالويلُ الويلُ للرَّوافض الذين يُبغِضونَ صحابةَ رسولِ اللهِ ﷺ، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا**»(٤).



وها هم أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ من الـمُهاجرينَ والأنصارِ، من سَلَكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن تَرَكَ سبيلَهم شَقِيَ في الدُّنيا والآخرةِ. قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقالَ تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾ [النساء].

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٥).

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٧٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤).

(٤) **صحيح بشواهده**: رواه أحمد (٣/ ٢٤٠)، وأبو يعلى (٣٩٩٨)، [«صحيح الجامع» (٩٥٩)].

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٩٢-٢٠٤)].



وها هم صحابة رسول الله ﷺ من الـمهاجرين والأنصار كما وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح].

العنصر الثاني: الإخاء بين المهاجرين والأنصار.

عندَما وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ الـمدينةَ وبنى الـمسجدَ؛ آخى بينَ الـمهاجرينَ والأنصارِ أخوَّةً تَـجعلُ الـمهاجريَّ أولى بمالِ أخيه الأنصاريِّ في الـميراثِ من أهلِه وأقاربِه والعكس، فضربَ الأنصارُ الـمثلَ الأعلى في الوفاءِ بحقِّ الأخوَّةِ وحُسنِ الاستقبالِ وكَرَم الضِّيافة.

عن عبدِالرَّحمنِ بن عَوفٍ رضي الله عنه قال: لَـمَّا قَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَما لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ**»؟

قَالَ نَعَمْ. قَالَ: «**وَمَنْ؟**» قَالَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «**كَمْ سُقْتَ**»؟قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[1].

عَقَدَ الأنصارُ عقدَ الإخاءِ بكلِّ تسامحٍ وإيثارٍ، وهم أصحابُ الأموالِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٠٤٨).




وأهلُ الدِّيار، وعَقَدَ الـمهاجرونَ عقدَ الإخاءِ بكلِّ عفَّةٍ وزهدٍ واستغناءٍ، شاكرينَ لإخوانِهم الأنصارِ حُسنَ استقبالِهم، وكَرَمَ ضيافتِهم، وإن تَعجَب فاعجَب من سعدِ ابنِ الرَّبيعِ وهو يَعرِضُ على أخيه عبدِالرَّحمنِ بن عوفٍ نصفَ ماله، ويَزدادُ عَجَبُك حينَ تَسمَعُ سعدَ بن الرَّبيعِ وهو يَقولُ لأخيه عبدِالرَّحمنِ بن عوفٍ: عندي زوجتان، انظُر إليهما فأيَّتهما أعجَبَتك فسمِّها لي؛ فأطلِّقُها فإذا انقضَت عدَّتُها تزوَّجتَها. اللهُ أكبر! اللهُ أكبر! ما هذا الإيثارُ، وما هذه الأخوة؟!

لا تَعجَب؛ فإنَّ الإيمانَ إذا تـمكَّنَ من القلوبِ فَعَلَ أكثرَ من ذلك.

وإن تَعجَب من حُسنِ العَرضِ، فاعجَب أكثرَ وأكثرَ من حُسنِ الرَّفضِ، اعجَب من قولِ عبدِالرَّحمنِ بن عوفٍ لأخيه سعدِ بن الرَّبيعِ: باركَ اللهُ لكَ في أهلِكَ ومالِكَ، لا حاجةَ لي في شيءٍ من ذلكَ، هل من سوقٍ فيه تـجارةٌ؟ ثم ذَهَبَ إلى السّوقِ وتاجَرَ.



اللهُ أكبر! من أيِّ مدرسةٍ تـخرَّجَ هؤلاءِ؟ إنها مدرسةُ محمَّدٍ ﷺ.

استـمرَّ عقدُ الإخاءِ بين الـمهاجرينَ والأنصارِ، إذا ماتَ أحدُهما وَرِثَه أخوه دونَ ابنِ أمِّه وأبيهِ إلى أن أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب].

فنُسِخَت روابطُ الإخاءِ وبَقِيَت أخوَّةُ النَّسب دونَ أخوَّةِ الإخاءِ الذي أمضاه النَّبيُّ ﷺ بينَ الـمُهاجرينَ والأنصار.

العنصر الثالث: حقوق الأخوة في الله:

أنزلَ اللهُ تباركَ وتعالى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[الحُجُرات:١٠] فَرَبَطَ اللهُ



عزَّ وجلَّ بينَ الـمسلمينَ برابطةِ الإيمانِ التي هي أقوى من رابطةِ النَّسَبِ والوطنِ واللُّغةِ، فالمؤمنونَ إخوةٌ وإن تباعَدَت أقطارُهم، الـمؤمنونُ إخوةٌ وإن تباعَدَت أجسادُهم، يقولُ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِم**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢) **وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**.

وهذه الأخوَّةُ في اللهِ لـها حقوقٌ كثيرةٌ منها:

أولاً: التَّناصُحُ القائم على الأمر بالمعروفِ والنهي عن الـمنكرِ، فالمسلمُ ناصحٌ لأخيه الـمسلم، أما الـمُنافِقُ يَفضَح. قالَ تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]. قالَ تعالى: إخباراً عن نوح عليه السَّلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢] وعن هودٍ عليه السَّلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف]. فالنَّصيحةُ من صفاتِ الرُّسل والمؤمنِينَ.

وقالَ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٣).

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ(٤).

ومن الأمثلة على التناصح:

آخَى النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).



مُتَبَذِّلَةً أي لابسة ثياب الـمهنة، تاركة ثياب الزينة. فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا -أي: في النساء- وفي رواية: «يصوم النهار ويصلي الليل» فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ؟ قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَـمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَـمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«صَدَقَ سَلْمَانُ»**(١).

ثانياً: النصرة والدفاع والإعانة على قضاء الحاجات، قال ﷺ: **«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»**(٢).

وقال ﷺ: **«مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**(٣).

وقال ﷺ: **«وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**(٤).

وقال ﷺ: **«لَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْـمَسْجِدِ (يَعْنِي مَسْجِدَ الْـمَدِينَةِ) شَهْرًا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»**(٥).

الشَّفاعةُ الحَسنةُ لأخيكَ أن تَـمشيَ لقضاءِ حاجتهِ.

ثالثاً: من حقوق الأخوَّةِ في اللهِ: الدُّعاء لأخيكِ بظَهرِ الغيبِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٣).

(٣) **صحيح**: رواه البزار (٣٦٠٧)، والطبراني في الكبير (٣٣٧)(١٨/ ١٥٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢١٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٥) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، والأوسط (٦٠٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٠٦)].



قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

وقالَ ﷺ: «**دَعْوَةُ الْـمَرْءِ الْـمُسْلِم لأَخِيه بظَهْرِ الْغَيْب مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْـمَلَكُ الْـمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

رابعاً: ومن حقوقِ الأخوَّة في اللهِ: الاستغفارُ للأخ حيّاً وميتاً، فإن الاستغفارَ هو دأبُ الـملائكةِ الـمقرَّبينَ والنَّبيِّينَ الـمُرسَلينَ.

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر].

وقالَ تعالى عن إبراهيمَ عليه السَّلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم].

وقالَ تعالى عن نوح عليه السَّلام: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح].

وأمرَ اللهُ رسولَه ﷺ بذلكَ فقالَ تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد].

وقالَ ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»(٢).

وكانَ ﷺ إذا وَضَعَ الـميِّتَ في قبرِه وأهالَ عليه التُّرابَ يقولُ: «**اسْتَغْفِرُوا**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٥٥)، [«صحيح الجامع» (٦٠٢٦)].



لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(١).

خامساً: ومن حقوقِ الأخوَّةِ في اللهِ: الإصلاحُ بين الإخوةِ إذا وَقَعَ بينَهم خلافٌ ونزاعٌ.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

سادساً: ومن حقوقِ الأُخوَّة في اللهِ: أن يُحبَّ الأخُ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه.

قالَ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٢).

سابعاً: ومن حقوقِ الأخوَّةِ في اللهِ: التَّعاونُ على البرِّ والتَّقوى.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة].

وقالَ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٣).

ثامناً: من حقوقِ الأخوَّةِ في اللهِ: التَّزاورُ في اللهِ.

قالَ اللهُ تعالى: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»(٤).

وعنه ﷺ: «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، [«أحكام الجنائز» (ص١٩٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ لمسلم.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٨)].



مَلَكًا، فَلَـمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ! غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[١].

تاسعاً: ومن أعظمِ حقوقِ الأخوَّةِ في الله: ألا يكونَ الأخُ أحقَّ بدرهمِه وديناره من أخيه.

لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَيْسَ الْـمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائعٌ**»[٢].

ولقد أتى أبا هريرةَ رجلٌ فقال: يا أبا هريرة! إني أريد أن أؤاخيكَ في اللهِ.

فقال أبو هريرة: وهل تَدري ما حقُّ الأخوَّة؟

قال: لا، عَرِّفني.

قال: إن من حقِّ الأخوَّةِ ألا تكونَ أحقَّ بدِرهمِك ولا دينارِك مني.

فقال الرَّجل: لم أبلُغ هذه الـمنزلةَ.

قال أبو هريرة: فإليكَ عنِّي[٣].

وقالَ أبو جعفرٍ لأصحابِه يوماً: دَخَلَ أحدُكم يدَه في كمِّ صاحبِه فيأخذُ من ماله ما يريد؟ قال: قلنا: لا، قال: فلَستُـم بإخوانٍ كما تزعمونَ[٤].

العنصر الرابع: الأمراض التي تفتك، وتفسد الأخوة في الله.

أولاً: الحسد والتباغض والتدابر

قال ﷺ: «.. **لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٨٩)، [«صحيح الجامع» (٥٣٨٢)].

(٣) «منهاج الـمسلم» (ص١٣١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٧).



وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[(١)].

ثانياً: سوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، و لَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا»[(٢)].

ثالثاً: الهجران ولذلك كان النبي ﷺ يحذر أمته من الهجر

قالَ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ؛ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[(٣)].

وقالَ ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا (يعني أخروا) هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[(٤)].

رابعاً: السخرية ولذلك حذر الإسلام من أن يسخر المسلم من أخيه المسلم.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (رقم ٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (رقم ٦٠٧٧)، ومسلم (رقم ٢٥٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٥).



خامساً: عدم التثبت من الأخبار التي ينقلها بعض الفساق.

قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

سادساً: الغش في البيع والشراء.

قالَ ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[1].

وقالَ ﷺ: «**الْبَيِّعَان بالْخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا -أَوْ قَالَ حَتَّى يَتفَرَّقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما**»[2].

فاتَّقوا اللهَ عبادَ الله! وكونوا على حَذَرٍ من هذه الأمراضِ التي فَرَّقَت بينَ الـمسلمِينَ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً كما أمرَكُمُ اللهُ تباركَ وتعالى.

اللهمَّ ألِّف بينَ قلوبِ الـمسلمِينَ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).



٢٨

وفاء المسلمين وغدر وخيانة اليهود

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقَاءِ سيكونُ عن وفاءِ المسلمِينَ وغدرِ وخيانةِ اليهودِ.

عندَما وصلَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ مُهاجِراً من مكَّةَ انشغَلَ بما يلي:

أولاً: صلة الأمة بالله، فبادر ﷺ إلى بناء المسجد كما ذكرنا، لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتُقامَ فيه الصَّلواتُ التي تَربِطُ المرءَ بربِّه، وتُنَقِّي القلبَ من أدرانِ الأرضِ، ودسائسِ الحياةِ الدُّنيا.



ثانياً: صلةُ الأمةِ بعضِها ببعضٍ، فآخى النَّبيُّ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ أخوَّةً تُمحى من خلالِها كلمةُ (أنا)، ويتحرَّك الفردُ فيها بروحِ الجماعةِ ومصلحتِها وآمالِها، فلا يَرى لنفسِه كياناً دونَها.

ومعنى هذا الإخاءِ أن تذوبَ عَصَبيَّاتُ الجاهليَّة، فلا حَميَّةَ إلَّا للإسلام، وأن تَسقُطَ فوارقُ النَّسَبِ واللَّونِ والوَطنِ، فلا يتأخَّرُ أحدٌ أو يتقدَّمُ إلَّا بمروءتِه وتقواه.

ثالثاً: صلةُ الأمةِ بالأجانب عنها، ممن لا يدينون دينها، أخص بالذكر «اليهود» الذين استوطنوا المدينة في ذلك الوقت.

وحديثُنا عن وفاءِ المسلِمِينَ وغدرِ وخيانةِ اليَهودِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: الإسلامُ دين السَّلامِ والأمنِ والأمانِ، يأمرُ بالوَفاءِ وينهى عن الخيانةِ والغَدرِ.



العنصر الثاني: موقفُ اليهودِ من رسولِ اللهِ ﷺ عندَما وَصَلَ إلى الـمدينة.

العنصر الثالث: معاملةُ النَّبيِّ ﷺ لليهودِ في الـمدينة.

العنصر الرابع: اليهودُ أهلُ غدرٍ وخيانةٍ.

العنصر الأول: الإسلام دين السلام والأمن والأمان، يأمر بالوفاء وينهى عن الـخيانة والغدر:

الإسلامُ دينُ السَّلام والأمنِ والأمانِ، قالَ تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال].



وقالَ عبدُالله بن سَلام -وكانَ رجلاً يهودياً شَرَحَ اللهُ صدرَه للإسلام-:

لَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الـمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَـمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُول الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّاب، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وصَلُّوا بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وسأَلَ رجلٌ النبيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٤).

الإسلام دينٌ يأمرُ بالوفاءِ بالعُهودِ، ويُحذِّرُ من الـخيانةِ والغَدرِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، وابن ماجه (١٣٣٤)، [«صحيح الجامع» (٧٧٤٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٤٠).



مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء]، أي: يا معشر المسلمين! إذا عاهدتُم فأوفوا بعَهدِكم. وقالَ تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل]، وقالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام].



وقالَ تعالى مُحذِّراً من نَقضِ العُهود: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

والنَّبيُّ ﷺ يُرَبِّي أمتَه على الوفاءِ بالعُهودِ، ويُحذِّرُهم من خَلفِ الوُعودِ، قالَ ﷺ: «**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**»[1].

وقالَ ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ**»: منها «**وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ**»[2].

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

وفي روايةٍ لمسلم زادَ: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**»[3].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٣٥)، وعبد بن حميد (١١٩٨) والبزار (٧١٩٦)، [«صحيح الجامع» (٧١٧٩)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وصححه ابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٤/ ٣٩٩)، [«صحيح الجامع» (١٠١٨)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).



ولذلكَ ضَرَبَ لنا الرَّسولُ ﷺ والمسلمونَ من بعدِهِ مثَلاً أعلى في الوفاءِ بالعُهودِ، استجابةً لأمرِ اللهِ ولأمرِ رسولهِ ﷺ.

العنصر الثاني: موقف اليهود من رسول الله ﷺ عندما وصل إلى المدينة.

اليهودُ شَعبٌ مُجرمٌ لا يُحِبُّ إلَّا نفسَه، ولا يَعرِفُ إلَّا مصالِحَه؛ يَعيشُ على حسابِ خرابِ بيوتِ الآخرينَ، دائماً يُشعِلونَ نارَ الحربِ بينَ القبائلِ قديماً وبينَ الدُّوَلِ حديثاً.

واليهودُ في المدينةِ همُ الذين كانوا يُشعِلونَ نارَ الحربِ بينَ الأوسِ والخَزرجِ، فلما جاءَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ بالإسلام، عَرَفوا وأيقَنوا أن هذا الدِّينَ الجديدَ يَقضي على مصالِحِهمُ الخبيثةِ، فنَظروا إلى الرَّسولِ ﷺ والإسلامِ نَظرةَ حقدٍ وحَسَدٍ وبُغضٍ، ولكنَّهم لم يَستطيعوا أن يُظهِروا ذلكَ في أولِ الأمرِ.



ويَظهَرُ لنا ذلكَ من قصَّةِ إسلامِ عبدِالله بن سلام، عندَما أرسلَ النَّبيُّ ﷺ إلى اليهودِ فجاءوا فقالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «يا معشرَ اليهود! ويلَكم اتَّقوا اللهَ وأسلِموا، فواللهِ الذي لا إله إلَّا هو لقد علمتُم أنِّي رسولُ اللهِ حقاً، وأني قد جئتُكم بالحقِّ من عندِه»

فقالوا: ما نَعلَمُه -وهذا يَدلُّ على ما في قلوبِهم- علماً أنهم يَعرِفونَ رسولَ اللهِ ﷺ حقّاً كما يَعرِفونَ أبناءَهم.

وعندَما قالَ لهم: «أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟».

قالوا: حاشا للهِ ما كانَ ليُسلِم.

وعندَما قالَ لهم عبدُاللهِ بن سَلام: يا مَعشرَ اليهودِ! اتَّقوا الله فواللهِ الذي لا إله إلَّا هو إنكم لتَعلمونَ أنه رسولُ اللهِ، وأنه جاءَ بالحقِّ، فقالوا له: كَذبتَ (وهذا يُعَبِّرُ عما في قلوبِ اليهود).



ويَظهَرُ لنا ذلكَ أيضاً مما رواه ابنُ إسحاقَ عن أمِّ الـمؤمنِينَ صفيةَ بنت حُيَيٍّ ابن أخطبَ رضي الله عنها أنها قالت: كُنْت أَحَبَّ وَلَدِ أَبِي إِلَيْهِ وَإِلَى عَمّي أَبِي يَاسِر لَمْ أَلْقَهُمَا قَطّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلّا أَخَذَانِي دُونَهُ، قَالَتْ: فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْـمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ مُغَلّسَيْنِ، قَالَتْ فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ، قَالَتْ فَأَتَيَا كَالّيْنِ كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى، قَالَتْ: فَهَشِشْتُ إلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاَللّهِ مَا الْتَفَتَ إلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الْغَمّ، قَالَتْ: وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاَللهِ! قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ؟ قَالَ عَدَاوَتُهُ وَاَللّهِ مَا بَقِيتُ.

وهذا هو الشاهد[1].




هذا هو مَوقِفُ اليهودِ من الرَّسولِ ﷺ عندَما وَصَلَ إلى الـمدينة، حِقدٌ ... بغضاءُ ... حسد عداوةٌ.

العنصر الثالث: معاملة النبي ﷺ لليهود في المدينة.

ولـما استقرَّتِ الأوضاعُ في الـمدينةِ، تطَّلعَ رسولُ الله ﷺ إلى حمايةِ الـمدينةِ من الدّاخلِ -وهذا ما يُقالُ في لغةِ العصرِ تأمينُ الجبهةِ الدّاخليةِ- فسَعى إلى أن يكونَ بينَه وبينَ اليهودِ -وهم على دينِهم- حُسنُ جوارٍ؛ فلا يُؤذيهم ولا يؤذونَه، ولا يَعتدي عليهم ولا يَعتَدونَ عليه، فدعا النَّبيُّ ﷺ إلى معاهدةِ سلم تكفُلُ لهم الحريَّةَ الكاملةَ التّامةَ في دينِهم وأموالِهم، وتَضمَنُ لهم أن يَعيشوا في جوارِ النَّبيِّ ﷺ في سلمٍ وسلامٍ، وأمنٍ وأمانٍ.

وكانَ من مُقتضى هذه الـمعاهدةِ أن يكونَ الـمسلمونَ واليَهودُ يداً واحدةً

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٣٣)

ضدَّ كلِّ من قَصَدَ الـمدينةَ بسوءٍ.

وكانَ في الـمدينةِ من اليهودِ ثلاثُ طوائفَ: بنو قَينُقاع، وبنو النَّضير، وبنو قُرَيظة، فعاهَدَهمُ النَّبيُّ ﷺ جميعاً على الـمُسالمةِ، وعلى النُّصرةِ والمُؤازرةِ ضدَّ كلِّ من يَقصِدُ الـمدينةَ بسوءٍ.

وأخذَ النَّبيُّ ﷺ يَحثُّ الـمسلمِينَ على الوفاءِ، وأداءِ الأمانةِ، وينهاهُم عن الغَدرِ والخيانةِ، ويأمُرهم باحترام هذه الـمعاهدةِ واحترام أهلِـها، ويُحذِّرُهم من الاعتداءِ على أهلِ هذه الـمعاهدةِ في نفسٍ أو مال، فجَعَلَ ﷺ يقولُ: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وجَعَلَ ﷺ يقولُ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[2].

وتأليفاً من النَّبيِّ ﷺ لقلوبِ اليهودِ، وطَمَعاً في إسلامِهم:

تَوجَّه ﷺ في صلاتِه إلى بيتِ الـمَقدسِ بأمرِ الله له.

ورأى اليهودَ يصومونَ يومَ عاشوراءَ؛ فسألهم عن سبب صيامِهم فقالوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**»[3].

وظلَّ ﷺ يوافِقُهم على ما هُم عليه فيما لم يأته فيه وحيٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ تأليفاً لقلوبهم، فعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (٩/ ٢٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٠٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٦٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (١١٣١) واللفظ للبخاري.

«وكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدُلُونَ أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْـمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَسَدَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ»[1].

سَدَلَ رسولُ اللهِ ﷺ ناصيته تأليفاً منه لليَهودِ، وموافقةً لهم حتى يكونَ قريباً منهم، ومعَ ذلكَ لم يستجيبوا له، ثم فَرَقَ بعدَ أن دَخَلَ الوثنيُّونَ في الإسلامِ وأبى اليهودُ إلَّا الكُفرَ.

وكانَ القرآنُ الكريمُ يَنزِلُ على النَّبيِّ ﷺ مُفرِّقاً في العلاقةِ بينَ الـمسلِمينَ واليهودِ، وبينَ الـمسلِمينَ والوثنيِّينَ.



فنَهى اللهُ تعالى رسولَه والمسلِمينَ عن أكلِ طعامِ الوثنيِّينَ وعن الزَّواجِ منهم، قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام]، وقالَ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦) واللفظ له.



مَآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ [الممتحنة].

نهيٌ عن أكلِ ذبائحِ المشركِينَ، ونهيٌ عن الزَّواجِ منهم.

أما اليهودُ والنَّصارى فقد أحلَّ الله تعالى طعامَهم والزَّواجَ منهم.

فقالَ تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

ونزَلَ القرآنُ الكريمُ يدعو اليهودَ والنَّصارى إلى الإيمانِ، ويُرغِّبُهم فيه، ويَنهاهُم عن الكفرِ.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران].

ومعَ ذلكَ كلِّه، فقد أصرَّ اليهودُ على الكفرِ، واستكبَروا استكباراً، ومكروا




للإسلام والمسلمينَ مكراً كُبّاراً، فمِن مَكرِهم وخَديعَتِهم أن يدخلَ في الإسلام نفرٌ منهم أولَ النَّهارِ، ويَجلِسونَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَ المسلمِينَ، ويراهمُ المسلمونَ جميعاً، حتى إذا كادَتِ الشَّمسُ تَغربُ رَجَعَ هؤلاءِ اليهودُ عن إسلامِهم آخرَ النَّهار، وذلك حتى يُقال: إن اليَهودَ أهلُ نبوَّةٍ وأهلُ كتابٍ، وعندَهم علمٌ من السَّماء، فقد دَخَلوا في الإسلام يظنُّونه دينَ الحقِّ، فلما دخلوا فيه تبيَّن لهم أنه ليسَ دينَ الحقِّ، ولذلكَ رَجَعوا عنه، فتكونَ هذه فتنةٌ لضعافِ الإيمانِ، والذينَ لم يَدخُلِ الإيمانُ في قلوبِهم بَعدُ، واللهُ عزَّ وجلَّ الذي خلقَهم يعلمُ طبائِعَهم وخُبثَهم، فأخبرَنا في كتابه عن صنيعِهم. قال: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران].

وحذَّرَ ربُّنا جلَّ وعلا اليَهودَ من هذا الفعل. فقالَ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران].

وقد أخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه عما تَحمِلُه اليهودُ في قلوبِهم نحوَ المسلمِينَ والإسلام، قالَ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[البقرة].

ومن أجلِ ذلكَ حذَّرَ اللهُ عزَّ وجلّ رسولَه ﷺ والمسلمِينَ من أهلِ الكتابِ -اليهودِ والنصارى-.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران].

العنصر الرابع: اليهود أهل غدر وخيانة.



ومعَ ذلكَ كلِّه ظلَّ النَّبيُّ ﷺ وَفيّاً لهم بعَهدِه، مُلتزماً بالميثاقِ الذي أخذَه على نفسه لهم، حتى كانوا هم أولَ من نَقَضَ العَهدَ، فأجلاهُم وأخرجَهُم من المدينةِ، وقَتَلَ فيهم من قتَلَ، وكانَ أولَ من نَقضَ العَهدَ من طوائفِ اليهودِ بنو قَينُقاع، ثم نَقَضَ بنو النَّضيرِ عهدَهم في نفسِ السَّنةِ، ولما جاءَتِ الأحزابُ في السَّنةِ الخامسةِ



نَقَضَ بنو قُرَيظةَ عهدَهم، فلما رَجَعَتِ الأحزابُ أتاهمُ النَّبيُّ ﷺ فقتَلَ مُقاتليهم وسبى ذراريَهم ونساءَهم، وقد أخبرَنا اللهُ في كتابِه أن اليهودَ أهلُ غدرٍ وخيانةٍ ونقضٍ للعُهود.

قالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة].





عن عبدِاللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ يَهُودَ بَنِى النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ الله ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ بَنِى النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْـمُسْلِمِينَ، إِلاَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ يَهُودَ الْـمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِى قَيْنُقَاعَ (وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ) وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ وَكُلَّ

يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ»(١).

فقد ثبتَ بالكتابِ والسُّنَّةِ والتَّاريخِ أن الـمسلمِينَ أهلُ وفاءٍ وأمانةٍ، وأن اليهودَ أهلُ غدرٍ وخيانةٍ.

فنسألُ اللهَ سبحانَه كما أخرجَ اليهودَ من الـمدينةِ؛ أن يُخرِجَهم من أرضِ فلسطينَ، إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦).

٢٩

مشروعية القتال

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن مشروعيَّةِ القتالِ.

وكلامُنا عن مشروعيَّةِ القتالِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ قبلَ مشروعيَّةِ القتال.

العنصر الثاني: مشروعيَّةُ القتال.

العنصر الثالث: السَّرايا والغَزواتُ التي تـحرَّكَت من الـمدينةِ بعدَ الإذنِ بالقتال.



العنصر الأول: رسول الله ﷺ والمسلمون قبل مشروعية القتال:

أرسلَ اللهُ رسولَه إلى النّاسِ جميعاً، وأمره أن يدعوَ إلى الـهدى ودينِ الحقّ، فلَبثَ في مكَّةَ يدعو إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسَنةِ. فقابلَ كفّارُ مكَّةَ هذه الدَّعوةَ بالصَّدِ والاعتداءِ على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى أصحابِه، واللهُ عزَّ وجلَّ يأمرُ رسولَه ﷺ أن يقابلَ هذا الاعتداءَ بالصَّبرِ، والعَفوِ، والصَّفحِ الجميلِ.

قالَ تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور]، وقالَ تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر]، وقالَ تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية].



رسولُ اللهِ ﷺ في مكَّةَ يدعو النّاسَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وكفّارُ قُريشٍ يُقابلونَ ذلك بالاعتداءاتِ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه.

ولم يأذَنِ اللهُ لرسولِه ﷺ بأن يُقابِلَ السَّيئةَ بالسَّيئةِ، أو يُواجِهَ الأذى بالأذى، أو يُحارِبَ الذين حاربوا الدَّعوةَ، أو يُقاتِلَ الذين فَتَنوا المؤمنينَ والمؤمناتِ، ولكن قالَ له: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون].

وذلكَ يا عبادَ اللهِ! حتى لا يَصطَدِمَ المسلمونَ معَ الكفّارِ في بدايةِ الدَّعوةِ، فيُؤَثِّرَ ذلكَ على دعوةِ الإسلامِ.

النَّبيُّ ﷺ في مكَّةَ يُرَبِّي أصحابَه على العفوِ والصَّبرِ والصَّفحِ، وينهاهم عن قتالِ الكفّارِ قبلَ مشروعيَّةِ القتالِ.

ومن الأمثلة على ذلك:



كانَ النَّبيُّ ﷺ يَمُرُّ على أصحابِه وهم يُعَذَّبونَ فيقولُ لهم: «**صبراً آل ياسر فإنَّ موعِدَكُم الجنة**»(١).

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، -يريدون بذلك أن يأذن لهم النبي ﷺ أن يقاتلوا الكفار- فقال: «إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تُقَاتِلُوا..»(٢).

وعن خبّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ ﷺ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ**

(١) **حسن صحيح**: رواه الحارث بن أبي أسامة (١٠١٦- بغية)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٠)، وابن عساكر (٤٣/ ٣٦٩)، [«فقه السيرة» (ص١٠٧)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٨٦)، [«صحيح النسائي» (٢٨٩١)].



وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

تربيةٌ في بادئِ الأمرِ على الصَّفحِ والعَفوِ والصَّبرِ الجميلِ.

العنصر الثاني: مشروعية القتال.

كفّارُ مكَّةَ يتفنَّنونَ في أساليبِ الاعتداءِ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه؛ ليَصُدُّوهم عن دينِهم، والنَّبيُّ ﷺ وأصحابُه يُقابلونَ ذلكَ بالعَفوِ والصَّفحِ الجميلِ، ولما وَصَلَ الاعتداءُ قمَّتَه بتدبيرِ مؤامرةٍ لاغتيالِ النَّبيِّ ﷺ، اضطرَّ الرَّسولُ ﷺ وأصحابُه أن يُهاجروا من مكَّةَ إلى المدينةِ. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال].



عندَما وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ مُهاجراً من مكَّةَ بدأ أولاً ببناءِ المسجدِ، ثم آخى بينَ المهاجرينَ والأنصارِ، ثم عَقَدَ معاهدةً معَ اليهودِ -الذين يَسكنونَ معَه في المدينةِ- تقتَضي أن يكونَ المسلمونَ واليهودُ يداً واحدةً ضدَّ كلِّ من قَصَدَ المدينةَ بسوءٍ -وهذا ما يُسَمّى في لغةِ العَصرِ تأمينَ الجبهةِ الدّاخليّةِ- ليتفرَّغوا للتَّصدِّي لأيِّ عُدوانٍ يأتي من الخارجِ على المدينةِ.

وَلما استقرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالمدينةِ، وألَّفَ اللهُ بينَ قلوبِ المسلمينَ، وقامَت للمسلمينَ دولةٌ في المدينةِ؛ ساءَ ذلكَ قريشاً وأحزَنَهم، فأخذوا يُهدِّدونَ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه.

ومن الأمثلة على ذلك:

انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا فَنزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ! مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمْ الصُّبَاةَ (أي أصحاب النبي ﷺ)، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ: طَرِيقَكَ عَلَى الْـمَدِينَةِ»[1].

وهذا هو الشّاهدُ، التّهديدُ من كفّارِ مكّةَ لمن جاءَ إلى الـمدينةِ.

أمرٌ ثانٍ يَشهَدُ بالتّهديدِ من كفّارِ مكّةَ للنّبيِّ ﷺ وأصحابه.




عن عبدِالرحمنِ بن كعب بن مالك عن رجلٍ من أصحابِ النّبيِّ ﷺ: «أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الأَوْثَانَ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا، حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ. فَلَـمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَـمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: «**قَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْـمَبَالِغَ مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ، فَلَـمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا**»[2].

ولـما أرسلَ كفّارُ مكّةَ كتابَ التّهديدِ إلى ابنِ سلولٍ وافقَ ذلك هوىً في نفسه، إذ كانَ أهلُ الـمدينةِ قبلَ هجرةِ النّبيِّ ﷺ يُرَصِّعونَ التّاجَ لابن أُبيٍّ ليُتَوِّجوه مَلِكاً عليهم، فلـما وَصَلَ رسولُ الله ﷺ الـمدينةَ انصَرفَ النّاسُ كلُّهم إليه، وأعرَضوا عن ابنِ سَلولٍ، فكان ابنُ سلولٍ يَعتقِدُ أن النّبيَّ ﷺ سَلَبه الـمُلكَ، فما هو أن أتاهُ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٠٤)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٥٩٥)].

هذا الكِتابُ من كفّارِ قُريشٍ حتى بادرَ إلى تـجميع النّاسِ، وتَـحريضِهم على قتالِ النَّبيِّ ﷺ، فاجتـمَعَ هو ومن كانَ يَعبدُ معَه الأوثانَ من الأوسِ والخزرج لقتالِ النَّبيِّ ﷺ، فلـما وَصَلَ الـخبرُ إلى النَّبيِّ ﷺ خَرَجَ إليهم، وذكَّرَهُم ونَصَحَهُم، فلـما سَمِعُوا كلامَ النَّبيِّ ﷺ، كفُّوا أيديَهم، وألقَوا سلاحَهم، ورجَعوا عما عَزَموا عليه.

واستـمَرَّ كفّارُ مكَّةَ في تهديدِ الـمسلمِينَ، فأرسَلوا كتاباً آخرَ إلى الـمسلمِينَ في الـمدينةِ يُهدِّدونَهم بالهجومِ عليهم في أيِّ لحظةٍ من ليلٍ أو نهارٍ للقَضاءِ عليهِم.

وعَلِمَ النَّبيُّ ﷺ أن هذا التَّهديدَ ليسَ مُجردَ تهديدٍ، وأن قريشاً قد تُهاجِمُهُم بالفِعلِ في الـمدينةِ في أيَّةِ ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، مما جَعَلَ النَّبيَّ ﷺ يَسهرُ باللَّيلِ ولا ينامُ.

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «سَهِرَ رَسُولُ الله ﷺ مَقْدَمَهُ الْـمَدِينَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِى يَحْرُسُنِى اللَّيْلَةَ.



قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلاَحٍ -أي: صوت سلاح- فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟



قَالَ :سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ.

فقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ

قَالَ وَقَعَ فِى نَفْسِى خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ نَامَ»(١).

واستـمرَّ هذا السَّهَرُ من النَّبيِّ ﷺ، واستـمَرَّتِ الصَّحابةُ في حراسته ليلاً، حتى نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي الله**»(٢).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٤٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٨٩)].

ولم يكُن هذا السَّهرُ خاصّاً به ﷺ وحدَه، بل كانَ أصحابُه جميعاً لا يَبيتونَ إلّا بالسِّلاحِ، ولا يُصبِحونَ إلّا فيه، حتى شَقَّ عليهم ذلك، وكانوا لا يَظنُّونَ أن يأتيَ عليهِم يومٌ يَضَعونَ فيه السِّلاحَ، ويأمنونَ فيه على أنفُسِهم وأموالِهم وأعراضِهم.

عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قالَ: لـمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه الـمدينةَ وآوتْهُمُ الأنصارُ، ورَمتهُمُ العَربُ عن قوسٍ واحدةٍ -أي اتَّفق الكفَّارُ جميعاً على النَّبيِّ ﷺ وعلى أصحابِه- كانوا لا يَبيتونَ إلّا بالسِّلاحِ، ولا يُصبِحونَ إلّا فيه، فقالَ بعضُهُم لبعضٍ وهُم كذلكَ: تَظنُّونَ أن يأتيَ علينا يومٌ نأمنُ على أنفسِنا، ونَضَعُ السِّلاحَ ولا نخافُ إلّا اللهَ عزَّ وجلَّ، من شدَّةِ البلاءِ. فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلّ قولَه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾[1].



وفي هذه الظُّروفِ الـخطيرةِ التي كانَت تُهدِّدُ كِيانَ الـمسلمينَ بالمدينةِ، والتي كانت تُنبئُ عن أنَّ قريشاً لا يَرجعونَ عن غيِّهم، ولا يَمتنعونَ عن تـمرُّدِهم بحالٍ؛ أَذِنَ اللهُ للمسلمينَ بالقتال.

قالَ تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج].

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٢٩)، والحاكم (٢/ ٣٠١)، [صححه الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح الـمسند من أسباب النزول للوادعي» (ص ١٠٨)].

وشَرَعَ اللهُ القتالَ للمسلمِينَ على مراحَلَ:

المرحلة الأولى: الإذنُ بالقتالِ دفاعاً عن النَّفسِ.

قالَ تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج].

المرحلة الثانية: أمرَ اللهُ الـمسلمِينَ بالقتالِ دفاعاً عن النَّفسِ والعَقيدةِ.

قالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

المرحلة الثالثة: أمرَ اللهُ الـمسلمِينَ بقتالِ الـمشركينَ، وابتدائِهم به، وذلكَ للتَّمكُّنِ للعقيدةِ الإسلاميَّةِ من الانتشارِ دونَ أيَّةِ عَقَباتٍ تَضعُها قُوى الشِّركِ، ولتُصبحَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى، وبذلكَ لا يَقوى أحدٌ على فِتنةِ الـمؤمنِينَ، وصَرْفِهم عن دينِهم حيثُما كانوا، ويَظهَرُ ذلكَ من:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٣٩﴾ [الأنفال]، وقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة]، وقولهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]، وقولهِ تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ




﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة].

وهذا القتالُ الذي شَرَعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ للمسلمينَ، وأمرَهُم به، هو الجهادُ في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وهو يَختلِفُ عن الحروبِ الأُخرى التي تَقومُ بها الشُّعوبُ والدُّوَلُ.

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء].

وكانَ ﷺ إذا أرسلَ جيشاً قالَ لهم: «اغزُوا باسم اللهِ، في سبيلِ اللهِ، قاتِلوا مَن كَفَرَ باللهِ، اغزُوا ولا تَغُلُّوا، ولا تَغدُروا، ولا تُـمثِّلوا، ولا تَقتُلوا وَليداً»[1].

العنصر الثالث: السرايا والغزوات التي تحركت من المدينة بعد الإذن بالقتال.

لـما أَذِنَ اللهُ تعالى لرسولِه ﷺ في الدِّفاعِ عن نفسِه، وعن أصحابِه، أَخَذَ ﷺ يَبعثُ سراياهُ إلى الجهاتِ الـمختلفةِ لمقاصدَ عاليةٍ وحِكَمٍ غاليةٍ منها:

أولاً: إشعارُ قُريشٍ بأن الـمسلمينَ لم يُهاجِروا فِراراً، ولم يَخرُجوا هَرَباً، وإنما هاجروا ليُعِدّوا أنفسَهم لمُقاومةِ الطُّغيانِ، وردِّ الظُّلمِ والعُدوانِ، ولتَعلَمَ قُريشٌ أن الـمُسلمينَ أصبحوا أقوياءَ.

ثانياً: السَّيطرةُ على بعضِ أموالِ قُريشٍ ليكونَ في ذلكَ إضعافٌ لقُريشٍ عن حربِ الـمسلمينَ، وتَقويةٌ للمسلمينَ أنفسِهم، حتى يُنفِقوا هذه الأموالَ في سبيلِ الدَّعوةِ إلى اللهِ، بدلاً من إنفاقِ قُريشٍ تلكَ الأموالَ في الصَّدِّ عن سبيلِ اللهِ. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال].

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣١).

ثالثاً: إعلامُ الكفّارِ من يهودِ الـمدينةِ ومن حولَـها أن الـمسلمِينَ قادرونَ على دحرِ أيِّ عُدوانٍ، وردِّ أي طُغيانٍ على الـمدينةِ، سواءٌ كانَ من العدوِّ الداخلي -يعني اليهودَ- أو من العدوِّ الـخارجيِّ -يعني كفّارَ قُريشٍ-.

رابعاً: استطلاعُ الأحوالِ واستكشافُ الآراءِ، والإحاطةُ بالمواقعِ، ومعرفةُ ميولِ النّاسِ حولَ الـمدينةِ هل هي معَ الـمسلمِينَ أو عليهِم.

خامساً: الدعوةُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ونَشرُ دينِ اللهِ تباركَ وتعالى، ولذلك لم يَحصُل قتالٌ في أيِّ سريَّةٍ بَعَثَها النَّبيُّ ﷺ إلَّا بعدَ عنادِ الكفّارِ، وإصرارِهم على القتالِ، فكان الـمسلمونَ يُضطَّرُّونَ إلى مُنازلةِ الكافِرينَ لإصرارِهم على الـمُنازلةِ.

ففي رمضانَ من السَّنةِ الأولى التَقى «حمزةُ بنُ عبدِالمطلبِ» في ثلاثينَ من الـمسلمِين بأبي جهلٍ يَقودُ قافلةً لقُريشٍ، ومعَه ثلاثُ مئةِ راكبٍ، وقد حَجَزَ بينَهما مجدي بن عمرو الجهني فلم يقع قتال.



وفي شوالَ من السَّنةِ نَفسِها، سارَ عبيدةُ بن الحارثِ في ستِّينَ راكباً إلى وادي رابغ، فالتقى بمئتَي مشركٍ على رأسِهم أبو سفيانَ، وقد ترامى الفَريقانِ بالنَّبلِ، ولم يَقَعْ قتالٌ.

وفي ذي القَعدةِ خَرَجَ «سعدُ بن أبي وقّاصٍ» في نحوِ عشرينَ رجلاً يَعترِضُ عيراً لقُريشٍ ففاتَته.

وفي صفرَ من السَّنةِ الثّانيةِ خَرَجَ الرَّسولُ ﷺ بنفسِه بعدَ أن استـخلفَ سعدَ ابنَ عبادةَ على الـمدينةِ، وسارَ حتى بلغ ودّانَ يريدُ قريشاً وبني ضَمرةَ، فلم يَلقَ قريشاً وعقَدَ حِلفاً معَ بني ضَمرة.

وفي ربيعٍ الأولِ من السَّنةِ نفسِها خَرَجَ الرَّسولُ ﷺ على رأسِ مئتَين من



الـمُهاجرينَ والأنصارِ إلى «بَواطٍ» مُعترِضاً عِيراً لقُريشٍ يَقودُها أميَّةُ بن خَلَفٍ ومعَه مئةٌ من الـمشركين ففاتته.

ثم أغارَ كرزُ بن جابرِ الفِهريُّ على الـمدينةِ واستاقَ سرحَها، فخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ في طلبِه، حتى بَلَغَ وادي سنوانِ قريباً من «بدرٍ» فلم يُدرِكْه، وتُسَمّى هذه «غزوةُ بدرٍ الأولى».

بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ سريَّةً، وأمَّرَ عليها عبدَالله بن جَحشٍ الأسديَّ، وكانَ ذلكَ في شهرِ رجَبٍ، وكتبَ النَّبيُّ ﷺ لعبدِ اللهِ بن جَحشٍ كتاباً وأمرَه أن لا ينظُرَ فيه حتى يَسيرَ يومَينِ، فَخَرَجَ عبدُالله بن جَحشٍ في اثنَي عَشرَ رجلاً من الـمهاجِرين، فلـما سارَ يومَينِ فتـح الكتابَ ونَظَرَ فيهِ، وإذا رسولُ الله ﷺ يأمرُه أن يسيرَ حتى يَنزِلَ في نَخلةٍ -مكانٍ بينَ مكَّةَ والطّائف- فيَرصُدَ فيها قُريشاً، ويتعرَّفَ على أحوالِـها، وأمرَه النَّبيُّ ﷺ أن لا يَستكرِهَ أحداً من أصحابِه على السَّيرِ معَه، فلـما قَرأ عبدُالله كتابَ النَّبيِّ ﷺ قال: سَمعاً وطاعةً لرسولِ الله ﷺ، وأخبرَ أصحابه أنه قد أَمَرَ أن لا يَستكرِهَ أحداً منهم فمَن أحبَّ الشَّهادةَ فليَسِر، ومن كَرِهَ الـموتَ فليَرجِع.




فمضوا كلُّهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعتبةُ بن غزوانَ بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتـخلفا في طلبه، ومضى عبدالله بن جحش في عشرة من الـمهاجرين، حتى نزلوا بنخلة، فمرت لهم عير قريش قادمة من الشام على رأسها عمرو بن الحضرمي ومعه ثلاثة نفر من كفار قريش، فلـما رأوا العير تشاوروا ماذا يفعلون؟

إننا في آخرِ يوم من رجبٍ، فإن قاتَلناهُم قاتَلناهُم في الشَّهرِ الحرام، وإن تَركناهُم اللَّيلَةَ دخَلواً الـمسجدَ الحرامَ، فرأَوا أن يُقاتِلوهم حتى لا يُفلِتوا منهُم، فرَمى أحدُهم عمرَو بنَ الحضرميِّ فقتلَه، ثم أسَروا رجلَينِ وأفلَتَ الرّابعُ، فرَجَعوا

إلى النَّبيِّ ﷺ بالعيرِ والأسيرِ، فأنكرَ عليهمُ النَّبيُّ ﷺ تصرُّفَهم ولم يُقِرَّهم عليه، وانتهزَت قُريشٌ الفُرصةَ للتَّشنيع على المسلمِينَ والتَّشهيرِ بهم، وذمِّهِم وعَيبهم على قتالِهم في الشَّهرِ الحرامِ وقالوا: انظُروا إلى محمَّدٍ ﷺ وأصحابه، يَزعمونَ أنهم يُعَظِّمونَ الأشهُرَ الحُرمَ وقد قاتلوا في الشَّهرِ الحرام، واشتدَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فعَفى اللهُ عنهم، ورَفَعَ الحرج عنهم، وأنزلَ قولَه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

فأقرَّ اللهُ تباركَ وتعالى الكفَّارَ على عَيبهم على المسلمِينَ قتالَهم في الشَّهرِ الحرام، وقالَ: إن القتالَ في الشَّهرِ الحرام كبيرٌ، ولكنْ أكبرُ منه وأعظمُ جرماً ما أنتُم عليه مَعشَرَ المُشركينَ من الكفرِ باللهِ، والصَّدِّ عن سبيلِه وعن المسجدِ الحرام، وما أنتُم عليه من الشِّركِ، وإخراجِ المسلمِينَ أولياءَ اللهِ من بيتِ اللهِ الحرامِ، هذا الذي أنتُم عليه أكبرُ عندَ اللهِ من انتهاكِ المسلمِينَ للشَّهرِ الحرامِ، فأنتم تَستحِقُّونَ القدحَ والذَّمَّ والعَيبَ والمَقتَ والعُقوبةَ.

أما المهاجرونَ؛ فإنهم وإن انتهكُوا حُرمَةَ الشَّهرِ الحرام فإنَّما انتهكُوها بنوعِ تأويلٍ أو تقصيرٍ حَصَلَ، واللهُ يَعفو عنهُم لأنهم أهلُ الإيمانِ وأهلُ توحيده وعبادته، همُ الذين هاجَروا معَ رسولِه، ونَصَروا دينه، وتَركوا ديارَهم وأموالَهم ابتغاءَ مرضاتِه، فلا حَرَجَ عليهِم فيما كانَ منهُم من القتالِ في الشَّهرِ الحرامِ[1].

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعزَّ المسلمِينَ.

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٧٠).

٣٠

الأهداف السامية والحكم العالية
التي من أجلها شُرِعَ القتالُ في سبيل الله

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ خاتم الأنبياءِ والمُرسلينَ عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التَّسليم، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الأهدافِ السّاميةِ، والحِكَمِ العاليةِ التي من أجلِها شُرِعَ القتالُ في سبيلِ الله.

تكلَّمنا في الجُمعةِ الماضيةِ عن مَشروعيَّة القتالِ، وتبيَّنَ لنا أنه لما استقرَّ النَّبيُّ ﷺ بالمدينةِ؛ وأيَّدَه اللهُ بنَصره، ورَمتهُمُ العربُ واليهودُ عن قوسٍ واحدةٍ، وشمَّروا لهم عن ساقِ العداوةِ والمُحاربةِ، واللهُ عزَّ وجلَّ يأمرُهم بالصَّبرِ والعَفوِ، حتى قَويَت شوكتُهم فأُذِنَ لهم حينَئذٍ في القتالِ، ولم يَفرضهُ عليهم.

قالَ تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[الحج].

ثم فُرِضَ عليهم القِتالُ بعدَ ذلكَ لمن قاتلَهُم دونَ من لم يُقاتِلهم، فقالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

وبعدَ ذلكَ فُرِضَ عليهم قتالُ المشركينَ كافَّةً. قالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ﴾[التوبة:٣٦].

وكثيرٌ من النّاسِ بسببِ الجهلِ بالدِّينِ الإسلاميِّ، يَفهمونَ القتالَ في سبيلِ اللهِ فَهماً خاطئاً:



فمنهم من يظنُّ أن القتالَ في سبيلِ اللهِ؛ هو عبارةٌ عن الـخُطَبِ الرَّنّانةِ الحماسيَّةِ التي تُثيرُ النّاسَ على وُلاةِ أمورِهم، وهذا خطأٌ وجهلٌ كبيرٌ.

ومنهم مَن يَظنُّ أن القتالَ في سبيلِ اللهِ؛ هو عرضٌ للعَضَلاتِ على رجالِ الأمنِ في البلدِ التي يَعيشونَ فيها، وهذا خطأٌ كبيرٌ.

ومنهم من يظن أنَّ القتالَ في سبيلِ الله؛ هو عبارةٌ عن التَّـخريبِ والتفجير والاعتداءِ على الـمنشآتِ في البلدِ الذي يَعيشونَ فيه.

ومنهم من يَظنُّ أن القتالَ في سبيلِ اللهِ؛ هو عبارةٌ عن اغتيالِ الشَّخصياتِ البارزةِ في الـمجتـمعِ الذي يَعيشونَ فيه.

ومنهم من يظن أن القتالَ في سبيلِ الله؛ هو عبارةٌ عن الحصولِ على شَرَفِ البطولةِ، ليَكتبوا عنه بعدَ موتِهِ في الجرائدِ والكُتبِ «الشَّهيدُ البطلُ»، وهذا مفهومٌ خاطئٌ للقِتالِ في سبيلِ اللهِ.




فقد جاءت الأدلةُ من الكتابِ والسُنّةِ تبينُ لنا الأهدافَ الساميةَ. والحِكمَ العاليةَ التي مِنْ أجلها شُرع القتالُ في سبيلِ الله.

الهدف الأول: لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى، ليُعبَدَ اللهُ وحدَه في الأرضِ.

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾[النساء]، وقالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

أي مِن أجلِ هذا الـهدفِ؛ انفروا خِفافاً وثِقالاً، وجاهِدوا بأموالِكُم وأنفُسِكُم في سبيلِ اللهِ.

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**»(١).

وكانَ ﷺ إذا أرسل جيشاً قال لهم: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ**»(٢).




فالهدفُ الأولُ للقِتالِ في سبيلِ اللهِ هو أن تكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى، أما من قاتلَ حَميَّةً. أو وطنيَّةً، أو شَجاعةً، أو رياءً، أو سُمعةً، أو غيرَ ذلكَ؛ فله ما نَوى، ولا أجرَ له عندَ اللهِ، قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى**»(٤).

وجاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**».

فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**».

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٤) **حسن لغيره**: رواه النسائي (٦/ ٢٤)، و أحمد (٥/ ٣١٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٤)].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

وأخبر ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ**»(٢).

الهدف الثاني: ردُّ اعتداءِ الـمُعتدِينَ الذين يَعتدونَ على بلادِ الـمسلمِينَ، وأموالِ الـمسلمِينَ وأعراضِ الـمسلمِينَ، قالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ [البقرة]، قالَ تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة].

الهدف الثالث: هو: إرهابُ الكافرينَ وإذلالُـهم حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون. قالَ تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة].

---

(١) **حسن**: رواه النسائي (٦/ ٢٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣١)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٥).




الهدف الرابع: عذاب الكافرين وشفاء صدور المؤمنين ونصرهم. قالَ تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة].

الهدف الخامس: الامتحانُ والابتلاءُ والتَّمحيصُ لأهلِ الإيمانِ؛ لكي يَتحصَّلوا على الشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ، فاللهُ سبحانَه وتعالى قادرٌ أن يَنتصرَ من الكفّارِ، وقادرٌ أن يهلكَهُم ويدمِّرَهم، ولكن شُرِعَ القتالُ في سبيلِ اللهِ لتَمحيصِ المؤمِنينَ، وليتحصَّلوا على الشهادةِ في سبيلِ الله.

قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

وللقتالِ في سبيلِ اللهِ آدابٌ قبلَ القتالِ، وأثناءَ القتالِ، وبعدَ انتهاءِ القتالِ.



ومن آدابِ القتالِ في الإسلام قبل القتال: الدعوةُ، وهي دعوةُ الكافرين إلى إحدى خصال ثلاث:

أولاها: الإسلامُ، فإذا دخَلوا في الإسلام فقد عَصَموا دماءَهم وأموالَهم، وصاروا للمسلِمينَ إخواناً، لَهُم ما لَهُم، وعلَيهِم ما عليهِم، وتلكَ هي الغايةُ العُظمى من القتالِ والجهادِ في الإسلام، وليسَ ذلكَ عن إكراهٍ، بل عن اقتناعٍ كاملٍ لقولهِ تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ [البقرة:٢٦٥].



ثانيها: الجزية لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[التوبة]، فإن أعطوها قُبِلَت منهم، وحُقِنَت بها دماؤُهم، وعُصِمَت أموالُهم، وإن رفضُوا الإسلامَ والجزيةَ فقد أصرُّوا على القتالِ فتعيَّنَ على المسلمينَ قتالُهم.

ولذلك قال ﷺ: «**فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ**»(١).

ومن آداب القتال في الإسلام أثناء القتال:

أولاً: إحسانُ القَتلِ لقولهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**»(٢).

ثانياً: اتِّقاءُ الوَجهِ لقوله ﷺ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ**»(٣).

ثالثاً: أن لا يَقتُلوا النِّساءَ والصِّبيانَ، فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: «**وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رسول الله ﷺ فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ**»(٤). أما إذا رَكِبَتِ المرأةُ الطّائرةَ، وحاربَتِ المسلمينَ، أو الدَّبابة وقَتَلَتِ المسلمينَ، فتُقتَلُ لأنها شارَكَت في المَعركةِ.

رابعاً: أن لا يحرقوا بالنّار، فعَن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ وَقَالَ لَنَا: إِنْ لَقِيتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ» ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ فَقَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٥٤).



ومن آداب القتال في الإسلام بعد انتهاء القتال:

أولاً: النهيُ عن الـمُثلةِ لقولِه ﷺ: «**وَلاَ تَمْثِّلُوا**»(١).

فلا يجوزُ أن يُمثِّلَ الـمسلمونَ بقَتلى الـمشركِينَ، بقطعِ أنفٍ أو أُذْنٍ أو يدٍ أو رجلٍ وغيرِ ذلك.

ثانياً: الأمرُ بدَفنِ قَتلى الـمشركِينَ، فقد كانَ ﷺ بعدَ الانتهاءِ من الـمعركةِ يأمرُ بدَفنِ قَتلى الكفّار.

ثالثاً: الأمرُ بالإحسانِ إلى الأسرى، ففي غَزوةِ بدرٍ أمكَنَ اللهُ رسولَه من الـمشركِينَ، فقَتَلَ منهم سبعِين وأسَرَ سبعينَ، فلـما رَجَعَ ﷺ إلى الـمدينةِ فرَّقَ الأسرى بينَ الصَّحابةِ، ووصّاهم بهم خَيراً، فكانوا يُطعِمونَهم ويَسقونَهم، فضَربوا بذلكَ مثَلاً أعلى في حُسنِ مُعاملةِ الأسرى، حتى مدحَهُم اللهُ في كتابهِ. فقالَ تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

رابعاً: النَّهيُ عن الغُلولِ؛ وهو الأخذُ من الغنائم قبلَ قِسمتِها، فقد أقبلَ نَفرٌ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ يومَ خيبرَ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهيدٌ فُلاَنٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا فُلاَنٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَلاَّ إِنِّى رَأَيْتُهُ فِى النَّارِ فِى بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**»(٢).

خامساً: النَّهيُ عن الغَدرِ، فإذا انتهَتِ الحربُ بصُلحٍ عامٍّ أو مُعاهدةٍ، أو أجارَ أحدٌ من الـمسلمِينَ مُحارِباً، أو أعطاهُ أماناً وَجَبَ الوفاءُ بالعَهدِ والأمانِ، وحَرّمَ الغَدرَ والخِيانة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١١٤).

قالَ ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**[١].

فانظروا عبادَ الله! وانظُروا يا أعداءَ الإسلامِ في كلِّ مكانٍ إلى الإسلامِ؛ دينٌ له هَدفٌ في القِتالِ في سبيلِ اللهِ، دينٌ يؤدِّبُ المسلِمينَ قبلَ القتالِ، وأثناءَ القتالِ، وبعدَ القتالِ، فواللهِ الذي لا إله غيرُه ولا ربَّ سواه لا خيرَ للبَشريَّةِ إلَّا أن يَدينوا للهِ بهذا الدِّين.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]

اللهمَّ رُدَّ المسلمين إلى دينِكَ رداً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٦٦).



٣١

الترغيب في القتال والجهاد في سبيل الله

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن: التَّرغيبِ في القتالِ والجهادِ في سبيلِ الله.

في الجُمعةِ الماضيةِ تكلَّمنا عن الأهدافِ السّاميةِ التي من أَجلِها شُرِعَ القتالُ في سبيلِ الله.

وتبيَّنَ لنا أن الإسلامَ فَرَضَ القتالَ على المسلمِينَ؛ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى دائماً.



وتبيَّنَ لنا أيضاً؛ أن الإسلامَ أدَّبَ المجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ بآدابٍ قبلَ المعركةِ وأثناءَ المعركةِ، وبعدَ الانتهاءِ من المعركةِ.

ولما كانَ القتالُ فيه مشَقَّةٌ على النُّفوسِ البشريَّة، جاءَتِ الأدلةُ الشَّرعيةُ من الكتابِ والسُّنَّةِ تُرغِّبُ وتَحُثُّ وتُحرِّضُ على القتالِ والجهادِ في سبيلِ الله.

ففي كتابِ ربِّنا:

قالَ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ



ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة]، وقالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].



وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف].

وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة]، وقالَ تعالى: ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة]، وقالَ تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء].



وقد جاءتِ الأحاديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ تُرَغِّبُ في القتالِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ.

سُئل ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟

قال ﷺ: «**إيمان بالله ورسوله**».

قيل: ثم ماذا؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

قيل: ثم ماذا؟

قال: «**حجٌ مبرور**»(١).

وسئل ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟

قال ﷺ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِه وَمَالِه فِي سَبِيلِ الله**»(٢).

وسئل ﷺ: أَيُّ الْـمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا؟

قالَ ﷺ: «**رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ قَدْ كُفِيَ النَّاسُ شَرَّهُ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ؟**

اغْزُو في سَبيلِ الله مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فَوَاقَ نَاقَةٍ» -أي قدرَ ما تُحلَبُ النّاقة- «**وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»(٤).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(٥).

وقالَ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٨٦) و مسلم (١٨٨٨).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٣١)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (١٦٥٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٠١)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٩٠).



الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِـمَا يَرَى مِنْ الْكَرَامَةِ».

وفي روايةٍ: «**لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**»(٢).

وجاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ **فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: لَا أَجِدُهُ»**.

قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْـمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ ؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!(٣)

وقالَ ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٤).




الإسلامُ هو دينُ اللهِ في الأرضِ إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، ويومَ القيامةِ لا يَقبلُ اللهُ ديناً غيرَه.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

والإسلامُ عندَما أذِنَ للمسلِمينَ بالقتالِ وفَرضَه عليهم؛ بيَّنَ لهمُ الأهدافَ السّاميةَ التي يُحارِبونَ من أجلِـها.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨) واللفظ للبخاري.

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٦٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣١٣)].

وأدَّبَ الإسلامُ الـمجاهدِينَ في سبيلِ اللهِ بآدابٍ إسلاميَّةٍ قبلَ الـمعركةِ، وأثناءَ الـمعركةِ، وبعدَ الانتهاءِ من الـمعركةِ، ثم رغّبَ الإسلامُ في الجهادِ في سبيلِ الله.

ومعَ ذلكَ لا يَحرِصُ الإسلامُ والمسلمونَ على الحربِ، وإشعالِ الحرب، ولكن إذا فَرَضَت الحربُ نفسَها على الـمسلمِينَ صبَروا، وحارَبوا من أجلِ إعلاءِ كلمةِ لا إله إلَّا اللهُ.

يقولُ ﷺ لأصحابه: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»(١).

فالإسلامُ هو دينُ السَّلام؛ ولذلكَ سمّى اللهُ الإسلامَ سِلماً.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة].




والجنةُ دار السَّلام جَعَلَ اللهُ من أسبابِ دخولِـها إفشاءَ السَّلام.

قالَ ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

وأولُ شيءٍ صَدَعَ به النَّبيُّ ﷺ عندما قَدِمَ إلى الـمدينةِ قال:

«**أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(٣).

والكفارُ إذا كفُّوا أيديهم عن الـمسلمِينَ، ولم يَصُدُّوا عن سبيلِ اللهِ، وتَركوا الـمسلمِينَ يتحرَّكونَ في الأرضِ بدينِ اللهِ، يَدعونَ عبادَ اللهِ إلى اللهِ، فالإسلامُ لا

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، و ابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

يأمرُ بقتالِهم أبداً.

قالَ تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال].

وكانَ ﷺ إذا بَعَثَ جَيشاً في سبيلِ اللهِ أعلمَهم، وأدَّبَهم، وأمرَهم أن يَدعوا النَّاسَ أولاً إلى الإسلام، فإذا أجابوهم إلى الإسلامِ فلَهم ما للمسلمِينَ، وعليهم ما على المسلمِينَ، ولا قتالَ ولا إكراهَ في الدِّينِ، فإن رَفَضوا الإسلامَ فيَدفعوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرونَ، فإن رَفضُوا الإسلامَ والجزيةَ يأتي الإسلامُ هنا -بعد أن فَرَضَ الكفَّارُ على أنفسِهمُ القتالَ- فيُقاتلُهم الإسلامُ؛ لأنهم لولا أنهم هم يُريدونَ القتالَ لدَخلوا في الإسلامِ أو لدَفعوا الجزيةَ، حتى يفهَمَ الجميعُ أن الإسلامَ هو دينُ السَّلامِ، وهو دينُ الرَّحمةِ، ولا يُشْعِلُ ناراً للحَربِ أبداً في أيِّ مكانٍ.



ولقَد أخبرَنا ربُّنا جلَّ وعلا في كتابهِ؛ أن اليهودَ يُشعِلونَ نارَ الحربِ هنا وهناكَ، وها هو التّاريخُ يَشهَدُ بذلكَ، ما من حربٍ قامَت على وجهِ الأرضِ إلَّا وراءَها اليهودُ؛ لأنهم يَعيشونَ ويَترعرَعونَ على الحروبِ.

فإذا فُرضَتْ الحربُ على المسلمِينَ يأتي الإسلامُ، ويقولُ للمسلمِينَ كما قالَ ﷺ: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»(١).

ففي الوقتِ الذي أمرَ الإسلامُ ورغَّبَ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ، بيَّنَ أن الإسلامَ هو دينُ الرَّحمةِ والسِّلمِ والسَّلامِ والأمانِ.

قالَ تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢).



﴿أَعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة].

عبادَ الله! ولكن إذا اعتدى الكفّارُ على المسلمِينَ وعلى بلادِ المسلمِينَ، وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ، عندَها أمرَ الإسلامُ المسلمِينَ أن يُقاتِلوا الكفّارَ، ويَصبِروا على ذلكَ، وبيَّنَ الإسلامُ للمسلمِينَ أنهم في قتالِهم للكُفّارِ فإنها إما النَّصرُ وإما الشَّهادة.

قالَ تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾ [التوبة].



ولذلك أمرَ الإسلامُ المسلمِينَ بالصَّبرِ والثَّباتِ عندَ لقاءِ العدوِّ.

فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾ [الأنفال].

وقالَ ﷺ: «**فإذا لَقِيتُموهُمْ فاصْبِرُوا**».

ثم جاءَ الإسلامُ يَحُثُّ المسلمِينَ ويُرَغِّبُهم في قتالِ الكفّارِ الذين حاربوا المسلمِينَ، وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ.. اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعزَّ المسلمِينَ.





غزوة بدر الكبرى

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوة بدرِ الكُبرى، وهي الغزوةُ العظيمةُ التي فَرقَ اللهُ فيها بينَ الحقِّ والباطلِ.

وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه وأذلَّ الكفرَ وأهلَه.

وحديثنا عن غزوة بدرٍ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: بين يدَي الغزوة.

العنصر الثاني: يومُ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ.

العنصر الثالث: نتائجُ الغَزوة.

العنصر الأول: بين يدي الغزوة.

وَصَلتِ الأنباءُ إلى الـمدينةِ أن قافلةً ضخمةً لقُريشٍ عائدةٌ من الشّامِ إلى مكَّةَ تَـحمِلُ لأهلِـها الثَّروةَ الطّائلةَ، يَقودُها أبو سفيانَ بنُ حربٍ معَ رجالٍ لا يزيدونَ عن الثلاثِينَ أو الأربَعينَ.

ولذلكَ قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابه: «**هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا، لَعَلَّ اللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا**»(١).

وأرادَ الرَّسولُ ﷺ بذلكَ أن يَضرِبَ قريشاً ضربةً اقتصاديّةً تَقصِمُ ظهورَهُم؛ لأنهم يَستعينونَ بهذهِ الأموالِ على محاربةِ الإسلامِ والمسلمِينَ.

---

(١) **حسن**: رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٢-٣٣)، [«فقه السيرة» (ص ٢١٨)].

وأرادَ النَّبيُّ ﷺ بذلكَ أن يُعَوِّضَ أصحابَه ما تَركوا من أموالٍ وديارٍ في مكَّةَ أرغَمهم على تركها كفّارُ قُريشٍ.

ولم يَعزِمِ الرَّسولُ ﷺ على أحدٍ بالخروجِ، بل تَركَ الأمرَ للرَّغبةِ الـمُطلقةِ، ثم سارَ بمَن أمكنَه الـخروج.

وخَرجَ الـمسلمونَ إلى بدرٍ وهم ثلاثُ مئةٍ وتسعةَ عشرَ رجلاً، منهم مئةٌ من الـمهاجرينَ وبقيَّتُهم من الأنصارِ، ولم يكُن معَهم من الـخيلِ إلَّا فرسان: فرسٌ للمِقدادِ ابنِ الأسودِ، وفرسٌ للزُّبيرِ بن العَوَّام رضي الله عنه.

وكانَ معَهم سبعونَ بعيراً، يتعاقبُ الرُّجلانِ والثَّلاثةُ على البعيرِ الواحدِ، حتّى رسولُ اللهِ ﷺ كانَ له زميلانِ يتعاقبانِ بعيراً.

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: **كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، وكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رسول الله ﷺ.**

قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ الله ﷺ (جاء دورهُ ليمشي).

فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُما»[1].

وقد بلغَ أبا سفيانَ خروجُ الـمسلمينَ لأخذِ القافلةِ، فسَلكَ بها في طريقِ السّاحلِ، وأرسلَ ضَمضَمَ بنَ عمروٍ الغفاريَّ إلى مكَّةَ يَستصرِخُ أهلَـها حتى يُسارِعوا إلى استنقاذِ أموالِهم.

واستطاعَ (ضَمضمُ) هذا إزعاجَ البَلدةِ قاطبةً، فقد وَقفَ على بَعيرِه بعد أن جَدَعَ أنفَهُ، وحوَّلَ رحلَهُ، وشقَّ قميصَه، يَصيحُ: يا معشرَ قُريشٍ اللَّطيمةَ اللَّطيمةَ! أموالُكُم معَ أبي سفيانَ، عَرَضَ لـها محمَّدٌ وأصحابُه، لا أرى أن تُدركوها، الغوثَ، الغوثَ!

(١) حسن: رواه النسائي في الكبرى (٨٨٠٧)، و أحمد (١/ ٤١١، ٤١٨)، [«فقه السيرة» (ص ٢١٩)].




فقامَ أشرافُ مكَّةَ، يَحُثُّونَ أهلَ مكَّةَ على أن يَنفِروا سراعاً؛ ليُخَلِّصوا تجارتَهم من محمَّدٍ وأصحابِه، فخرَجوا في نحوِ الألفِ، معَهم مئةُ فارسٍ ومعَهم المُغنِّياتُ يَضرِبنَ بالدُّف، ويُغنِّينَ بهجاءِ المسلمين.

وخَرَجوا من ديارِهم كما أخبرَنا اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال] وأقبَلوا في تحمُّلٍ وحَنقٍ عظيمٍ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه؛ لما يُريدونَ من أخذِ عيرِهم.

ولما رأى أبو سفيانَ أنه قد نجا وأحرزَ العِير، كتبَ إلى قُريشٍ أن ارجِعوا فإنكم إنما خَرجتُم لتُحرِزوا عِيرَكُم وقد سلَّمها الله، فوصَلَهم الخبرُ وهم بالجُحفةَ. فهمُّوا بالرجوع؛ إلَّا أن أبا جهلٍ أصرَّ على الخروج والوصولِ إلى بدرٍ قائلاً: واللهِ لا نَرجعُ حتى نأتيَ بدراً فنُقيمُ عليها ثلاثاً، نَنحرُ الجُزُر، ونَطعَمُ الطَّعامَ، ونُسقى الخمرَ، وتُعزَفُ علينا القيانُ، حتى تَسمعَ بنا العَربُ وبمَسيرِنا وجَمعِنا؛ فلا يزالونَ يهابونَنا بعدَ ذلكَ اليوم أبداً، ومَضَت قريشٌ في مسيرِها مُستجيبةً لرأيِ أبي جهلٍ، حتى نزلَت بالعُدوةِ القُصوى من وادي بدرٍ، وكانَ المسلمونَ قد انتهَوا من رحيلِهم المُضني إلى العُدوةِ الدُّنيا.



وهكذا اقتربَ كِلا الفريقَينِ من الآخرِ، وهو لا يَدري ما وراءَ هذا اللِّقاءِ الرَّهيب.

ولما وَصَلَ الخبرُ رسولَ الله ﷺ أن كفَّارَ قريشٍ قد خَرجوا لمُلاقاتِهم، وأن العيرَ قد نَجَت، وهي على مَشارفِ مكَّةَ استشارَ أصحابَه في لقاءِ العَدُوّ.

فقالَ بعضُهم: ما خَرَجنا إلَّا للعِيرِ، وما أَردنا النَّفيرَ، ولم نَستعِد له، وقد أخبرَنا



اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ عن هؤلاء. فقالَ تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال].




وكانَ الأنصارُ قد بايَعوا الرَّسولَ ﷺ في بيعةِ العقبةِ الثانيةِ على أن يَحموه في بلدِهم (المدينة)، ولم يُبايعوه على القتالِ معَه خارجَ المدينةِ، لذلك اقتصرَتِ السَّرايا التي سبقَت بدراً على المهاجِرينَ، ونظراً لوجودِ الأنصارِ مع المهاجِرينَ ببدر، وتفوُّقِهم العدديِّ الكبيرِ فقد أرادَ الرَّسولُ ﷺ معرفةَ رأيِهم من الموقفِ الجديدِ.

فاستشارَ ﷺ أصحابَه عامَّةً وقصَدَ الأنصارَ خاصَّةً.

وقد رَوى ابن إسحاقَ خبرَ المشورةِ بسندٍ صحيحٍ قال:

«فَاسْتَشَارَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! امْضِ لِـمَا أَرَاكَ اللهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ[1] لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ **خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِهِ.**

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ**».. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ**».

(١) وهو مكان يضرب فيه المثل في البعد.

قَالَ: فَقَدْ آمَنّا بك وَصَدّقْنَاك، وَشَهِدْنَا أَنّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقّ، وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَك، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَك، مَا تَخَلّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوّنَا غَدًا، إنّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللّقَاءِ. لَعَلّ اللّهَ يُرِيك مِنّا مَا تَقَرّ بِهِ عَيْنُك، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ. فَسُرّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِ سَعْدٍ وَنَشّطَهُ ذَلِكَ. ثُمّ قَالَ ﷺ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ، وَاَللّهِ لَكَأَنّي الْآنَ أَنْظُرُ إلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ**»(١).

فلما رأى النَّبيُّ ﷺ طاعةَ الصَّحابةِ وشجاعتَهم، واجتماعَهم على القتالِ، وحُبَّهم للتَّضحيةِ، بدأ بتنظيم جُندِه، ثم أرسلَ عيونَه -الجواسيسَ- يأتونَه بأخبارِ القومِ، فعَرفَ النّبيُّ ﷺ أينَ القومُ، وعدَدهم، ومن فيهم من أشرافِ قُريش.




وقالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**هَذِهِ مَكّةُ قَدْ أَلْقَتْ إلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا**»(٢)؟ ونزلَ جيشُ الإسلامِ بالعُدوةِ الدُّنيا، ونزلَ جيشُ الكفرِ بالعُدوةِ القُصوى، ولا يَعرِفُ كلٌّ منهم ما وراءَ هذا اللِّقاءِ الرَّهيبِ.

العنصر الثاني: يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

هذا اليومُ الذي فَرقَ اللهُ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ، وأعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه، وأذلَّ فيه الكفرَ وأهلَه، يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ

(١) انظر «السيرة النبوية الصحيحة»، أكرم ضياء العمري (١/ ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي دلائل النبوة (٣/ ٤٣) من طريق ابن إسحاق، [«فقه السيرة» (٢١٨)].

تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال].

وباتَ الجيشُ المسلمُ ليلةَ الجمعةِ؛ ليلةَ السابعِ عشرَ من رمضانَ من السُّنةِ الثّانيةِ للهجرة ببدرٍ، يرتَقبُ هجومَ العدوِّ الكافرِ في أيِّ ساعةٍ، فطارَ النَّومُ من عيونِ المسلمينَ، وخافَتْ قُلوبُهم، فأرسلَ اللهُ عليهم النُّعاسَ، فناموا تلكَ الليلةَ حتى احتلَمَ بعضُهم، فلما أصبحوا ولا ماءَ أنزلَ اللهُ عليهم من السَّماءِ ماءً فكانَ على المشركِينَ وبالاً شديداً منعَهم من التَّقدُّم، وكانَ على المسلمينَ طلّاً طهَّرَهم به وأذهبَ عنهم رجزَ الشيطان، ووطَّأ به الأرضَ، وصلَّبَ به الرَّملَ، وثبَّتَ به الأقدامَ، ومَهَّدَ به المَنزلَ، وربَطَ به على قُلوبهم. قالَ تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾[الأنفال].




ووصفَ عليٌّ رضي الله عنه كيفَ باتَ المسلمونَ ليلةَ السابعَ عشرَ من رمضانَ ببدرٍ وأمامَهم مُعسكرُ المشركِين؟

قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ الله** صلى الله عليه وسلم **فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ..**»[1].

وفي الصَّباحِ صَفَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم جنودَه للقتالِ كما يُحبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (٨٢٣)، وأحمد (١/ ١٣٨)، [قال محققو المسند: إسناده صحيح].

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾﴾ [الصف:٤].

وقالَ ﷺ لأصحابهِ: «**لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»[١]

وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُباشِرُ القتالَ بنفسه.

قالَ عليٌّ رضي الله عنه: **لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا**[٢].

فئةٌ مؤمنةٌ تقاتلُ من أجلِ لا إله إلَّا الله، وفئةٌ كافرةٌ جاءَت لتقضيَ على الذين يقولون: لا إله إلَّا اللهُ.

بدأَ القتالُ بمُبارزاتٍ فرديَّةٍ، فقد تقدَّمَ عتبةُ بنُ ربيعةَ وتبعه ابنهُ الوليدُ وأخوه شَيبةُ طالبِينَ المبارزةَ، فانتُدبَ لهم شبابٌ من الأنصارِ فرفَضوا مبارزتَهم، طالبِينَ مبارزةَ بني قومِهم، فأمرَ الرَّسولُ ﷺ حمزةَ وعليّاً وعُبيدَةَ بنِ الحارثِ بمُبارزتِهم.

وقد تمكَّنَ حمزةُ من قتلِ عتبةَ، ثم قَتلَ عليٌّ شيبةَ، وأما عُبيدةُ فقد تَصدَّى للوليدِ وجرحَ كلٌّ منهما صاحبَه، فعاونَه عليٌّ وحمزةُ فقتلوا الوليدَ واحتملا عبيدةَ إلى مُعسكرِ المسلمين»[٣].

وقد أَثَّرت نتيجةُ المبارزةِ في مُعسكَرِ قريشٍ وبدؤوا بالهجومِ، فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه بنَضحِ المشركِينَ بالنَّبلِ إذا اقتَربوا منهم، حِرصاً على الإفادةِ من النِّبالِ بأقصى ما يُستطاع.

فقالَ ﷺ «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ** -يعني دنوا منكم- **فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ**»[٤].



---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٦١٤)، [قال محققو المسند: إسناده صحيح].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٦٥)، [«صحيح أبي داود» (٢٣٩٢)]

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٨٤).

ورمى النَّبيُّ ﷺ الحصى في وجوهِ الـمشركِينَ وقال: «**شاهَتِ الوجُوهُ**».

قالَ تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال].

عن حكيمِ بنِ حزام قال: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أُمرَ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَنَا بِهِ، فَرَمَانَا بِهَا، وَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، فَانْهَزَمْنَا.

فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧][(١)].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابِهِ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**»، قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ: يَا رَسُولَ الله! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ**»؟

قَالَ: «لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ الله إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا».

فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: «**لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ**»[(٢)].

وحَمِيَ الوطيسُ، واستدارَت رَحى الحرب، واشتدَّ القتالُ، وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ في الدُّعاء والابتهالِ، ومناشدةِ ربِّه عزَّ وجلَّ حتى سَقَطَ رداؤُه عن مَنكِبيه.

وها هو عمرُ رضي الله عنه يُخبرُنا الـخبرَ فيقول: «لَـمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْـمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ** –أي



(١) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير (٣١٢٨)، [«فقه السيرة» (ص ٢٢٨)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١).



الجماعةُ من أهل الإسلام- **فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَذَاكَ** -أي كَفاكَ- **مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ** -: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ فأمده الله بالملائكة(١).

وقد خَرَج ﷺ من العَريشِ الذي بُنِيَ له وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر](٢).

وتقدَّمَ المسلمونَ يقتلونَ المشركينَ، والملائكةُ تُقاتِلُ معَهم حتى قالَ ابنُ عبّاس: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ فَوْقَهُ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**صَدَقْتَ! ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»(٣).

قالَ تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال:٩ -١٠]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

وخَرجَ رسولُ الله ﷺ من عريشه وهو يقول: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٨٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

(٤) **حسن**: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٠-٨١)، [«فقه السيرة» (٢٢٥)].




ولـما جِيءَ بالعبّاسِ بنِ عبدِ الـمطلبِ أسيراً، جاء به رجلٌ من الأنصارِ قصيرٌ يقول: يا رسول الله! أسرتُ هذا، فقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي! لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ -أي أصلع- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ ﷺ: «**اسْكُتْ! فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**»(١).

ورَجَعَ كفّارُ مكَّةَ يجُرُّونَ أذيالَ الـخيبةِ والهزيمةِ، قُتِلَ منهم سبعونَ وأُسِرَ منهم سبعون.

قالَ تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال].




العنصر الثالث: نتائج الغزوة.

انتهَت غزوةُ بدر بنَصرِ الإسلامِ والمسلمِينَ، وهزيمةِ الشِّركِ والمشرِكين، وكانَ من نتائجِ الغزوة.

أولاً: نصر عظيم من الله للمؤمنين.

قالَ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[آل عمران].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١١٧)، [قال أحمد شاكر: إسناده صحيح].



ثانياً: هلاك أئمة الكفر:

فقد قَتلَ الـمسلمونَ سبعين رجلاً من بينِهم أئمةُ الكفر.

هلاك أبي جهل لعنه الله:

عن عبدِ الرَّحمنِ بن عوف ﵁ قال: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، وكان الغلامان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء»[(١)].

والظاهرُ أنهما تَركاه مُثخَناً في جراحِه قبلَ أن يَلفِظَ أنفاسَه الأخيرةَ، ولذلكَ روى أبو داودَ في «سننه»: أن عبدالله بن مسعود ﵁ مرَّ بأبي جهل صريعاً فوقف على رأسه وقال: يَا عَدُوَّ الله يَا أَبَا جَهْلٍ قَدْ أَخْزَى اللهُ الأَخِرَ، ثم جعل يجهز عليه بسيفه، قال: فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ[(٢)].

هلاك عقبة بن أبي مُعيط أشقى القوم لعنه الله:

أما عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ، فقد أمرَ النَّبيُّ ﷺ بضَربِ عُنُقِه وكان من الأسرى، وفيه جوازُ قتلِ الأسيرِ الكافرِ، لأنه كانَ من أشقى القوم، وممن يُطلَقُ عليهم بمُصطلحِ العَصرِ (مُجرمُ حَربٍ) وسِيقَ الأشقياءُ الثلاثةُ إلى النار وبئسَ القرار، وكم لاقى الـمسلمونَ بمكَّةَ من إيذائِهم واستهزائِهم، وليُبشِرْ أئمةُ الكُفرِ في كلِّ زمانٍ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٧١١)، [«صحيح أبي داود» (٢٣٥٧)].




بهذه النهايةِ الـمَشؤومة إن لم يتوبوا إلى ربِّهم ويثوبوا إلى رُشدِهم، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمهِلُ ولا يُهمِل «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»(١).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود].

هلاك أمية بن خلف عدو الله:

الذي كانَ يُعذِّبُ الـمسلِمينَ في مكَّةَ، ومنهم بلالٌ رضي الله عنه، فقَد أسرَه عبدُالرَّحمن بنُ عوفٍ بعدَ الـمعركة، وأسرَ معَه عليّاً ابنَه فلمَحه بلالُ، وكانَ هو الذي يعذِّبُه بمكَّةَ، فقال: **أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ! لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ**، واستَصرخَ عليه الأنصارَ، فأعانوه على قتلِه هو وابنه علي(٢).

وأمرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بسَحب قتلى الـمشركِينَ إلى آبارٍ ببدرٍ فألُقُوا فيها، فلـما كانَ ببدرٍ اليومَ الثالثَ وقفَ على أربعةٍ وعشرينَ رجلاً، منهم من صناديدِ قريش في إحدى الآبار، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِـمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**».

قال قتادة: «أَحْيَاهُمْ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا»(٣).

ثالثاً: ومن نتائج غزوة بدرٍ الكبرى: الأسرى.

فقد أَسرَ الـمسلمونَ سبعينَ رجلاً من صناديدِ قُريشٍ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٨٦)

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣٠١)

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٣) واللفظ للبخاري.



وقد استشارَ الرَّسولُ ﷺ أبا بكرٍ وعمرَ فيما يَصنعُ بالأسرى؟

فأشارَ أبو بكرٍ بأخذِ الفديةِ منهم، وعلَّلَ ذلك بقوله: «فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ».

وأشارَ عمرُ بنُ الخطابِ بقتلِهم وعلَّلَ ذلكَ بقولِهِ: «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا»[١]، ولم يكن قد نزل من أمرهم وحيٌ.

ومال النبي ﷺ إلى رأي أبي بكر بقبول الفدية، فنزلت الآية الكريمة في موافقة رأي عمر رضي الله عنه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال][٢].

رابعاً: الغنائم



وقد غَنِمَ المسلمونَ في بدرٍ من الكفّارِ غنائمَ كثيرةً جداً، ووَقَعَ خلافٌ حولَ الغنائمِ إذ لم يكُن حكمُها قد شُرِعَ بعدُ، فنزَلَ القرآنُ بتقسيمِها كما نزلَ بمَشروعيَّتِها، قالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) انظر «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٨٦- ٨٧).



خامساً: الشهداء

واستُشهد من الـمسلمِينَ في بدر أربعةَ عشرَ رجلاً اتَّـخذَهُمُ اللهُ شهداءَ فضلاً منه ونِعمةً، وهو القائل سبحانَه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران].

وجاءَت أمُّ حارثةَ وقد قُتِلَ ولدُها ضِمنَ الأربعةَ عشرَ شهيداً، فقالت: يا رسول الله! أنبِئني عن حارثةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ.

فقال ﷺ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى**»[١].

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعِزَّ الـمسلمِينَ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٠٩).

٣٣

غزوة بني قينُقاع وغزوة بني النضير

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ بني قَينُقاعَ وغزوةِ بني النَّضير.

عندَما وصلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ مُهاجِراً من مكَّةَ بدأَ ببناءِ المَسجدِ، ثم آخى بينَ المهاجِرينَ والأنصارِ، ثم عَقَدَ معاهدةً مع اليَهودِ في المَدينةِ تَكْفُلُ لهم الحريَّةَ الكامِلةَ في دينِهم وعقائدِهم، وتَضمَنُ لهم أن يَعيشوا في جوارِ النَّبيِّ ﷺ في سِلمٍ وسلامٍ، وأمنٍ وأمان.




وكان من مُقتضى هذه المعاهدةِ، أن يكونَ المسلمونَ واليهودُ يداً واحدةً ضدَّ كلِّ عدوٍّ يَقصِدُ المدينةَ بسُوءٍ، وأن يُحافِظَ الجميعُ على الأمنِ الدّاخليِّ في المدينة.

وكان اليهود في المدينة ثلاثَ طوائفَ: بنو قَينُقاع، وبنو النَّضير، وبنو قُرَيظة، فعاهَدَهم النَّبيُّ ﷺ جميعاً.

وأخذَ النَّبيُّ ﷺ يَحُثُّ المسلمِينَ على الوفاءِ، ويُحذِّرُهُم من الغَدرِ والخِيانةِ، ويَحثُّهم على احترامِ هذه المُعاهدةِ وعلى احترامِ أهلِها، ويُحذِّرُهم من الاعتداءِ على أهلِ هذه المُعاهدةِ في نفسٍ أو مالٍ.

فقالَ ﷺ: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (٩/ ٢٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٤٥)].

أَرْبَعِينَ عَامًا»(١).

وحافظَ النَّبيُّ ﷺ والمسلمونَ على هذه الـمعاهدةِ، ولم يأتِ من الـمسلمِينَ ما يُخالِفُ حَرفاً واحداً من نُصوصِها، ولكنَّ اليهودَ الذين مَلأوا تاريخَهم بالغَدرِ والخيانةِ ونكثِ العُهودِ؛ لم يَلبَثوا أن حَنُّوا إلى طبائِعِهمُ القَديمةِ، فغَدَروا وخانوا، ونَقَضوا العهودَ والمواثيقَ بعدَ أن نَصَرَ اللهُ الـمسلمِينَ في بدرٍ.

وكانَ أولَ مَنْ غَدَرَ يهودُ بني قَينُقاعَ، وكانَ ذلكَ بعدَ غزوةِ بدرٍ الكُبرى بشهرٍ واحدٍ، ثم غَدَرَت بنو النَّضيرِ بعدَ غزوةِ بدرٍ بستة أشهر، كما ذكر الإمام البخاري في «صحيحه»، ثم غدَرَت بنو قريظةَ في غزوةِ الأحزاب، فعاقَبهم النَّبيُّ ﷺ بالعِقابِ الذي يَليقُ بهم وبغَدرِهم ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف].



عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِى النَّضِيرِ وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْـمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ الْـمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِى قَيْنُقَاعَ (وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ) وَيَهُودَ بَنِى حَارِثَةَ وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ(٢).

وحديثُنا عن غزوةِ بني قَينُقاعَ وغزوةِ بني النَّضيرِ سيكونُ حولَ العناصرِ التّالية:

العنصر الأول: بعدَ غزوةِ بدرٍ الكُبرى، كفارُ مكَّةَ في مكَّةَ يُهدِّدونَ، واليَهودُ في الـمدينةِ يَغدُرون.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٦٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦) واللفظ لمسلم.



العنصر الثاني: ولا يَحيقُ الـمكرُ السيِّئُ إلَّا بأهلِه.

العنصر الثالث: اليهودُ في الـمدينة يُخرِبونَ بيوتَهم بأيديهِم وأيدي الـمؤمنِينَ؛ فاعتَبِروا يا أُولي الأبصارِ.

العنصر الرابع: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

العنصر الأول: بعد غزوة بدر الكبرى، كفار مكة في مكة يهددون، واليهود في المدينة يغدرون.

في الجُمعةِ الـماضية تكلَّمنا عن غزوةِ بدرِ الكُبرى، وتبيَّنَ لنا أنَّ اللهَ قد منَّ على الـمسلمِينَ بنَصرٍ عظيمٍ على الكافِرينَ؛ بأن قَتَلوا منهم سَبعينَ وأسروا سَبعينَ، وعندَما وَصَلَت أخبارُ النَّصرِ إلى مكَّةَ لم يُصَدِّقوا، حتى أنَّهُم اتَّهموا الذي يُخبرُهم بالجنونِ، حتّى وَصَلَ جيشُ الكُفرِ يَجُرُّ أذيالَ الـهَزيمةِ والخيبةِ والعارِ، فلـما تَبيَّنَ لهم صِدقُ الـخَبَرِ صُعِقَ نفرٌ منهم فهَلَكَ لتوِّه، وماجَ بعضُهم في بعضٍ من هَولِ الـمُصابِ لا يَدري ما يَفعَل.

ولم تَزِدهُمُ الـهزيمةُ إلَّا كُرهاً للإسلامِ، ونِقمةً على محمَّدٍ وصحبِه، واضطِهاداً لمن يَدخُلُ في دينِه.

ولـما وَصَلَت أخبارُ النَّصرِ إلى الـمدينةِ؛ لم يُصدِّقِ الـخبرَ الـمُنافِقونَ والمُشرِكونَ واليَهود، حتى أنهم اتَّهموا الـمُسلمِينَ الذين يُذيعون الـخبرَ بالكَذِب، حتى جاءَ جيشُ الإسلام من بدرٍ وأعلامُ النَّصرِ تُرَفرِفُ عليه، والأسرى مُقَرَّنينَ في الأصفادِ، والغنائمُ بينَ يدَيه، فأسلمَ فريقٌ من الـمُشرِكينَ واليهودِ ظاهراً، وقلوبُهم تَغلي حِقداً وحَسَداً وكُفراً، وعلى رأسِ هؤلاءِ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ بنِ سلولٍ، وفريقٌ آخرُ سَلَكَ أسلوبَ الدَّسِّ والنِّفاقِ والغَدرِ والتَّـمرُّد.

كفّارُ مكَّةَ بعدَ هزيمتِهم في بدرٍ، يُفكِّرونَ في الانتقامِ من محمَّدٍ ﷺ وأصحابِه،




ولكنَّهم يُريدونَ أن يكونَ ذلكَ عن طريقِ اليهودِ في الـمدينةِ، فأرسَلوا إليهم تهديداً: إذا لم تَقتُلوا محمَّداً فَعَلنا بكُم كذا وكذا.

فلـما وَصَلَ ذلكَ لليَهودِ في الـمدينةِ بَدأَ الغدرُ، ونَقضُ العُهودِ والمواثيقِ والخِيانةِ، وأولُ من نَقَضَ العَهدَ يهودُ بني قَينُقاعَ.

عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ:

«أن كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: **إِنَّكُمْ أَهْلُ الحَلْقَةِ وَالحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا** -أي رسول الله ﷺ- **أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا وَلاَ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ (وَهِيَ الخَلاَخِيلُ)**..»[1].

لـما وَصَلَ الكتابُ إلى اليهودِ في الـمدينةِ أجمَعوا على الغَدرِ برسولِ الله ﷺ وأصحابِهِ، وأولُ من نَقَضَ العَهدَ وغَدَرَ؛ هم يهودُ بني قَينُقاعَ، وكانوا يَسكُنونَ داخِلَ الـمدينة -في حيٍّ باسمِهم- وكانوا صاغةً وحدّادينَ، وكانت عندَهم خبرةٌ بالقتالِ وصُنعِ السِّلاحِ، وكانَ عددُ الـمقاتلينَ فيهم سبعُمئةِ مقاتلٍ.




وبعد أن نَصَرَ اللهُ الـمسلمِينَ في بدرٍ أَخذَ يهودُ بني قَينُقاعَ يُثيرونَ الشَّغَبَ، ويَتعرَّضونَ بالسُّخريةِ، ويُواجهونَ بالأذى كلَّ مَنْ وَرَدَ سوقَهُم من الـمسلمِينَ، حتى أَخَذوا يتَعرَّضونَ لنسائِهم، فجاءَتِ امرأةٌ إلى السُّوقِ عندَهم لتَبيعَ شيئاً، فلـما جَلسَت عندَ الصّائغِ اليهودي راوَدَها على أن تكشِفَ وجهَها فأبَت، فاجتـمعَ اليهودُ وراودوها أن تكشِفَ عن وجهِها فأبَت، فقامَ الصّائغُ برَبطِ طَرَفِ ثوبِها في ظَهرِها خُفيةً دونَ أن تَعلَمَ، فلـما قامَتِ الـمرأةُ انكشَفَت سَوْءَتُها، فضَحِكَ اليهودُ، فقامَ مسلمٌ يُوجدُ في السُّوقِ فقَتَلَ اليَهوديَّ، فاجتـمعَ اليَهودُ على هذا الـمسلمِ فقَتَلوه، فجاءَ أهلُ الـمُسلمِ واستَنصروا بالمسلمِينَ فوَقَعَ الشَّرُّ بينَ الـمسلمِينَ وبينَ يهودِ بني قَينُقاع.

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٠٤)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٧٨)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٥٩٥)].

وهذه روايةٌ يذكرُها أصحابُ السِّيَرِ وإن كانَ في إسنادِها ضعفٌ، ولكن هذا لا يُستغرَبُ من أفعالِ اليَهود.

ولم يكتفوا بذلكَ بل قالوا لرسولِ اللهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ! لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لاَ يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا.

فأنزلَ اللهُ تعالى قرآناً يُنذِرُ هؤلاءِ بسوءِ الـمُنقلَب: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران][1].

وفي قولِهم هذا لرسولِ اللهِ ﷺ إعلانٌ منهم سافرٌ عن الحربِ، ونقضٌ منهم للعُهودِ والمواثيقِ، ولم يكتفوا بذلكَ بل أخلُّوا بالأمنِ في داخلِ الـمدينةِ، وأخذوا يَتعرَّضونَ لنساءِ الـمسلمينَ، فلما فَعَلوا ذلكَ سارَ إليهم رسولُ اللهِ ﷺ بالكتائبِ الـمُسلِمَةِ، فحاصَرَهم حتى نَزَلوا على حُكمِه، فأرادَ قتلَهم فاستوهَبَهم منه عبدُ اللهِ ابن أُبيٍّ، رأسُ النِّفاقِ وزعيمُ الـمنافقِينَ، وكانوا حلفاءَه فوهبَهم له.

وأمرَهُم النَّبيُّ ﷺ أن يَخرُجوا من الـمدينةِ ولا يُجاوِروه بها، فخَرَجوا إلى أَذرعاتٍ بالشام، ولم يَبقُوا هنالِكَ طويلاً حتى هَلَكَ أكثرُهم.

العنصر الثاني: ولا يحيق المكر السيئ إلَّا بأهله.

ولم يَعتَبِر باقي اليهود بما أصابَ كفّارَ قريشٍ في بدرٍ من القَتلِ والأسرِ، ولا بما أصابَ بني قَينُقاعَ من الجَلاءِ عن الـمدينةِ.



---

(١) **ضعيف الإسناد**: رواه أبو داود (٣٠٠١) والطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٧)، [«ضعيف سنن أبي داود» (٥٢٤)].



فأخذَ اليهودُ في الـمدينةِ يَمكُرونَ بالإسلامِ والمسلمِينَ مكراً سيئاً.

قـالَ تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران].

ومن هؤلاءِ اليَهودِ الذين مكَروا بالإسلامِ والمسلمِينَ مَكراً سيئاً كَعبُ بنُ الأشرفِ، وكانَ هذا اليهوديُّ من أشدِّ اليَهودِ حَنَقاً على الإسلامِ والمسلمِينَ، وإيذاءً لرسولِ اللهِ ﷺ، وتظاهُراً بالدَّعوةِ إلى حربهِ.

وهذا اليهوديُّ كانَ من يهودِ بني النَّضيرِ، وكانَ غنيّاً مُترَفاً، مَعروفاً بجمالِه في العرب، وكان شاعراً من شعرائها.

ولـما بلغَه أولُ خبرٍ عن انتصار الـمسلمِينَ، وقتلِ صناديدِ قريش في بدر قال: أَحَقٌّ هَذَا! هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ الْعَرَبِ وَمُلُوكُ النّاسِ، وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا[١]..

ولـما تأكَّدَ لديه الـخبرُ، انبعَثَ عدوُّ اللهِ يَهجو رسولَ الله ﷺ والمسلمِينَ، ويَمدَحُ عدوَّهم، ويُحرِّضُهم عليهم، بل أَخَذَ يَتغزَّلُ بنساءِ الصَّحابةِ في شِعرِه، ولم يَرضَ بهذا القَدرِ حتى رَكِبَ إلى قُريشٍ، فنزَلَ على أحدِ أَشرافِهم وجَعَلَ يُنشِدُ الأشعارَ، يبكي فيها على أصحابِ القليبِ من قَتلى الـمشركين، يُثيرُ بذلك حَفائظَهم، ويُذكي حِقدَهم على النَّبيِّ ﷺ، ويدعوهُم إلى حَربه، وعندَما كانَ بمكَّةَ سألَه أبو سفيانَ والمشركونَ: أدينُنا أحبُّ إليكَ أم دينُ محمَّدٍ وأصحابِه؟ وأيُّ الفريقَينِ أهدى سبيلاً؟ فقالَ عدوُّ اللهِ: أنتُـم أهدَى منهُم سبيلاً وأفضلُ، وفي ذلكَ أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ

(١) رواه ابن إسحاق، انظر السيرة لابن هشام (٣/ ٣١٨).




وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ [النساء](1)...

ثم رَجَعَ كعبُ بنُ الأشرفِ اليَهوديُّ إلى الـمدينةِ على تلكَ الحالِ، وأَخَذَ يُشَبِّبُ -أي يَتغزَّلُ- في أشعارِه بنساءِ الصَّحابةِ، ويُؤذيهم بِسلاطةِ لسانِه أشدَّ الإيذاءِ.

وعندَها قالَ رسولُ الله ﷺ: مَنْ لِكَعب بنِ الأشرفِ؟ فإنه آذى اللهَ ورسولَه، قالَ محمدُ بن مَسلَمَة رضي الله عنه، أنا يا رسولَ الله!

وتعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى قصَّةِ قَتلِ هذا الـمُجرمِ -كعبِ بنِ الأشرفِ اليَهوديِّ- الذي آذى اللهَ ورسولَه، ومكَرَ بالمسلمِينَ مكراً سيِّئاً، لتعلَموا أن الـمكرَ السَّيِّءَ لا يَحيقُ إلَّا بأهلِه.

عن جابر رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟**».

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَة فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا (أي: ائذن لي أن أتكلم في حقك من أجل الـمصلحة).

قَالَ ﷺ: «**قُلْ**». فأتاهُ محمد بن مَسلَمة، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا (أي أوقعنا في العنت والحرج وكلَّفنا ما لا نجد). وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ: وَأَيْضًا وَالله لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: أَرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: نَعَمَ إِرْهَنُونِي، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ، قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ

(١) رواه الطبري (٨/ ٤٦٦-٤٦٩) عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي.



عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ (يَعْنِي السِّلَاحَ) فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ -وَقَالَ مَرَّةً- ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ، فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ، قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي، قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ»(١).

ونَزلَتِ السُّيوفُ على جَسَدِ هذا الـمُجرِمِ فوقَعَ عدوُّ اللهِ قتيلاً، وقد صاحَ صيحةً شديدةً، أفزَعَت من حَولَه من اليَهودِ، فلم يبق حصنٌ إلَّا أوقدَ النّارَ -أي استيقظ من نومِه- وفي الصَّباحِ عَلِمَتْ بمَصرَعِ طاغِيَتِها كعبِ بنِ الأشرفِ، فدَبَّ الرُّعبُ في قلوبِهمُ العَنيدة ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾[النبأ]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[الكهف].

وهكذا يَفعَلُ اللهُ بكلِّ من مَكَرَ بالإسلامِ والمسلمِينَ، قالَ تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣].

وهذا عذابُهم في الدُّنيا، قتلٌ، خزيٌ، فَضيحةٌ، أما في الآخرةِ فالعذابُ الأليمُ، قالَ تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[فُصِّلَت].

ليَعلمَ الجميعُ أن الـمكرَ السَّيِّءَ لا يَحيقُ إلَّا بأهله.

العنصر الثالث: اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

وبعدَ غزوةِ بدرِ الكُبرى أرسلَ كفّارُ مكَّةَ كتاباً إلى اليَهودِ في الـمدينةِ يُهدِّدونَهم بكذا وكذا إذا لم يَقتُلوا محمَّداً ﷺ، فلـما وَصَلَ الكتابُ إلى اليهودِ في الـمدينةِ،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١).

أجمعت بنو النَّضيرِ على الغَدرِ، ونَسوا ما بينَهم وبينَ النَّبيِّ ﷺ من العَهدِ والميثاق.

فأرسَلوا إلى النَّبيِّ ﷺ: أُخرجْ لنا في ثَلاثينَ من أصحابِكَ وليَخرُجْ منّا ثلاثونَ حَبراً، حتى نَلتقِيَ بمكانِ الـمنصَفِ؛ فيَسمعوا منكَ فإن صَدَّقوك وآمَنوا بكَ آمنّا بكَ -وهُم بذلك يُريدونَ أن يغتالوا رسولَ اللهِ ﷺ ومن معَه من أصحابِه- ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران].

فأخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ بواسطة طريقِ جبريلَ عليه السلام بما مكَرَ به يهودُ بني النِّضيرِ.

فخَرَجَ إليهم رسولُ اللهِ ﷺ بكتائِبِ الجيشِ الـمُسلمِ، فلـما رأَوا الجيوشَ قد زَحَفَت إليهم فرُّوا هاربينَ إلى حُصونِهم، وكانَت حصونُهم منيعةً، فأغلَقوا أبوابَهم، وتـحصَّنوا بها، وحاصَرَهُمُ النَّبيُ ﷺ ليالٍ، وهَمُّوا بالتَّسليم لرسولِ اللهِ ﷺ، ولكنَّ زعيمَ الـمُنافقِينَ عبدُ اللهِ بن أُبيٍّ بن سلولٍ أرسلَ إليهم أنِ امتنِعوا وتَـحصَّنوا ولا تَنزِلوا من حُصونِكم، فإنَّا مِنْ ورائِكُم، نَمنَعُكم مما يَضُرُّكم؛ لئن قُوتِلتـمُ لننصُرَنَّكم، ولئِن أُخرِجتُـم لنَخرُجَنَّ مَعَكم، فصدَّقوهُم، وأرسلَ يهودُ بني النَّضيرِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يقولون: إنا لا نَخرُجُ من ديارِنا، فاصنَع ما بَدا لكَ.

فأَمرَ النَّبيُّ ﷺ بقَطعِ النَّخيلِ وتَـحريقِها، فدبَّ الـخَوفُ في نُفوسِهم، وملأَ الرُّعبُ قلوبَهم، وأتاهُمُ اللهُ من حَيثُ لم يَحتَسِبوا، فسألوا رسولَ اللهِ ﷺ أن يَنزِلوا على أنَّ لهم ما حَمَلتِ الإبلُ إلَّا السِّلاحِ، فوافَقَ الرَّسولُ ﷺ على عَرضِهم هذا.

فجَعَلَ الرَّجلُ يَهدِم بيتَه بيَدِه ! ويَحمِلُ الأبوابَ والشَّبابيك معَه، وخَرَجوا من الـمَدينة، فمِنهُم من نَزَلَ خيبر، ومنهُم من سارَ إلى الشام.

قالَ تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ




كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل].

ونزلَت سورةُ الحَشرِ في بني النَّضيرِ، فعَن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ رضي الله عنه: «**قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ: قُلْ سُورَةُ النَّضِيرِ**»(١).

وفي سورةِ الحشرِ:

أولاً: بدأَها اللهُ بالتَّسبيحِ وختـمَها بالتَّسبيحِ. قالَ تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد]، وقالَ تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

ثانياً: بيَّنَ اللهُ في هذه السُّورةِ كيفَ يَنتقِمُ من أعدائِه، وكيفَ أنه سبحانَه جاءَ لبني النَّضيرِ من بابٍ لا يَخطُر لهم على بالٍ.

قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر]

دبَّ الرُّعبُ في قلوبِهم، والرُّعبُ سلاحٌ ربانيٌّ ينصُرُ اللهُ به عبادَه.

ثالثاً: أثنى اللهُ في هذه السُّورةِ على الـمُهاجرينَ والأنصارِ ومن سَلَكَ سَبيلَهم. قالَ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٢٩).

رابعاً: فَضَحَ اللهُ الـمنافقِينَ الذين أظهَروا الإسلامَ وأبطَنوا الكُفرَ. قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

العنصر الرابع: الدروس والعظات والعبر:

أولاً: من وَقَفَ في وَجهِ الإسلامِ أبادَهُ اللهُ، عاجلاً أو آجلاً، فانظُروا ماذا فَعَلَ اللهُ بكفّارِ مكّةَ عندَما جاءوا للاعتداءِ على الإسلامِ والمسلمِينَ في غزوةِ بدرٍ.

وماذا فَعَلَ بيهودِ بني قَينُقَاعَ عندَما مكَروا بالإسلامِ والمسلمِينَ.

وانظروا ماذا فَعَلَ اللهُ تعالى بيَهودِ بني النَّضيرِ عندَما نَقَضوا العُهودَ والمواثيقَ، واعتدَوا على الإسلامِ والمسلمِينَ، والعاقِلُ من اتَّعظَ بغَيرِه، وليَعتَبِر كلُّ من تُسَوِّلُ له نفسُه أن يَقِفُ في وجهِ الإسلامِ، أو يَمكُرَ بالإسلامِ والمسلمِينَ.



ثانياً: النَّصرُ على الأعداءِ لا يكونُ إلَّا من عندِ الله.

قالَ تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

من الذي نَصَرَ الـمؤمنِينَ يومَ بدرٍ؟ إنه هو اللهُ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ 

[آل عمران].

من الذي نَصَرَ الـمؤمنِينَ يومَ الأحزابِ؟ إنه هو الله.

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب]، وقالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب].

– من الذي نَصَرَ الـمؤمنِينَ يومَ حُنَينٍ وفي مَواطِنَ كثيرةٍ؟ إنه هو الله.

قالَ تعالى: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة].

– من الذي قَذَفَ الرُّعبَ في قلوبِ يهودِ بني النَّضيرِ، فأخذوا يُخرِبونَ بيوتَهم بأيديهم وأيدي الـمؤمنينَ؟ إنه هو الله.

قالَ تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر].

فالنَّصرُ يا عبادَ اللهِ لا يكونُ إلَّا من عندِ الله.

قالَ تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال].

ومن سُنَنِ اللهِ التي لا تَتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ أنه لا يَنصُرُ عبادَه إلَّا إذا نَصروه.

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

ثالثاً: بالعقيدةِ الصَّحيحةِ والعَمَلِ الصّالحِ واتِّباعِ مَنهجِ الصَّحابةِ نَنتصرُ على أعدائِنا عامَّةً وعلى اليَهودِ خاصَّةً.

وهذا يَظهرُ جليّاً من سورةِ الحَشرِ التي نَزلَت في شأنِ يَهودِ بني النَّضير.

ففي السُّورةِ توحيدُ الرُّبوبية، وتوحيدُ الألوهيّة، وتوحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ، وفيها الإيمانُ باليومِ الآخرِ والجنَّةِ والنّارِ.

وفي السُّورة الحثُّ على الأعمالِ الصّالحةِ، فالسُّورةُ بدأَت بالتَّسبيحِ للهِ عزَّ وجلَّ وانتهَت بالتَّسبيحِ.

وقالَ تعالى في وَسَطِ السُّورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].




وفي سياقِ السُّورة؛ أَثنى اللهُ على المهاجِرينَ والأنصار، ومن سَلَكَ سبيلَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾[الحشر:٨]، ثم الآيةُ التي جاءَت بعدَها في الأنصارِ، ثم الآيةُ التي بعدَها جاءَت في من تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

رابعاً: على المسلِمينَ أن يَفهموا الكتابَ والسُّنَّةَ بفَهمِ سَلَفِ الأمَّةِ -الصَّحابةِ رضي الله عنهم- ومن سَلَكَ سبيلَهم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

الشَّبابُ المُتحمِّسُ والمتعجِّلُ الذي يَفهمُ الكتابَ والسُّنَّةَ بعواطِفِه، ويَستدلُّ بقَتلِ كعبِ بن الأشرفِ اليَهوديِّ على عمليّاتِ الاغتيالِ للحُكام ورجالِ الأمنِ، وهذا خطأٌ كبيرٌ لا يُقرُّه الشَّرعُ والدِّينُ، لأن قَتلَ كعبِ بنِ الأشرفِ كانَ بأمرِ النَّبيِّ ﷺ، وكانَ يَهوديّاً مُناقضاً للعَهدِ والميثاقِ الذي وثَقَه مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ يُؤذي اللهَ ورسولَه، والذي أَمرَ بقتلِه هو رسولُ اللهِ ﷺ، ورسولُنا الكريمُ لا يَأمرُ

من عندِ نفسِه ولكن كانَ ذلكَ بوحي من اللهِ عزَّ وجلَّ، ونَقولُ: عندَما أمرَ الرَّسولُ بقَتلِ كعبِ بنِ الأَشرفِ لم تكُن هناكَ مفسدةٌ واحدةٌ، ولم يَستطِع يهوديٌّ واحدٌ أن يَتكلَّمَ أو يَتحرَّكَ بعدَما رأَوا قتلَ كعبِ بنِ الأشرفِ، بل دَخلوا في حُصونِهم، ودبَّ الرُّعبُ في قُلوبِهم، أما ما يفعَلُه بعضُ الشَّبابِ المسلم فيَقتلونَ فلاناً وفلاناً بعدَ أن يُكَفِّرُونَهم، ويحمِلونَ فِكرَ التكفير في عقولِهم، هذا يُخَالِفُ دينَنا ويَبرأُ منه الإسلام، والمَفاسِدُ كثيرةٌ بعد أن يَقتُلوا رَجلاً واحداً، وإذا قُلنا لهم ذلكَ ونَصَحناهم اتَّهمونا بالعَمالةِ والجُبنِ، واللهُ المُستعان.

اللهمَّ رُدَّ المسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.



٣٤

غزوة أُحُد

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ أُحُد.

غزوةُ أُحد التي ظَهَرَ فيها النِّفاقُ بأوضح علاماتِه وأجلى صفاتِه.

والتي ظهَرَ فيها الإيمانُ الكاملُ، وما يَفعلُه في النَّفسِ البَشَريَّةِ من الاستعلاءِ على الشَّهَواتِ والإخلاصِ لربِّ الأرضِ والسَّماوات.

والتي تعلَّم فيها المسلمون أسبابَ النصرِ وأسبابَ الهزيمةِ.

والتي دَفَعَ فيها المسلمونَ الثَّمنَ غالياً من القَتلى والجَرحى.

والتي ظهرَ فيها التَّوكُّلُ على اللهِ والثِّقةُ به.

والتي مَيَّزَ اللهُ فيها الخَبيثَ من الطَّيِّب.

والتي أُفردَ للحديثِ عنها من سورةِ آلِ عمرانَ ستُّونَ آيةً لأهمِّيَتِها.

وحديثُنا عن غزوةِ أُحدٍ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(١).

العنصر الثاني: يومَ التقى الجمعان.

العنصر الثالث: ما فَعلَه الرَّسولُ ﷺ بعدَ انتهاءِ الغَزوة.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٨٢)، ومسلم (١٣٩٢).

العنصر الأول: أُحدٌ جبل يحبنا ونحبه:

جبلُ أحدٍ هو الجبلُ الذي وَقعَت عندَه غزوةُ أُحدٍ، وهو جَبَلٌ يَقَعُ بالقُربِ من الـمدينة.

وهو الجَبلُ الذي دَفَنَ عنده النّبيُّ ﷺ من خيرةِ أصحابهِ، كعمّه حمزةَ بنِ عبدِالـمطَّلبِ، ومصعبِ بن عُمَيرٍ، وأنسِ بنِ النَّضرِ وغيرِهم رضي الله عنهم جميعاً.

وهو الجبلُ الذي ذَهَبَ إليه النَّبيُّ ﷺ وصلّى على شُهَداءِ أحدٍ قَبلَ موتِه كالمُودِّعِ للأحياءِ والأمواتِ.

وهو الجبلُ الذي قالَ فيه النَّبيُّ ﷺ: «**أحدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه**»[1].

وهو الجَبلُ الذي التقى عندَه جَيشُ الكُفرِ وجَيشُ الإيمان ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾ [آل عمران].

بعد أن أُصيبَتْ قريشٌ في عُظَمائِها وأئمةِ الكفرِ فيها يومَ بدرٍ، وقُلوبُهم تَغلي حِقداً وحَنَقاً وغَيظاً على الـمسلمِينَ والإسلام، عبّأت قريشٌ قُوَّتَها، واستعانَت بحُلفَائها، وخَرجَت في ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ يقودُها أبو سفيانَ بنُ حربٍ لتَـحقيقِ الأهدافِ التّالية:

أولاً: استعادةُ مكانتِها عندَ العربِ بعد أن فَقَدَتها بهزيمَتِها في غزوةِ بدر.

ثانياً: الثأرُ لقتلاها ببدرٍ.

ثالثاً: تأمينُ طريقِ التّـجارةِ من مكَّةَ إلى الشام.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٨٢)، ومسلم (١٣٩٢).

وصلَت الأخبارُ إلى النَّبيِّ ﷺ بقُدوم هذا الجيشِ لغَزوِ الـمدينةِ، ورأى النَّبيُّ ﷺ رؤيا -ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ وهي من الوَحي- حكاها لأصحابه فقال: «**رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْـمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمُ الْـمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ..**»[1].

فلـما شاورَ النبي ﷺ أصحابَه؛ أشارَ عليه الشَّبابُ ومن حُرِمَ من شُهودِ بدرٍ وغَلَبَهُ الشَّوقُ إلى الجهادِ ومُلاقاةِ العَدوِّ بالخُروجِ إليهم -وهم الذين يتَشوَّقونَ إلى الاستشهاد- وكانَ من رأيِه ﷺ ورأيِ الشُّيوخِ وكذلكَ عبدِ الله بن أُبيٍّ بنِ سَلولٍ الـمكوثُ في الـمدينةِ، ومُقاتَلَتهم إذا دخَلوها من الأزِقَّةِ ومن أسطُحِ البُيوت.




قال ﷺ: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْـمَدِينَةُ وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ**».

ثم قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ؟**».

فقال: «**شَأْنَكُمْ**».

فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ -أي لباس القتال- فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأْيَهُ، فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ شَأْنَكَ إِذًا فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**»[2]. وخرجَ النَّبيُّ ﷺ بعدَ صلاةِ العَصرِ من يومِ الجُمعةِ في ألفِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى(٧٦٤٧)، وأحمد (٣/ ٣٥١)، والدارمي (٢١٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٠٠)].

مُقاتلٍ من الـمدينةِ إلى جبلِ أحدٍ، وفي الطَّريقِ وبالقُربِ من جَبلِ أُحدٍ انسحَبَ من الجيشِ عبدُ الله بن أُبيٍّ بنِ سلولٍ رأسُ النِّفاق بثُلثِ الجَيشِ -ثلاثمئةِ مقاتلٍ- وأرادَ بذلكَ أن يُحَطِّمَ مَعنويّاتِ الجَيشِ - مُدَّعياً أنهُ لن يَقَعَ قتالٌ مع الـمُشرِكينَ! مُعترِضاً على قرارِ الرَّسول ﷺ بالخُروج لقولِه: (أطاعَهم وعَصاني) فكَذَّبَ الله ابنَ سلولٍ وأنزلَ اللهُ على رسولِه ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران].

وكانت هذه أولَ فائدةٍ من فوائدِ غزوةِ أحد، وهي: تـمييزُ الـمنافقِين، والفَصلُ بينَهم وبينَ الـمؤمنينَ الصّادقِين.

قالَ تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾ [آل عمران].




وقد ظَهَرَ في أوساطِ الصَّحابةِ رأيانِ في الـمُنافقِينَ الذين انسحَبوا من الجيش:

الرأي الأول: قتلُ الـمنافقِينَ الذين خَذَلوا الـمسلمِينَ بعَودتِهم وانشقاقِهم عن الجيش.

الرأي الثاني: لا يَرى قتلَهم، وقد بيَّن الله عزَّ وجلّ في كتابه مَوقفَ الفريقَين في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [النساء].

عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه قال: لَـمَّا خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ

خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾[1].

وقد أثَّرَ موقفُ المنافقِينَ في نُفوسِ طائفتَينِ من المُسلمينَ، ففكَّروا بالعَودةِ إلى المدينةِ، ولكنَّهم غالَبوا الضَّعفَ الذي ألَمَّ بهم، وانتصَروا على أنفسِهم بعدَ أن تولّاهُم اللهُ تعالى، فدَفَعَ عنهمُ الوَهَن، فثَبَتوا معَ المؤمِنينَ وهما: بنو سلمةَ (من الخزرج) وبنو حارثةَ (من الأوس).

وقد أخبرَنا ربُّنا جلَّ وعلا في كتابِه عن موقفِ الطّائفتَين.

فقالَ تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

عن جابر رضي الله عنه قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بَنِي سَلِمَةَ وَبَنِي حَارِثَةَ وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾»[2].



ولما انسحبَ ابنُ سلولٍ زعيمُ المنافقِينَ، هو ومَن على شاكلتِه بثُلثِ الجَيشِ تَبِعَهُم عبدُالله بنُ حِرامٍ -والدُ جابرِ بنِ عبدِ الله- ينصحُهم بالثَّباتِ ويُؤنِّبُهم على العَودة، ويُذكِّرُهم بواجِبِ الدِّفاعِ عن المدينةِ ضِدَّ المُغيرِينَ إذا لم يكُن لهم إيمانٌ باللهِ واليوم الآخرِ وثقةٌ بالإسلام ورسولِه، فأبى ابنُ أُبيٍّ الاستماعَ إليه، وفيه ومن انسحَبَ معَه نزلَتِ الآية: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وقبلَ أن يَصِلَ النَّبيُّ ﷺ إلى أُحدٍ استعرَضَ الجَيشَ، فردَّ مَنْ ردَّ من الشَّبابِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).



لِصِغَرِه عن سِنِّ البُلوغِ، وأجازَ مَنْ أجازَ، وكانَ مِمَّن ردَّهم عبدُاللهِ بنُ عمرَ بنِ الـخطابِ رضي الله عنهما.

يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: «عَرَضَنِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ فِى الْقِتَالِ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِى يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي»(١).

أين تَربّى هؤلاء؟! على عقيدةِ التَّوحيدِ وعلى سنّةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

ومَضى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بجَيشِ الـمسلمِينَ وعدُدهم سبعُمئةِ مجاهدٍ فقَط -أي ما يُعادِلُ رُبعَ جيشِ الكفّارِ تقريباً-

ونَزَلَ صلى الله عليه وسلم بالجيشِ بالشِّعبِ بجَبَلِ أُحدٍ، وجَعَلَ ظَهرَ الجيشِ للجَبَلِ، وعَيَّنَ أميراً على الـمَيمَنةِ، وأميراً على الـمَيسرَةِ، وانتقى من مَهرةِ الرُّماة خمسينَ رجلاً فعيَّنَهم للحِراسةِ على الجَبَل، وأمَّرَ عليهم عبدَالله بنَ جُبَير رضي الله عنه، وأصدَرَ صلى الله عليه وسلم أوامِرَهُ الـمشدَّدَةَ للرُّماةِ فقالَ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تَشْرَكُونَا**»(٢).

وفي رواية قال لهم: «**لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا**»(٣).

وأخذَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُنظِّمُ الصُّفوفَ ويُحرِّضُ أصحابَهُ على القتالِ، ويَنفُثُ روحَ الحماسةِ والبَسالةِ في أصحابِه، فأخَذَ سيفاً وقالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّى هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّه، قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ**»، فَقَالَ سِماكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: «**فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٨٦٨) واللفظ لمسلم.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٨٧) والحاكم (٢/ ٣٢٤)، [وقال محققو الـمسند: إسناده حسن].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٤٣).




هَامَ الْـمُشْرِكِينَ»(١).

قالَ ابنُ إسحاقَ: كانَ أبو دجانةَ رجلاً شجاعاً يختالُ عندَ الحربِ، وكانَت له عِصابةٌ حمراءُ إذا اعتصَبَ بها عُلِمَ أنه سيُقاتِلُ حتى الـموتِ(٢).

وقامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟

قَالَ: «**فِي الْجَنَّةِ**»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه(٣).

وعند جبل أحد تعبَأت قريش للقتال، وهم في ثلاثة آلاف، وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الـميسرة عكرمة بن أبي جهل.

العنصر الثاني: يوم التقى الجمعان

هذا هو يومُ السَّبتِ، حيثُ التقى فيه جيشُ الإسلام الذي خَرَجَ من أجلِ –لا إله إلّا الله– معَ جيشِ الكُفرِ الذي خَرَجَ ليَقتُلَ مَنْ يقولُ لا إلهَ إلّا اللهُ، قالَ تعالى في كتابهِ عن هذا اليَوم:

﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾**﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾**﴾ [آل عمران].

وتقاربَ الجمعانِ، وتدانَتِ الفِئتَانِ، واندلَعَت نيرانُ الـمعركةِ، واشتَدَّ القِتالُ بينَ الفريقَينِ في كُلِّ نقطةٍ من نِقاطِ الـميدانِ، وكان ثِقلُ الـمعركةِ يدورُ حولَ لواءِ الـمشرِكينَ، فتقدَّمَ أَسدُ اللهِ حمزةُ إلى حاملِ لواءِ الـمشرِكينَ فقتلَه، فلـما سَقَطَ اللِّواءُ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٠).

(٢) السيرة لابن هشام (٤/ ١٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩).

خَلفَه أخوه في رَفعِه، فقتلَه حمزةُ فتتابَعَ تسعةُ رهطٍ على رفعِ رايةِ الـمشركِينَ فقتلَهمُ الـمسلمونَ، وسَقَطَ لواءُ الـمشركِينَ فلم يُرفَع.

وتقدَّمَ أبو دُجانَة نحوَ الـمشركِينَ بسيفِهِ الذي أخذَهُ من النَّبيِّ ﷺ بحَقِّه، فأعملَ فيهم سيفَه -أي حَصَدَ رؤوسَ الكفّارِ بهذا السَّيفِ-، وتَقدَّمَ حنظلةُ رضي الله عنه حتى انتهى إلى قائدِ الـمشركِينَ أبي سفيانَ فرفَعَ سيفَه عليه، فبينما هو فَوقَ رأسِه رأى رجلٌ من الـمشركِينَ الـمشهدَ فقتل حنظلةَ من ورائه -لحكمةٍ يُريدُها الله، فقد أسلمَ أبو سفيانَ بعدَ ذلكَ- ورأى النبيُّ ﷺ الـملائكة تُغَسِلُّ حنظلة، فسألَ عنه لـماذا تُغَسِّلُه الـملائكة؟ والشُّهداءُ لا يُغسَّلونَ؟ فأُخبر أنه خَرَجَ إلى الجهادِ جُنُباً -أي كانَ عَريساً- فرأى إن اغتسلَ تأخَّرَ عن الـخُروجِ فبادَرَ بالخُروجِ جُنُباً، وقُتِلَ شَهيداً فغسَّلته الـملائكةُ بينَ السماءِ والأرضِ[(١)].

حمزةُ رضي الله عنه يَحصُدُ بسَيفِهِ رؤوسَ الكُفرِ هنا وهناكَ في أرضِ الـمعركةِ، لا يَقِفُ أمامَه أحدٌ من الـمشركِينَ.

قالَ قاتلُهُ وحشيٌّ: رأيتُ حمزةَ بنَ عبدِ الـمطلبِ كالجَمَلِ الأَورَقِ، حاملٌ سيفَهُ يَقتُل به الـمشركِينَ ما يَقومُ له شيءٌ.

قالَ وحشيٌّ: وخَرَجَ إليه رَجلٌ من الـمشركِينَ فَرفَعَ حمزةُ سيفَهُ عليه فما أَخطأَ رأسَه.

وقالَ وحشيٌّ: وانتهَزتُ منه غفلةً فرفَعتُ حَربَتي حتى إذا رَضيتُها دفعتُها إليه فوقَعَت في ثُنَّتِه -أي أحشائِه- حتى خَرجَت من بينِ رِجلَيه[(٢)].

يقولُ: ولـما ماتَ حمزةُ أَخَذتُ حَربتي وذهبتُ بعيداً عنه، وليسَ لي بغيرِه

(١) **إسناده جيد**: رواه ابن حبان (٧٠٢٥)، والحاكم (٤٩١٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٦)].
(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٧٦).

حاجةٌ، ومعَ ذلكَ ماتَ حمزةُ أسدُ اللهِ، والمسلمونَ يحصُدونَ رؤوسَ الكُفرِ، ويَقتلونَ الكفّارَ حتى أنهم ولّوا مُدبرينَ.

حاولَ الـمشركونَ وقفَ هذا الزَّحفِ الـهائلِ، والسَّيلِ العارمِ، ولكن دونَ جَدوى، فتفرَّقوا وولَّوا مُدبِرينَ، ولم يَجترئ أحدٌ من الـمشرِكينَ أن يَدنُوَ من لوائِهمُ الذي سَقَطَ على الأرضِ، وأخذَ جيشُ الكُفرِ في الانسحابِ من أرضِ الـمعركةِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أَنزلَ اللهُ نَصرَه على الـمسلمِينَ وَصَدَقَهُم وَعْدَهُ فحسُّوهم -أي قتَلوهم- بالسُّيوفِ حتى إذا كَشَفوهم عن الـمُعَسكرِ وكانَتِ الـهزيمةُ لا شكَّ فيها.

روى عبدُالله بن الزُّبَيرِ عن أبيهِ أنه قالَ: والله لقد رأيتُني أنظرُ إلى خَدَمِ -أي سُوقِ- هندٍ بنتِ عتبةَ وصواحبِها مُشَمّراتٍ هواربَ ما دونَ أَخذِهنَّ قليلٌ ولا كثير[1].

ويقولُ البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه: «فَلَـمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ»[2].

ويقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ما نُصِرَ النَّبيُّ ﷺ في موطنٍ كما نُصِرَ يومَ أُحُد.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران:١٥٢].

يقولُ ابنُ عباسٍ: وَالْحَسُّ: الْقَتْلُ[3].

وبينَما كانَ الجيشُ الإسلاميُّ بعدَدِه القليلِ يُسجِّلُ مرَّةً أخرى نَصراً ساحِقاً

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٨٧)، والحاكم (٢/ ٣٢٤).



على جيشِ الكُفر، لم يكن أقلَّ روعةً من النَّصرِ الذي اكتسبَه يومَ بدرٍ، وَقعَت من أغلبيَّةِ الرُماةِ غَلطةٌ فظيعةٌ قلَبَتِ الوَضعَ تـماماً، وأدَّت إلى إلحاقِ الـخسائرِ الفادحةِ بالمسلمِينَ وكادَت تكونُ سبباً في مَقتلِ النَّبيِّ ﷺ.

ولـما رأى الرُّماةُ أن الـمسلمِينَ بدؤوا يَجمعونَ الغَنائِمَ التي خلَّفَها الـمشركونَ، قالَ بعضُهم لبعضٍ: الغنيمةَ! الغنيمةَ! ظهَرَ أصحابُكم فماذا تَنتظرونَ؟ أما قائدُهم عبدُاللهِ بنُ جُبَيرٍ فقالَ لهم: أنَسيتُـم عهدَ رسولِ اللهِ إليكُم؛ ألا تَبرحوا مكانَكم حتى يأذنَ لكم؟ قالوا: إنما أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ أن نَحمِيَ ظَهرَ الجيشِ حتى يَنصُرَهُمُ اللهُ، وقد نَصرهُم اللهُ، واللهِ لنأتيَنَّ القومَ فنُصيبَ معَهم من الغنائم، فنَزَلَ أربعونَ من الرُّماةِ وبَقيَ الأميرُ في عشرةٍ فقط.

نَظَرَ خالدُ بنُ الوليدِ وقد ولّى هارباً، فإذا الجبلُ قد انكشَفَ ولم يَبقَ عليه غيرُ عشرةٍ، فاستدارَ خالدٌ في نَفَرٍ من فُرسانِ الـمشركِينَ وعَلَوا الجبلَ -أي جَبَلَ الرُّماةِ- فقَتَلوا أميرَ الرماةِ ومن مَعَه، ثم دَخَلوا في الـمسلمِينَ من ورائِهم فأصابُوا منهُم ما أصابُوا، وصَرَخَ عدوُّ اللهِ إبليسُ في الـمسلمِينَ: أي عبادَ الله أُخراكم، أي جاءَكم العَدوُّ من ورائِكم، فرجَعَت أولاهُم على أُخراهُم فاجتلدَت أولاهُم مع أُخراهُم -المسلمُون أنفسُهم- هؤلاءِ راجعون وَهؤلاءِ مُتقدِّمونَ، فعميَتِ الأبصارُ فلَم يَلتفِتُوا إلى شيءٍ وجَعَلُوا يَضرِبُونَ بعضَهم بَعضاً، ونظرَ حذيفةُ بن اليمانِ فرأى أباهُ الـمسلمَ والسُّيوفُ تَعملُ فيه فقالَ: أبي أبي، فما انحَجَزوا عنه حتى قتلوه.

ونظرَ رسولُ اللهِ ﷺ فرأى أصحابَه قد ولَّوا عنه مُدبرينَ فجَعَلَ يُنادي:

إليَّ عبادَ اللهِ! إليَّ عبادَ الله! فسَمِـعَ الـمُشركونَ صوتَه فعرَفوه، فأقبَلوا عليه يُريدونَ قتلَه ولكنَّ اللهَ عصمَه، فأنزلَ ملائكتَهُ تُقاتِلُ دونَه.




ومع ذلكَ خَلُصَ بعضُ الـمشركِينَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ نفسِه وهو في سَبعةٍ من الأنصارِ ورجلَينِ من قُريش.

فقال: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ -أَوْ- هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ**»(١).

وأنزلَ اللهُ تباركَ وتعالى جبريلَ وميكائيلَ يُدافعانِ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

عن سعدِ بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ»(٢).

وقامَ سعدُ بن أبي وقّاص بينَ يدَي رسولِ اللهِ ﷺ يَرُدُّ الـمشركِينَ عنه، ونَثَلَ رسولُ اللهِ ﷺ له كِنانَتَهُ، وجمعَ له أبوَيه ولم يجمعْهُما لغَيرِه وقالَ ﷺ: «**ارمِ سعد! فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(٣).



وترَّسَ أبو طلحةَ رضي الله عنه على رسولِ اللهِ ﷺ، وجَعَلَ يحمي السِّهامَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فيتلقَّفُها في صدرِهِ ونحرِهِ وظهرِه، وجَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**ارم أبا طلحة! ارم أبا طلحة**».

وكلَّما مرَّ رجلٌ من الـمسلمينَ معَه سهامٌ قالَ: «**انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ**»، فيَرمي أبو طلحةَ فيَنظرُ رسولُ اللهِ ﷺ أينَ وَقعَ السَّهم، ويقولُ أبو طلحةَ له: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ»(٤).

ورَغمَ استبسالِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم في الدِّفاعِ عن رسولِ اللهِ ﷺ فقَد أُصيبَ إصاباتٍ كثيرةٍ منها: كُسِرَت رَباعِيَتُه، وسالَ الدَّمُ من وَجهِه، ووَقَعَ ﷺ في حُفرةٍ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦)، واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١).



ودَخَلَت حلقَةُ الـمِغفَرِ في وَجنتَيه، وجَعَلَ ﷺ يقولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ**».

فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران][1].

وقد أُشيعَ بينَ الصَّحابةِ رضي الله عنهم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد قُتِلَ، فاغتَـمَّ الـمسلمونَ غماً على غَمِّهم، وحُزناً على حُزنهم، وتولّى بعضُهم إلى الـمدينةِ، وانطلَقَت طائفةٌ فوقَ الجبلِ، واختلَطَت على الصَّحابة أحوالُـهم فما يَدرونَ كيفَ يَفعلونَ. كما قالَ تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران:١٥٣]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وقـالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران].



أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ في الانسحابِ بالبَقيَّةِ الباقيَةِ حولَه حتّى انتَهى بهم إلى الشِّعب، وأرادَت قُريشٌ أن تـمنع هذا الانسحاب ولكن دونَ جدوى، فانتَهى رسولُ اللهِ ﷺ بأصحابهِ إلى الشِّعبِ الذي قَد نَزَلَ فيه في أولِ القتالِ.

وقد يَئِسَ الـمشركونَ من إنهاءِ الـمَعركةِ بنَصرٍ حاسمٍ، وتَعِبوا من طولِـها ومن جَلادةِ الـمسلمينَ فكفُّوا عن القِتال.

فانتهزَها أبو سفيانَ فُرصةً ليولِّيَ الأدبارَ هو الآخر، وخافَ أن تكونَ الجولةُ الثانيةُ للمسلمِينَ كما كانَت لهمُ الجولة الأولى، إلَّا أنه وَقَفَ يشَمَتُ بالمُسلمِينَ، ويفَخَرُ بآلهتِهم وجَعَلَ يُنادي: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، فقال:

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٩١).



أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟

أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟

فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا -لتعلموا أنهم قد جاءوا للقَضاءِ على محمَّد ﷺ وعلى كبارِ الصَّحابة- فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ.

فقال أبو سفيان: أُعْلُ هُبَلْ.

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا نَقُولُ؟

قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**».

قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟**».

قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: «**اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**».

قالَ أبو سفيانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي» -أي لم آمر الجيش أن يمثل بقتلاكم، ولكن لم يسؤني.

وفي روايةٍ أُخرى قالَ عمرُ: «لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ»[١].

ومَثَّلَ المشركونَ يومَ أُحدٍ بقتلى المسلمينَ، جَدَعوا أُنوفَهم وآذانَهم، وبَقَروا بطونَهم، وَمَثَّلوا بأنسِ بنِ النَّضرِ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[٢].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٣٩، ٤٠٤٣)، والرواية الأخرى عند أحمد في مسنده (١/ ٢٨٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).




العنصر الثالث: ما فعله الرسول ﷺ بعد انتهاء الغزوة.

ولـما ولَّى الـمُشركونَ مُدبرِينَ ولم يُحرِزوا نَصراً، ولم يَقتُلوا ما أرادوا من الـمسلمِينَ، ولكنَّهم أصابوا من الـمسلمِينَ ما أصابُوا لحكمةٍ يُريدُها اللهُ، قامَ ﷺ وَصَفَّ الـمسلمِينَ خلفَه ثم رَفَعَ يدَيه يُثني على ربِّه:

«**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِـمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِـمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِـمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِـمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِـمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِـمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِـمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْـمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ ،وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ**»(١).

ثمَّ قامَ ﷺ يتفقَّدُ أصحابَه ويَجمَعُ الشُّهداءَ، وحَمَلَ نفرٌ من الـمسلمِينَ شهداءَهم ليَدفنوهُم بالمدينةِ في مقابرِ أهلِهم فنادى مُنادي رسولِ اللهِ ﷺ : «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَضَاجِعِهِمْ فَرَدَدْنَاهُمْ »(٢).

ومن هُنا كانتِ السُّنَّةُ عدمَ نقلِ الـمَوتى من بلدٍ إلى بلدٍ.




(١) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (١٠٤٤٥)، وأحمد (٣/ ٤٢٤)، والبخاري في «الأدب الـمفرد» (٦٩٩)، [«فقه السيرة» للغزالي (ص٢٨٤-٢٨٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١٦٥)، والترمذي(١٧١٧)، والنسائي (٤/ ٦٥)، وابن ماجه(١٥١٦)، [«صحيح سنن النسائي» (١٨٩٣)].

وقامَ ﷺ بنفسه يُشرِفُ على دَفنِ الشُّهداء، وأَمرَ أن يُدفَنوا في ثيابِهم ودمائِهم ولم يُغسِّلهم ولم يُصَلِّ عليهم، وكانَ ربّما جَمَعَ الشَّهيدَين والثَّلاثةَ في قَبرٍ واحدٍ، لكنَّه كانَ يقولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ**» إكراماً لأهلِ القرآن.

فلـمّا فَرَغَ من دفنِهم قامَ ينظرُ إليهم، ويَشهَدُ لهم شهادةً لا تُردُّ أبداً إن شاءَ اللهُ تعالى، قامَ يقولُ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ**»[١]



وقالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْـمِسْكِ**»[٢]

ثم عادَ النَّبيَّ ﷺ آخرَ النَّهارِ من يوم السَّبتِ، السادس من شوّال، من السَّنةِ الثّالثةِ للهجرةِ، فلـما باتَ ليلةَ الأحدِ خافَ ﷺ أن يَرجِعَ العدوُّ إلى الـمدينةِ مرَّةً أُخرى، فانتدَبَ سبعينَ من أصحابه يَخرُجونَ في إثرِ العَدوّ.



عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قرأَت قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[آل عمران].

فقالت لعروة ابن أختها: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ لَـمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْـمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ»[٣].

ولـما انتهى أبو سفيانَ إلى مكانٍ بعيدٍ عن الـمدينةِ لَقيَه رجلٌ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٠٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨)، واللفظ للبخاري.

فقال: هل أنتَ مُبلِّغٌ عنِّي محمَّداً ولكَ كذا وكذا؟ قال: نعم.

فقال: أَخبِر محمَّداً أنا راجعونَ إليهم لنستأصِلَ بقيَّتَهم ونسبِيَ نساءَهم وذرارِيَهم، فلما بَلَغَ الخبرُ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه، قالوا: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**».

يقولُ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وأصحابه حين قال لهم الناس: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣**﴾»[1].

حسبُنا اللهُ لدِينِنا، حسبُنا اللهُ لكتابِنا، حسبُنا اللهُ لسُنَّةِ نبينا، حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل.

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعزَّ المسلمِينَّ واخذُلِ الشِّركَ والمُشركِينَ، اللَّهم عليكَ بالكَفَرةِ الفَجَرةِ الذين كَذَّبوا رَسولَكَ وصدُّوا عن سبيلِك.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٦٣).

٣٥

الدروس والعظات والعبر والفوائد التي تؤخذ من غزوة أحد

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الدُّروسِ والعِظاتِ والعِبَرِ والفَوائدِ التي تُؤخَذُ من غَزوةِ أُحد.

الفتحُ والنَّصرُ في المعاركِ من خصائصِ المسلمِينَ فقط، وأما ما ينالُه الكفّارُ من المسلمِينَ في بعضِ المعارِكِ، فإنما هو نَصيبٌ فقط، قدَّره اللهُ عزَّ وجلَّ لحكمةٍ يعلمُها وهو الحكيمُ العليم.

وقالَ تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء].

ففي هذه الآيةِ سمّى اللهُ تعالى ما يكونُ للمؤمنِينَ فتـحاً ونَصراً، وسمّى ما يكونُ للكافرِينَ نصيباً.

والذي حَدَثَ في غزوةِ أُحدٍ كانَ نَصراً عظيماً للمؤمنِينَ، ويَظهَرُ ذلكَ من الجولةِ الأولى في المعركةِ؛ فقد حَصَدَ المسلمونَ رؤوسَ الكفّارِ، وسَقَطَ لواءُ المشركِينَ وولَّوا مُدبرِينَ، وتَبِعَهُمُ المسلمونَ يقتُلونَهم ويَجمعون الغَنائِم.




ولذلكَ قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «ما نُصر النَّبيُّ ﷺ في مَوطنٍ كما نُصِرَ يومَ أُحد»: فلما أُنكِرَ عليه ذلك قال: «بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله عزَّ وجلّ؛ إن اللهَ يقولُ في يومِ أحدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران:١٥٢]».

يقولُ ابنُ عباسٍ: «وَالْحَسُّ: الْقَتْلُ»(١).

وإنما دالتِ الدولة لَـمَّا عَصَوا الرَّسولَ ﷺ وفَشِلُوا وتَنازعوا في الأمرِ، وكانَ ما كانَ لحكمةٍ يَعلمُها الله.

ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

والسؤالُ الذي يَفرِضُ نفسَه الآن:

كيفَ يكون الذي أصابَ الـمسلمِينَ في غزوةِ أحدٍ نَصراً عظيماً؟

الجواب: إن النَّصرَ كانَ للمسلمِينَ في أول الـمعركة لا يقلُّ عن النَّصرِ ببدرٍ، ولـما أصابَ الـمسلمِينَ ما أصابَهم بسبَبِ الـمخالفةِ التي وَقَعَت من بعضِ الرُّماةِ، علَّم اللهُ تباركَ وتعالى الـمسلمِينَ، وجَعَلَهم يأخُذونَ من غزوةِ أحدٍ الدُّروسَ والعِظاتِ والعبرَ التالية:

أولاً: تبيَّنَ للمسلمِينَ خَطَرُ النِّفاقِ والمنافِقينَ على الإسلام والـمسلمِينَ، وظَهَرَ ذَلكَ عندَما رَجَعَ عبدُاللهِ بن أُبيٍّ بنِ سلولٍ زعيمُ الـمنافقِينَ بثُلثِ الجيشِ،

(١) رواه أحمد (١/ ٢٨٧)، والحاكم (٢/ ٣٢٤).

قَبلَ الوُصولِ إلى جَبلِ أُحد.

قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ (١٦٧)﴾ [آل عمران].

وهذه هي أولُ فائدةٍ من فوائدِ غزوةِ أحدٍ، وهي تَـمييزُ الـمنافقِينَ والفَصلُ بينَهم وبينَ الـمؤمنِينَ الصادقِين.

قالَ تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (١٧٩)﴾ [آل عمران].



بعدَ النَّصرِ العظيمِ الذي مَنَّ اللهُ به على الـمؤمنِينَ في غزوةِ بدرٍ الكُبرى، دَخَلَ في الإسلامِ بعضُ النّاسِ، ظاهرُهمُ الإسلامُ وباطنُهم الكفر، يقولونَ بألسنتِهم ما ليسَ في قلوبِهم، فاقتضَت حِكمةُ العليمِ الحكيمِ أن يَمتَحنَ الـمسلمِينَ بما أصابَهم يومَ أحدٍ، حتى يميزَ الـخبيثَ من الطَّيِّبِ، ويتبيَّنَ الكاذبُ من الصّادقِ.

قالَ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت].

فبَعدَ غزوةِ أُحدٍ انقَسَمَ النّاسُ إلى ثلاثةِ أقسام:

كافرينَ ظاهرُهم الكفرُ وباطنُهم الكفر، ومؤمنِينَ ظاهرُهم الإيمانُ وباطنُهم الإيمانُ، ومنافِقينَ ظاهرُهم الإسلامُ وباطِنُهم الكُفر.

ولـما كانَ الـمُنافِقُ أشدَّ خطراً على الإسلامِ والـمسلمِينَ من غيرِه؛ لأنه لا



يَظهَرُ ولا يُعْرَفُ، فقد فَضَحَهمُ اللهُ في كتابهِ وحذَّرَ المؤمنِينَ منهم.

فقالَ تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

ولئِن أفادَت غزوةُ بدرٍ في خَذلِ الكافرينَ، فإن غَزوةَ أُحدٍ أفادَت مثلَها في فَضحِ المنافِقين، ورُبَّ ضارَّةٍ نافعةٌ، وربَّما صحَّتِ الأجسادُ بالعِلَلِ.

ثانياً: تبيَّن للمسلمِينَ بعدَ غزوةِ أُحدٍ أن النَّصرَ يكونُ مع الصَّبرِ والاعتصامِ والطَّاعةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ، وأن الخِذلانَ يكونُ مع الاستعجالِ والتَّفرُّقِ والتَّنازُعِ والمعصيةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

بالصَّبرِ نَنتصرُ على أعدائِنا كما قالَ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[1] ولذلكَ أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ والمسلمِينَ بالصَّبرِ وعدَمِ الاستعجال.

قالَ تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف]، وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، وعبد بن حميد (٦٣٦)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

وقالَ ﷺ: «..والله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

فليتَّقِ اللهَ دعاةُ الاستعجالِ، فقد جاءَ الإسلامُ يأمُرُ بالاتِّحادِ والاعتصامِ، وينهى عن التَّفرُّقِ والتَّنازُعِ والاختلاف.

قالَ تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، وقالَ تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

بالطاعةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ نَنتصرُ على أعدائنا، وبالمعاصي نَنهزم، ولذلكَ جاءَ الإسلامُ يأمرُ بالطاعةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ، ويُحذِّرَ من المعاصي؛ لأنَّ المعاصي سببُ الخذلان.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد]، وقالَ تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

ولذلكَ لما تَعجَّبَ المسلمونَ مِنَ الذي أصابَهم في غزوةِ أُحدٍ، أخبرَهُم اللهُ عزَّ وجلّ أن المخالفةَ التي وَقَعَت من الرُّماةِ هي السَّبب. قالَ تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[آل عمران].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٤٣).

أمة الإسلام! بمخالفةٍ واحدةٍ وَقعَت من بعضِ الرُّماةِ في غَزوةِ أُحدٍ؛ نَزلَ ما نَزلَ بالـمسلمِينَ، فما بالُنا بالمخالفاتِ الكثيرةِ التي تَقَعُ من الأمّةِ في هذا الزَّمان.

فكونوا من الاستعجالِ على حَذرٍ، وكونوا من التَّنازُعِ والفُرقةِ على حَذر، وكونوا من الـمعاصي والذُّنوبِ على حَذرٍ، فإن ذلكَ من أسبابِ الـخِذلان.

ثالثاً: تَبيَّنَ للمسلمِينَ بعد غزوةِ أُحد، أن من سنَّةِ اللهِ وحكمتهِ في رُسُلهِ وأوليائهِ وأحبابهِ، أن يُدالوا مرَّةً، ويُدالُ عليهم أُخرى، لكن تكونُ لهم العاقبة.

قالَ تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

ولذلكَ كانَ الذي أصابَ الـمسلمِينَ في غَزوةِ أُحدٍ؛ علماً من أعلام النبوة، ودليلاً على صِدقِ النَّبيِّ ﷺ في قولهِ للنّاسِ إني رسولُ اللهِ إليكم جَميعاً، ولذلكَ لـما بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ كتابه إلى هرقلَ ملكِ الرُّومِ يدعوه فيه إلى الإسلامِ يقولُ له: «**أَسلِمْ تَسلَم**».



قالَ هرقلُ لحاشِيَتهِ: ائتوني بمَن بأَرضي من العَرَبِ، فجيء بأبي سفيان ومعه نفر من الـمشركين.

فسألَه هرقل عن أحوال النبي ﷺ، وكانَ من ضِمنِ الأسئلة:

فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ

قالَ أبو سفيان: نَعَمْ

قالَ (هرقل) فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ

قالَ أبو سفيان: كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا، يُدَالُ عَلَيْنَا الْـمَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى.



فقال هرقل: وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ[1].

ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾ [آل عمران].

رابعاً: تبيَّنَ للمسلمينَ أنه إذا ماتَ الرَّسولُ بَقيَتِ الرِّسالةُ، وإذا ماتَ الدَّاعيةُ بَقِيَتِ الدَّعوة، وأنه يَجِبُ على الـمُسلمِ أن يَموتَ على الإسلامِ والتَّوحيدِ، سواءٌ ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ أو بَقِيَ.

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله في «زاد الـمعاد» (ص٢٢٤).

ومنها -أي من الحِكَم والغاياتِ الـمَحمودةِ التي كانَت في غزوةِ أُحدٍ-:

أنَّ وَقعَةَ أحدٍ كانت مُقدِّمةً وإرهاصاً بين يَدَي موتِ رسولِ الله ﷺ فثبَّتَهم، ووبَّخَهم على انقلابِهم على أعقابِهم إن ماتَ رسولُ الله ﷺ أو قُتِل، بل الواجبُ له عليهم أن يَثْبُتوا على دينِه وتوحيدِه ويَموتوا عليه، أو يُقتَلوا فإنهم إنما يَعبدونَ ربَّ محمَّدٍ ﷺ وهو حيٌّ لا يَموت.

فلو ماتَ محمَّدٌ ﷺ أو قُتِلَ لا يَنبغي لهم أن يَصرفَهم ذلكَ عن دينِه وما جاءَ به، فكلُّ نفسٍ ذائقةُ الـمَوتِ، وما بُعثَ محمَّدٌ ﷺ ليُخَلَّدَ لا هو ولا هُم، بل ليَموتُوا على الإسلامِ والتَّوحيدِ، فإن الـمَوتَ لابدَّ منه سواءٌ ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ أو بَقِيَ، ولهذا وبَّخَهم على رجوعِ من رَجَعَ منهم عن دينهِ لـما صَرَخَ الشَّيطان: إن مُحمَّداً قد قُتِل.

فقالَ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ [آل عمران].

خامساً: تـحصَّلَ كثيرٌ من الـمسلمينَ في غَزوةِ أُحدٍ على الشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ،

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣).

والشَّهادةُ في سبيلِ اللهِ درجةٌ عاليةٌ يتطلَّعُ إليها كلُّ مُسلم ومسلمةٍ، والصَّحابةُ رضي الله عنهم هم أحرصُ النّاسِ على طَلَب الشَّهادةِ في سبيلِ الله.

تعالَوا بنا لنتعرَّفَ على بعضِ الصَّحابةِ الذين فازوا بالشَّهادةِ في غزوةِ أُحدٍ.

١- سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب:

عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ وأخوهُ من الرّضاعةِ، ذهبَ جماعةٌ إلى وحشيٍّ فقالوا له: أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟



قَالَ: نَعَمْ ! إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟

قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ -أي لا ينالهم منه مكروه- الرُّسُلَ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**آنْتَ وَحْشِيٌّ**»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ**»؟ قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**»؟

فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا



كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ»[١].



٢- أنس بن النضر رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه قال: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْـمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْـمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ.

فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْـمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ (يَعْنِي أَصْحَابَهُ)، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ (يَعْنِي الْـمُشْرِكِينَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ! الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ! إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ.

قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْـمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب][٢].

٣- عبدالله بن حرام، والد جابر بن عبدالله رضي الله عنهما:

عن جابرِ بن عبدِالله رضي الله عنهما قال: لَـمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).



أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخَرِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لَـمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتِ الْـمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لَـمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟! قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران](٣).



٤- عمرو بن الجموح رضي الله عنه:

و كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ شَبَاباً يَغْزُونَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠١٠)، ابن ماجه (١٩٠)، واللفظ لابن ماجه، [«صحيح الجامع» (٧٩٠٥)].

مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّوَجُّهَ إِلَى أُحُدٍ قَالَ لَهُ بَنُوهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَو قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ، فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ، وَقَالَ لِبَنِيهِ :وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدَعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ؟، فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا»[(١)].

وهناكَ زيادةٌ في «مسند الإمام أحمد»[(٢)]: أن رسول الله ﷺ مرّ عليه بعد ما قتل فقال ﷺ «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ**»[(٣)].




٥- عبدالله بن جحش رضي الله عنه:

عن سعيدِ بن المسيِّبِ قالَ: قالَ عبدُ اللهِ بنُ جحشٍ رضي الله عنه: اللَّهم إنِّي أُقسمُ عليكَ أن ألقى العدوَّ غداً، فيَقتلوني ثم يَبقروا بطني، ويَجدَعوا أنفي وأُذُني، ثم تسألني بمَ ذاك؟ فأقول: فيك.

قال سعيدُ بن المسيِّب: إني لأرجو أن يبرَّ اللهُ آخرَ قَسَمِه كما برّ أوله»[(٤)].

وهذا الشّاهدُ من زيادةٍ في آخرِه، قال سعدٌ: فلقد رأيتُه آخرَ النَّهارِ وإنَّ أنفَه وأذنَه معلَّقتانِ في خَيطٍ»[(٥)].

سادساً: عزّى اللهُ نبيَّه وأولياءَه في شهدائِهِمُ الذين قُتِلوا يومَ أُحدٍ أحسَنَ عزاءٍ

(١) **صحيح**: رواه البيهقي (٩/ ٢٤)، [«فقه السيرة» (ص٢٦٢)].

(٢) **حسن**: مسند أحمد (٥/ ٢٩٩)، [«أحكام الجنائز» (ص ١٤٦)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، [«فقه السيرة» (ص٢٦٢)].

(٤) **صحيح بشواهده**: رواه الحاكم (٣/ ٢٢٠)، [«فقه السيرة» (ص ٢٦٠)].

(٥) **صحيح**: رواه السنن الكبرى (٦/ ٣٠٧-٣٠٨)، [«فقه السيرة» (ص٢٩٢)].

وألطفه وأبرَّه، فقالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران].

عن مسروقٍ قالَ: سألنا ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه عن هذه الآيةِ فقال:

أما إنّا قد سألنا عنها رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**»(١).

وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلّ قرآناً يُتلى إلى يوم القيامةِ، يَمسَحُ به جراحاتِ المسلمِينَ ويُزيلُ به عنهم ما أصابَهم في غزوةِ أُحدٍ. فقالَ تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٨٧).

سابعاً: فائدة:

إن الذي يقرأُ الآياتِ السِّتِّينَ التي نَزَلَت في سورةِ آلِ عمرانَ تَتحدَّثُ عن غزوةِ أُحدٍ، يرى أن اللهَ تبارك وتعالى تخلَّلَها بنداءٍ على المؤمنِينَ يُحذِّرُهم فيه من أكلِ الرِّبا. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران].

فهذا سؤالٌ يَفرِضُ نفسَه الآن.

ما السِّرّ؟ وما الحكمةُ في النَّهيِ عن الرِّبا في هذا الموضِع؟

الجواب: أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ مُحتاجٌ للمالِ كما هو مُحتاجٌ للنَّفس، ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ ثم قالَ تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]



والجهادُ بالمالِ قرينُ الجهادِ بالنَّفس. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾[التوبة:١١١] وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾[الصف:١٠-١١].

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[1].

وكما يَجِبُ أن تُخَلَّصَ النَّوايا من كلِّ الشَّوائبِ، يَجِبُ أن تُخَلَّصَ الأموالُ التي تُنفَقُ في الجهادِ من كلِّ الشَّوائبِ، وأوسخُ شائبةٍ تشوبُ المالَ هي شائبةُ الربا،

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٦/ ٧)، وأحمد (٣/ ١٢٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٩٠)].

وإنفاقُ الـمالِ الرِّبويِّ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ من أكبرِ أسبابِ الـهزيمةِ والخِذلان.

وذلكَ لأن أكلَ الرِّبا من أكبرِ الكبائرِ، والمعاصي -كما تبيَّنَ لنا- من أسبابِ الـهَزيمةِ والخِذلان.

قالَ ﷺ: «**إذا ظهر الزنا و الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذابَ الله**»(١).

وأعلنَ اللهُ تباركَ وتعالى الحربَ على آكلِ الرِّبا. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].



والنبيُّ ﷺ حذَّر من الرِّبا تـحذيراً شديداً.

فقال ﷺ: «**دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**»(٢).



وقال ﷺ: «**الربا ثلاثة و سبعون باباً؛ أيسرها مثلُ أن ينكحَ الرجلُ أمَّه**»(٣).

ولـما كانَ اللهُ تعالى يُعلِّمُ الـمؤمنينَ ويُربِّيهم على الابتعادِ عن كلِّ عواملِ الـهزيمةِ والخِذلان، عرَّفَهم بجريمةِ الرِّبا أثناءَ الحديثِ عن غَزوةِ أُحدٍ ليَبتعِدوا عنها ويتَّقُوها.

فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران].

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٤٦٠)(١/ ١٧٨)، والحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والبزار (٣٣٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٣٣)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة بلفظ (الربا سبعون حوباً)، ورواه الحاكم (٢/ ٤٣) من حديث ابن مسعود، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥١)].

ولقد استفادَ الـمسلمونَ الأوَّلونَ مما نَزَلَ عليهم من عندِ ربِّهم في شأنِ غزوةِ أحدٍ استفادةً عظيمةً، فما هُزِمُوا بعدَها لأنهم أَخَذوا منها العِبَرَ والعِظاتِ، وتَـجنَّبوا أسبابَ الـهَزيمةِ والخِذلان، فكانَ النَّصرُ حليفَهم بفَضلِ الله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].







٣٦

غدر الكفار: مأساة يوم الرجيع، ومأساة بئر معونة

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غدرِ الكفّار.

ويتـمثَّلُ هذا الغَدرُ في مأساةِ يومِ الرَّجيعِ، ومأساةِ بئرِ مَعونةَ.

تكلَّمنا عن غزوةِ أُحدٍ وتبيَّنَ لنا أن الذي أصابَ الـمسلمِينَ فيها كانَ بسببِ الـمخالفةِ التي وَقَعَ فيها بعضُ الرُّماةِ؛ عندَما أمرَهم النَّبيُّ ﷺ أن يَقِفوا على الجَبلِ ولا يَتركوه فنزَلوا ليَجمَعوا الغنائمَ فكانَ ما كانَ.

واللهُ يخبرُنا بذلكَ فقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران].

وكانَ من نتائجِ غزوةِ أحدٍ أن تـجرّأَ الكفّارُ على الـمسلمِينَ، وأخَذوا يُفكِّرونَ في استئصالِ الـمسلمِينَ وإبادتِهم، ففي مكَّةَ أخذَ أبو سفيانَ بن حربٍ يهدِّدُ ويتوعَّدُ، واليهودُ في الـمدينةِ تَـخونُ وتَغدُر، ويَفرَحونَ بما حَدَثَ للمسلمِينَ في أُحدٍ، والقبائلُ العَربيّةُ من الأعرابِ حولَ الـمدينةِ تَعتدي وتـخونُ وتَغدرُ وهم أشدُّ كفراً ونفاقاً.



وبالفِعلِ بدأَ الكُفّارُ -والكُفرُ ملَّةٌ واحدةٌ- في التَّحرُّشِ بالمسلمِينَ، ولكن لا عن طريقِ التَّصريحِ والمواجهةِ، بل عن طريقِ الحيلةِ والمكرِ والخَديعةِ والغَدرِ؛ ويَظهَرُ ذلكَ جليّاً من مأساةِ يومِ الرَّجيعِ، ومأساةِ بئرِ معونةَ.

تعالَوا بنا لنَستمِعَ إلى ما حَدَثَ في يومِ الرَّجيعِ، وما حَدَثَ عندَ بئرِ معونةَ؛ ليتبيَّنَ للجَميعِ أن الغَدرَ والمكرَ والخِيانةَ من شِيَمِ وأخلاقِ الكفّارِ من قَديمِ الزَّمانِ وحتى يومِنا هذا، وليسَت من شِيَمِ المسلمِينَ.

أولاً: مأساة يوم الرجيع.

والرَّجيعُ هو: اسمٌ للمكانِ الذي وقَعَت عندَه المأساةُ، وتَتلخَّصُ هذه المأساةُ فيما يلي:

أرسَلَت قبيلتانِ من القبائلِ العربيَّةِ المجاورةِ للمدينةِ -عُضَلُ والقارةُ- وافدَهم إلى النَّبيِّ ﷺ يُخبِرُه أنَّ بهم إسلاماً، وأنهم يُريدونَ أن يبعَثَ النَّبيُّ ﷺ إليهم من يُفقِّهُهم في الدِّينِ، ويُعلِّمُهم القرآنَ وأحكامَ الإسلامِ، ولما كانَ النَّبيُّ ﷺ حريصاً على تبليغِ دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ ونَشرِ الإسلامِ وإظهارِه استجابةً لأمرِ ربِّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:٦٧]، فقدِ استجابَ لهم ﷺ وبَعثَ لهم عشرةً من أصحابِه، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه.



فلما وَصَلَ الوفدُ إلى مكانٍ يُسمّى الرَّجيعَ بين عَسفانَ ومكَّةَ، أغارَ عليهم بنو لِحيانَ (من هُذَيل) وهم قريب من مئتي مقاتلٍ، فأحاطوا بهم، وقد لجأَ الوفدُ من الصَّحابةِ إلى مكانٍ مُرتفعٍ.

قالَ المشركونَ للوَفدِ: لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ -وهو أميرُهم-: أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ



أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ»(١)، فاستجابَ اللهُ لعاصمٍ فأخبرَ رسولَه خبرَه، فأخبرَ أصحابَه بذلكَ يومَ أصيبوا.

وفي روايةٍ: «فقال عاصمٌ: اللَّهمَّ إني أحمي لكَ اليوم دينَك فاحمِ لحمي»(٢).

فقاتَلوهم حتّى قَتَلوا عاصماً في سبعةِ نفرٍ بالنَّبلِ، وبَقيَ خُبيبُ بنُ عَديٍّ وزيدُ ابن الدَّثِنة، وعبدُالله بنُ طارق.

بَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْش إِلَى عَاصِم بْن ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أَنْ يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا.

وكانَ عاصمٌ ﷺ قد أعطى اللهَ تعالى عهداً أن لا يَمسَّه مُشرِكٌ، ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً، فوفَّى اللهُ تباركَ وتعالى له.

فكانَ عمرُ بن الخطابِ ﷺ يقولُ لما بلغَه خَبرُه: يَحفَظُ اللهُ العبدَ المؤمنَ بعدَ وفاتهِ كما يحفَظُه في حياته.

وبَقِيَ من الوَفدِ خُبيبٌ وزيدٌ وعبدُالله، فدَعاهمُ المشركونَ إلى النُّزولِ، وأعطَوهم العَهدَ والميثاقَ ألا يَقتُلوهم فنزَلوا.

فلما استمكنَ المشركونَ من الصَّحابةِ الثلاثةِ -ربَطوهم بالحبال- فقال عبدالله بن طارق: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْر، وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أُسْوَةً -يُرِيدُ الْقَتْلَى- فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَانْطُلِقَ بِخُبَيْبٍ وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ خُبَيْبًا.

فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري(٣٠٤٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١١١).



مُوسًى يَسْتَحِدُّ بهَا فَأَعَارَتْهُ - اللهُ أكبرُ! ما هذا يا خُبيبُ! غداً ستُقتَلُ وتَستعيرُ هذه الـمُوسى لتَحلِقَ عانَتك تطبيقاً لسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أين تَربّى هؤلاءِ؟! حَرِصٌ على السُّنّة في آخرِ لحظةٍ من حياتهِ.

قالَت: فغَفَلتُ عن صبيٍّ لي فدَرَجَ إليه حتى أتاه فوضَعَه على فَخذِه، فلـما رأيتُه فَزِعتُ فزعةً عَرَفَ ذلكَ منِّي وفي يدِه الـمُوسى فقال -أي خُبيبٌ- أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، قالت: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ -إنها الكرامة يُكرمُ بها ربُنا من يشاء من عباده-

فَلَـمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:




ولَستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلـماً ... على أيِّ جنبٍ كانَ في الله مَصرَعي
وذلـكَ في ذاتِ الإلـهِ وإن يَشأ ... يُـبـارِك على أوصـالِ شَلوٍ مُمـزَّعِ[1]

ثم تقدم فقُتل رضي الله عنه.

وأما زيدٌ فقد اشتراهُ صفوانُ بنُ أميَّةَ ليَقتُلَه بأبيه أميَّةَ بنِ خلفٍ، وكانَ أميَّةُ بنُ خلفٍ قد قُتِلَ يومَ بدرٍ.

فلـما أرسلَه أيضاً إلى الحلِّ ليُقتَلَ خارجَ الحرم، اجتـمعَ عليه رهطٌ من قُريش فيهم أبو سفيانَ بنُ حرب ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[البروج] فقال أبو سفيان: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ فقال زيد رضي الله عنه: واللهِ مَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٨٩).

أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي.

فقالَ أبو سفيانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّداً[1].

وفي هذا يقول القائل:

أسَرَت قــريــشٌ مــسلـــماً ... فــمَـضى بــلا وجــلٍ إلى الــسَّـيّـافِ

سألُوه هل يُرضيكَ أنَّـكَ سالمٌ ... ولــكَ النَّبيُّ فــدىً مــن الإتــلافِ

فأجابَ: كلّا لا سلِمتُ من الرَّدى ... ويــصــابُ أنــفُ محــمَّـدٍ بــرُعــافِ

ثانياً: مأساة بئر معونة

جاءَ وفدٌ من قبائلِ رِعلٍ وذكوانَ وعُصَيَّةَ وبني لِحيانَ إلى النَّبيِّ ﷺ وأظهَروا الإسلامَ، واستَمدُّوه على قومِهم (أي طلَبوا من النَّبيَ ﷺ أن يُمِدَّهم برجالٍ من أصحابِه إلى أقوامِهم يُعلِّمونَهُم الإسلامَ والقُرآن وأحكامَ الدِّين).

ومع أنَّ العَهدَ بالغَدرِ الأولِ قَريبٌ، ولم يَنسَ النَّبيُّ ﷺ هو وأصحابُه العشرةَ الذين قُتلوا يومَ الرَّجيعِ، إلَّا أن حِرصَ النَّبيِّ ﷺ الشَّديدَ وطمعَه الكبيرَ في إسلامِ الناسِ وانتشارِ الإسلامِ جعَلَه يَستجيبُ لهذا الوفدِ، ويُرسِلُ معَهم سبعينَ صحابيّاً من خيرةِ أصحابِه.

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: «كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ، يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ».

فبعثهم النبي ﷺ معهم.

وعندَما انتهى القُرّاء إلى «بئر معونةَ» بعَثوا أحدَهم -وهو حرامُ بن مِلحانَ- إلى عامرِ بن الطُّفيلِ رأس الكفرِ في تلك البقاعِ، فأعطاه كتابَ النَّبيِّ ﷺ الذي يَدعوه فيه إلى الإسلام، فلم يَنظُر «عامرٌ» في الكتابِ، وأمرَ الكافرُ رجلاً من أتباعِه أن يَغدُرَ

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٦٠).



بحاملِ الرِّسالة، فما شَعَرَ حِرامٌ إلَّا وطعنةٌ تـخترقُ ظهرَه وتَنفُذُ من صدرِه.

فقالَ حِرامٌ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ».

وكأنَّ هذه هي الشهادةُ التي يتـمنّاها منذُ زمَن.

ومَضى «عامرٌ» الكافرُ في جُرمِهِ، فاستصرخَ أعوانَه ليُواصِلوا العُدوانَ على سائرِ القوم، فانضمَّت إليه قَبائلُ «رعلٍ» و«ذكوانَ» و«عُصيةَ» و «بني لِحيان» فهَجَمَ بهم عامرُ على القُراء.

ورأى هؤلاءِ الـموتَ مُقبلاً عليهم من كلِّ صَوب، فهَرَعوا إلى سيوفِهم يَدفعونَ عن أنفسِهم دونَ جدوى، إذ استطاعَ الكفرةُ أن يَقتُلوهم جميعاً غيرَ رجلٍ رقى فكانَ في رأسِ جبلٍ، وأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبرَه الـخبرَ.

فنعاهم لأصحابه فقال: إن إخوانكم قد أصيبوا -أي قتلوا جميعاً-

وإنَّهم قد سألوا الله عزَّ وجلَّ فقالوا: ربَّنا بلِّغ عنا إخوانَنا بما رَضيت عنّا ورَضينا عنكَ، فأخبرَهم عنهُم.

قال أنسٌ: «فقرأنا فيهم قرآناً ثم نُسخ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا»[١].

فحَزنَ النَّبيُّ ﷺ على هؤلاءِ السَّبعينَ القُراءِ حزناً شديداً.

يقولُ أنسٌ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَجَدَ -أي حزن- عَلَى سَرِيَّةٍ مَا وَجَدَ عَلَى السَّبْعِينَ الَّذِينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، كَانُوا يُدْعَوْنَ الْقُرَّاءَ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى قَتَلَتِهِمْ»[٢].



ومَكَثَ النَّبيُّ ﷺ شهراً يقنت على الكفرة الذين قتلوهم كلـما صلى ورفع رأسه من الركوع رفع يديه وقال: **«اللَّهُمَّ الْعَنْ بَنِى لِحيَانَ وَالْعَنْ رِعْلاً وَذَكْوَانَ»**[٣].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٤٥)، ومسلم (٦٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠٠)، ومسلم (٦٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧٩).

وهكذا فَقَدَ الـمسلمونَ في شهرٍ واحدٍ ثمانينَ من خيرةِ الدُّعاةِ، وقبلَ ذلكَ بقليلٍ فَقَدَ الـمسلمونَ سبعينَ من خيرةِ الصحابةِ في غزوةِ أُحدٍ، ولكنْ كلُّ ذلكَ في سبيلِ اللهِ ودعوةِ الناسِ إلى هذا الدِّينِ، ليتبيَّنَ لك يا تاركَ الصَّلاةِ كيفَ وصَلَكَ هذا الدِّينُ، ليتبيَّنَ لكَ يا من تَتَـخَلَّى عن دينكَ كيف وصَلك هذا الدِّينُ، وصَلَكَ على جماجمِ الصَّحابةِ، قدَّموا الأرواحَ والأموالَ ليوصِلوا لك هذا الدِّينَ وأجرُهم على اللهِ، ليَعلمَ الجميعُ أن الدعوةَ إلى اللهِ تَـحتاجُ إلى رجالٍ يُقَدِّمونَ الروحَ والـمالَ رخيصةً في سبيلِ هذا الدِّينِ العظيم.

قالَ تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾[آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾[البقرة].

وأما الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من مأساةِ يومِ الرَّجيعِ ومأساةِ بئرِ معونةَ فهي:

أولاً: الغدرُ والخيانةُ من أخلاقِ الكفّارِ واليهودِ، وليسَت من أخلاقِ الـمسلمينَ، ويَظهَرُ ذلكَ مما فعلَه الـمشركونَ بالصَّحابةِ من حادثةِ يوم الرَّجيعِ، وفي حادثةِ بئرِ معونةَ؛ فهذا أكبرُ دليلٍ على أن الـمشركينَ لا يَرقُبونَ في مؤمنٍ إلًّا ولا ذِمةً، أما الـمُسلمونَ فلا يَغدُرونَ ولا يَخونونَ، ويظهر ذلك من فعلِ خُبَيبِ بنِ عَديٍّ رضي الله عنه عندَما كانَ سَجيناً عندَ بني الحارثِ، وتَدحرَجَ الغلامُ الصَّغيرُ حتى وَصلَ إلى خُبيبٍ فأخذَه خُبيبٌ ووَضَعَه على فَخِذِه، فلـما خافَت أمُّ الغُلامِ قال لـها خُبَيبٌ: أتـخشَين أن أَقتُلَه؟ ما كُنتُ لأفعلَ ذلكَ إن شاءَ اللهُ.

ثانياً: إثباتُ كرامةِ الأولياء.

- ويَظهَرُ ذلكَ مما حَدَثَ لخُبَيب ﵁، عندَما كانَ مَسجوناً عندَ بني الحارثِ تقولُ إحدى بناتِ الحارثِ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ».

- ويظهَرُ ذلكَ أيضاً مما حَدَثَ معَ عاصم بن ثابتٍ ﵁ عندَما دعا فقال: «اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ» فاستجابَ اللهُ لعاصم فأخبرَ رسولَ الله ﷺ خبرَه، وعندَما دعا فقال: «اللَّهمَّ إني أحمي لكَ اليومَ دينكَ فاحْمِ لي لَحمي»، فاستجابَ اللهُ لعاصمٍ، فحَمى لحمَه من الكفّارِ عندَما أرادوا أن يَقطَعوا رأسَه، فأرسلَ اللهُ مِثلَ الظُّلَّةِ من الدَّبابيرِ فحَمَت لحمَه من الكفَّارِ، فلم يَقدِروا منه على شيءٍ.

فاللهُ يُكرِمُ أولياءَه بكراماتٍ، ولكنَّ الوليَّ لا يُخبِرُ بهذه الكراماتِ ولا يُصوِّرُ نفسَه بأفلام الفيديو لتُنشَرَ في العالم، فاللهُ تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[النجم].

واللهُ سبحانَه وتعالى له أولياءُ، وللشَّيطانِ أولياءُ، فلا بد للمُسلِمَ أن يُميِّزَ بَينَ أولياءِ الرَّحمنِ وأولياءِ الشَّيطانِ، فقد وَصَفَ اللهُ تعالى أولياءَه فقالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

فإذا ظَهَرت خارقةٌ على يدِ رَجلٍ ما، نَظَرنا في حالِه، فإذا كانَ من المؤمنينَ الصّادقِينَ المتَّبعِينَ لسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ فهو من أولياءِ الرَّحمنِ، وإن كانَ من المُشعوذِينَ الدَّجَّالينَ المخالِفينَ لكتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ فهو من أولياءِ الشَّيطان.

ثالثاً: جوازُ الدُّعاءِ على الكَفَرةِ والمشركِينَ بالعُموم، ويُؤخَذُ ذلكَ من دَعوةِ خُبَيب ﷺ على الـمُشركِينَ عندَما عزَموا على قتله فقال: «اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا».

ويُؤخَذُ أيضاً من فِعلِ النَّبيِّ ﷺ عندَما دعا شَهراً كاملاً على الذين قَتلوا السَّبعينَ من القُرّاء.

رابعاً: الرَّسولُ ﷺ لا يَعلمُ الغيب.

ويَظهَرُ ذلكَ مما حَدَثَ للصَّحابةِ من مأساةِ يوم الرَّجيعِ، ومأساةِ بئرِ مَعونةَ، فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب ويعرف أن ذلك سيحدث لأصحابه ما أرسلهم.

وقد دلَّتِ الأدلَّةُ من كتابِ ربِّنا على أن الرُّسُلَ لا يَعلَمونَ الغَيبَ إلَّا ما أعلَمَهُم اللهُ به.

قالَ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف].



وقالَ تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [الجن].

خامساً: التَّـمسُّكُ بالسُّنّة إلى الـموت.

ويظهرُ ذلكَ من تعظيم الصَّحابيِّ لسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، وكيفَ أن خُبيباً مع أنه في أسرِ الـمُشركينَ، ويعلمُ أنه سيُقتَلُ بينَ عشيَّةٍ أو ضُحاها، ومعَ ذلكَ كانَ حريصاً على سُنَّةِ الاستحدادِ واستعارَ الـمُوسى لذلكَ، وفي هذا واعظٌ لمن يستهين بكثير من السنن، بل وبكثير من الواجبات بحجة أنه لا ينبغي أن ينشغلَ الـمسلمونَ بذلكَ للظُّروفِ التي تَـمُرُّ بها الأمةُ، وفي الواقعِ لا مُنافاةَ بينَ تعظيمِ السُّنَّة والدُّخولِ في



شرائعِ الإسلام كافَّةً، والسعيِ لإقامةِ شرعِ اللهِ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠].

وقالَ تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العَرشِ العَظيمِ أن يجعلَنا وإيّاكُم من المتمسِّكِينَ بسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.






٣٧

غزوة بني المصطلِق (المريسيع)

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ بني الـمُصطَلِق.

وبنو الـمُصطَلِق بطنٌ من قبيلةِ خُزاعةَ، وكانوا يَسكنونَ قديداً، وعَسَفانَ على الطَّريقِ من الـمدينةِ إلى مكّةَ، وأولُ موقفٍ عِدائيٍّ لبني الـمُصطلقِ من الإسلامِ كانَ في إسهامِهم واشتراكِهم في جيشِ قريشٍ من غزوةِ أحدٍ.

وحديثُنا عن غزوةِ بني الـمُصطَلقِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: أحداثُ الغزوة.

العنصر الثاني: دورُ الـمنافقِينَ الـخبيثُ في هذه الغَزوة.

العنصر الثالث: الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من هذه الغَزوة.

العنصر الأول: أحداث الغزوة

تَـجرَّأت قبيلةُ بني الـمُصطلِقِ على الـمسلمِينَ نتيجةً لغَزوةِ أُحدٍ كما تَـجرَّأتِ القَبائلُ الأخرى الـمُحيطةُ بالمدينةِ، فأخَذَت هذه القبيلةُ برئاسةِ الحارثِ ابن أبي ضِرارٍ تتهيّأ وتَستعدُّ، بجَمعِ الرِّجالِ والسِّلاحِ لغَزوِ الـمَدينةِ لتَستأصِلَ الـمُسلمِينَ.

ووَصَلَ الـخبرُ إلى النَّبيُّ ﷺ أن بني الـمُصطَلِق جَمعوا الجموعَ لغَزوِ الـمدينةِ، فبَعَثَ ﷺ عيونَه يتأكَّدوا له من صِحَّةِ هذا الـخبرِ فأكَّدوه، فكانَ لا بدَّ للنَّبيِّ ﷺ والـمُسلمِينَ من التَّـحرُّكِ السَّريعِ نحوَ هذه الجموعِ لتَفريقِها، وتلقينِها درساً قاسياً لا تَنساه، ويكونُ رادعاً لغَيرِها من القبائلِ التي تُفكِّرُ أن تَـحذوَ حذوَها في حربِ الرَّسولِ ﷺ وغَزوِ الـمدينة.



خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ بجيشِ الـمسلمِينَ إلى بني الـمُصطلِقِ فباغَتوهم في ساعةٍ لم يتوقَّعوها عندَ بئرٍ يُقالُ له الـمُرَيسيع، فتفرَّقوا يميناً وشمالاً وولَّوا الأدبارَ، فقُتِلَ من قُتِلَ منهم، وأُسِرَ من أُسِرَ، وسبى رسولُ اللهِ ﷺ النِّساءَ والذَّراري، وغَنِمَ الأموالَ دونَ أيَّةِ مقاومةٍ تُذكر.

وبهذا لقَّنَ النَّبيُّ ﷺ بني الـمُصطلِقِ وغيرَهم من القبائلِ الـمجاورةِ دَرساً لن يَنسَوه، أراهم من نفسِه أن به وبالـمسلِمِينَ قوةً قادرةً على حمايةِ الـمدينةِ، وردِّ كلِّ من يُريدُها بسوءٍ.

ولـما عادَ الجيشُ من غزوةِ بني الـمُصطلِق، وفي الطَّريقِ إلى الـمدينةِ أدرَكت الجيشَ القائلةُ في وادٍ كثيرِ العَضاةِ، فنَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقَ الناسُ يَستظلُّونَ بالشَّجرِ، ونَزلَ رسولُ اللهِ ﷺ تـحتَ شجرةٍ فعلَّق بها سيفَه ونامَ الجيشُ نومةً، فجاءَ أعرابيٌّ مُشركٌ فأخذَ سيفَ رسولِ اللهِ ﷺ فاخترطَه -أي سلَّه وهو في يدِه- فقالَ الأعرابيُ لرسولِ اللهِ ﷺ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال ﷺ: «**اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**» قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ.

فقال له ﷺ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟**».

قالَ الأعرابيُّ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»[١].

إنها واللهِ أخلاقُ النبوة.

ولـما رَجَعَ النَّبيُّ ﷺ إلى الـمدينةِ وقسَّمَ سبايا بني الـمُصطلِقِ، وقعَت جويريةُ بنتُ الحارثِ بن أبي ضرارٍ رئيسِ بني الـمصطلق في سهمِ واحدٍ من الصَّحابةِ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٦٤)، وعبد بن حميد (١٠٩٦)، [صححه محققو الـمسند]




فكاتَبَتهُ، ثم جاءَت النبيَّ ﷺ تستعينُه على كتابتِها، فرأى النبيُّ ﷺ بحُسنِ رأيه ودقَّةِ نظرِه أن يُكرِمَها، ويرفع من شأنِها ويُنزلَـها مَنزلَتها اللائقةَ بها كبنتِ ملكٍ أو رئيسِ قوم، فعَرَضَ عليها أن يَدفَعَ عنها كتابتَها ويتزوَّجَها فوافَقَت رضي الله عنها.

تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى عائشةَ رضي الله عنها وهي تُـخبِرُنا الـخبر.

تقولُ عائشة رضي الله عنها: «وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْـمُصْطَلِقِ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِى كِتَابَتِهَا، فَلَـمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِى رَأَيْتُ.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، وَإِنِّى وَقَعْتُ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَإِنِّى كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِى كِتَابَتِي.

فَقَالَ ﷺ: «فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ»؟ قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»، قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ.

فَتَسَامَعَ النَاس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِى أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْىِ فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أُعْتِقَ فِى سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِى الْـمُصْطَلِقِ»[1].

العنصر الثاني: دور المنافقين الخبيث في غزوة بني المصطلق.

لـما خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى غزوةِ بني الـمُصطلِق، خَرجَ معَه نفرٌ من الـمنافقِينَ فكانَ خروجُهم كما وصفَهم اللهُ في كتابِه: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾[التوبة:٤٧].

(١) حسن: رواه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٦/ ٢٧٧)، [«إرواء الغليل» (٥/ ٣٨)].




وعندَما انتصرَ الـمسلمونَ على بني الـمُصطلِقِ، وعندَ ماءِ الـمُرَيسيع كَشَفَ الـمنافقونَ عن الحقدِ الذي يُضمِرونَه للإسلام والـمسلمينَ، فكلَّما كَسَبَ الإسلامُ نَصراً جديداً ازدادوا غَيظاً على غيظِهم، كما وَصَفَهُم اللهُ في كتابِه فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾[التوبة]، فعندَ ماءِ الـمُرَيسيع عكَّرَ الـمنافقونَ هذا النَّصرَ بأن أثاروا العَصَبيَّةَ الجاهليَّةَ بين الـمهاجرِينَ والأنصارِ، وأثاروا الفِتنةَ وغَرَسوا بذورَ الفُرقَةِ في النُّفوسِ.



فتعالَوا بنا لنَستَـمِعَ إلى جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ﵁ وهو شاهدُ عيانٍ يُخبرُنا الـخَبر.

يقولُ ﵁: (كُنَّا في غَزَاةٍ -وهي غزوة بني الـمصطلق- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ -أي ضربه برجله- فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ.

فَقَالَ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ -يعني: لعنهُ اللهُ بالأعز نفسَه، وبالأذل رسولَ الله ﷺ- فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ، فقال النبي ﷺ: «**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْـمَدِينَةَ ثُمَّ إِنَّ الْـمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بعدُ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، و مسلم (٢٥٨٤).



والّذي بلّغ رسولَ الله ﷺ مقالَة ابن أبيّ هوَ زيدُ بنُ الأرقم رضي الله عنه فتعالَوا بنا لنستمعَ إليه وهوَ يُخبرُنا الخبرَ، يقولُ زيدٌ رضي الله عنه: «كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

قالَ زيدٌ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَقَتَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون].




فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»(١).

وقد فضحَ اللهُ هذا المنافق، وضعَّفَ مركزَهُ في قومِهِ، فكانوا يعنّفونَهُ ويلومونَهُ كلَّما أخطأ.

فهذا ابنُهُ -الصّحابيُّ الجليلُ- عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ أُبيّ استأذنَ رسولَ اللهِ ﷺ في قتلِ أبيهِ، فنَهاهُ النّبيُّ ﷺ فقالَ له: «**لا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**»(٢).

فداكَ أبي وأمّي يا رسولَ اللهِ، إنّها أخلاقُ النّبوّةِ.

ومَنعَ هذا الابنُ المؤمنُ أباه المنافقَ من دخولِ المدينةِ حتى يأذنَ له رسولُ اللهِ ﷺ بدخولِها، وقالَ له: لتعلمَ أنك الذَّليلُ وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هو العزيز.

ولما فَشِلَ المنافقونَ بزعامةِ ابنِ سَلولٍ في إثارةِ العصبيَّةِ الجاهليَّةِ بينَ المهاجِرينَ والأنصارِ، سَعَوا إلى إيذاءِ الرَّسولِ ﷺ في نفسِهِ وأهلِ بيتِهِ، فَشنُّوا حرباً نفسيَّةً مريرةً من خلالِ حادثةِ الإفكِ التي اختلَقوها.

أيها المسلمون! ما هو الإفك؟ ومن الذي تَولّى نَشرَه بينَ الناس؟

ومنِ التي اتَّهموها بهذا الإفكِ؟ هذا الذي نعرِفُه في الجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

العنصر الثالث: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ مما حدث في غزوة بني المصطلق:

أولاً: على الدُّعاةِ إلى اللهِ أن يتخلَّقوا بأخلاقِ النَّبيّ ﷺ في دَعوتهم؛ استجابةً لقولهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه البزار (٢٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٣)].

فرسولُ اللهِ ﷺ كانَ يعفو عن الجاهلِينَ، ولا يَنتصِرُ لنفسهِ أبداً ولا يَغضَبُ لـها، ويظهَرُ ذلك:

مِن معاملتهِ ﷺ معَ الأعرابيِّ عندَما أرادَ أن يَقتُلَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقالَ له: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**» فقالَ له رسولُ اللهِ: «**الله.. ثَلَاثًا..**»، فَوَقَعَ السَّيفُ، وأخذَه رسولُ اللهِ فقالَ له: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي..**» فعندَما خلّى سبيلَه رَجَعَ الأعرابيُّ إلى قومِهِ يقولُ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

ومن معاملتهِ ﷺ معَ ابنِ سلولٍ زعيمِ الـمنافقين بعدَما قالَ ما قالَ، وأرادَ ابنُه الـمؤمنُ أن يقتلَ أباه فقالَ له ﷺ: «**لا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**».

ثانياً: الأسماءُ الشَّريفةُ الـمَشروعةُ إذا قُصِدَ بها تفريقُ الـمسلمينَ وتَفتيتُ جماعتِهم، تصيرُ من دَعوى الجاهليَّةِ، وهي مُنتنةٌ كما أخبرَ النَّبيُّ ﷺ، فمَعَ أن اسمَ الـمُهاجرينَ واسمَ الأنصارِ مِن الأسماءِ الشَّريفةِ التي تَدلُّ على شَرفِ أصحابِها، وقد سمّاهُم اللهُ عزَّ وجلَّ بهذه الأسماءِ على سبيلِ الـمدحِ لهُم. فقالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠].

إلا أن هذه الأسماءَ لـما استُعمِلَت الاستعمالَ الـخاطئَ لتفريقِ الـمسلمينَ وإحياءِ العَصَبيّاتِ الجاهليَّةِ أنكَرَ ذلك رسول الله ﷺ وقال: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

ومن هُنا أقولُ: من الـمَشروعِ ولا بأسَ في ذلكَ ولا حرج أن يقولَ الإنسان: أنا عراقيٌّ أو مِصريٌّ أو فِلسطينيٌّ أو أردنيٌّ، ولكن إذا استُعمِلَت هذه الأسماءُ في العَصبيَّةِ والحَميَّةِ التي تُفَرِّقُ الـمسلمينَ فهي من دَعوى الجاهليَّةِ وهي مُنتنةٌ.

ثالثاً: العزةُ للهِ ولرسولهِ وللمؤمنِينَ، والذُّلُّ والهوانُ للكَفَرةِ والمُشركِينَ والمنافقِينَ.




قالَ تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، وقالَ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر].

فعندَما أرادَ ابنُ سلولٍ -زعيمُ الـمنافقين- أن يُعزَّ نفسَه بمعصيةِ الله؛ أذلَّه اللهُ وفَضَحَه، كما حدث في غزوةِ بني الـمُصطلِق. فلا عزَّةَ إلا بالإسلامِ.

رابعاً: الـمَفسدةُ الكُبرى تُدفَعُ بالمَفسدةِ الصُّغرى

ويُؤخَذُ ذلكَ مما حَدَثَ في غزوةِ بني الـمُصطلِقِ عندَما قالَ عمرُ بنُ الـخطّاب: دَعني يا رسولَ اللهِ أضربْ عُنُقَ هذا الـمنافِقِ، فقالَ له ﷺ: «**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».



اللهمَّ فقِّهنا في دينِنا.





حديث الإفك

عبادَ الله! في الجُمعةِ الـماضيةِ تكلَّمنا عن غزوةِ بني الـمُصطلِقِ، وتبيَّنَ لنا دَورُ الـمنافِقينَ الـخبيثُ في تلكَ الغزوةِ، فقد حاولوا إثارةَ العَصبيَّةِ الجاهليَّةِ بينَ الـمهَاجرينَ والأنصارِ، ولكنَّ اللهَ سلَّم.

وقال زعيمهم عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ لأصحابهِ: لا تُنفِقُوا على من عِندَ رسولِ اللهِ حتى ينفَضُّوا من حولِه.

وقال أيضاً: لئِن رجَعنا إلى الـمدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وقد فَضَحه اللهُ عزَّ وجلَّ، وأنزلَ في فضيحَتهِ قُرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.



ولم يتوقَّف هذا الـمنافِقُ ومَنْ معَه من الـمنافِقينَ إلى هذا الحدِّ من الاعتداءِ والمَكرِ، ولكنهم سَعَوا إلى إيذاءِ الرَّسولِ ﷺ في نفسِه وأهلِ بيتِه، فشَنُّوا حرباً نفسيَّةً مريرةً من خلالِ حادثةِ الإفكِ التي اختلَقوها وليسَ لـها أساسٌ من الصِّحَّةِ.



ما هو الإفكُ؟ ومَن الذي اختَلَقَه وتولّى نشرَه بين النّاسِ في غَزوةِ بني الـمُصطلِقِ، بعدَ الرُّجوعِ إلى الـمدينةِ؟

ومن هي البريئةُ التي رُميَت بهذا الإفكِ عُدواناً وظُلـماً؟

وكيفَ عاشَ الرَّسولُ ﷺ والمُسلمونَ في الـمدينةِ شهراً كاملاً على أعصابِهم بسببِ هذا الإفكِ؟

وكيفَ برّأ اللهُ تعالى أمَّ الـمؤمنينَ مِنْ فوقِ سبعِ سماواتٍ، فأنزلَ فيها قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ؟

تعالَوا بنا إلى أمِّ الـمؤمنِينَ عائشةَ ﵂ لنَستـمعَ لـها وهي تُـخبِرُنا الـخبرَ؛ عائشةُ ﵂ أتعرِفونَها؟ هي الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّديقِ، التي ترَبَّت في بيتِ أبي بكرٍ الصِّديقِ، ثم انتقلَت وهي طِفلةٌ إلى بيتِ رسولِ الله ﷺ ولم تعرفِ الشَّرّ.

عائشةُ ﵂ التي قالَ ﷺ فيها: «**أحب الناس إليَّ عائشةُ ومن الرجال أبوها**»(١).

عائشةُ ﵂ التي قالَ ﷺ فيها: «**إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(٢).

عائشةُ ﵂ التي قالَ ﷺ فيها: «**إِنِّي أُرِيتُكِ زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ**»(٣).

عائشةُ ﵂ التي قالَ لـها رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَ! هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**»(٤).

ثم بعدَ ذلكَ، تأتي الرّافضةُ والشِّيعةُ الظلمةُ، يتَّهمونَ أمَّ الـمؤمنِينَ عائشةَ بالفاحشة، قاتَلَهم اللهُ أنى يُؤفكون.



روى الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه» والإمامُ مسلمٌ في «صحيحه» أن عائشةَ ﵂ قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ».

قالَت ﵂: «فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا -وهي غزوة بني الـمصطلِق- فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا».

قالت ﵂: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ -أي: رجع- وَدَنَوْنَا مِنْ الْـمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٩، ٩٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٦٧)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٦٨).



حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَـمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ» -أي: تأخرت وأنا ابحث عن عقدي-.

قالَت: ﵂: «فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا».

قالت ﵂: «فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ».

قالت ﵂: «فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْـمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ».

قالت ﵂: «فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ،فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ -أي: نزلوا في شدة الحر- فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ».

عادَ الجيشُ من غزوةِ بني الـمُصطلِقِ إلى الـمدينةِ، وفي الـمدينةِ أخذَ الـمنافقونَ يتكلَّمونَ بهذا الإفكِ هنا وهناكَ -وهذه هي البيئةُ التي يَترعرعُ فيها النِّفاقُ- تقولُ ﵂: «فقَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ» -أي: مرضت- «بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ

ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

تقولُ رضي الله عنها: «حَتَّى نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْـمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ -وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا- وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي»

تقول رضي الله عنها: «فَلَـمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ! هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا -أي الكلام- فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ -أي لا ينقطع- وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي».

أبطأَ الوحيُ في النُّزولِ، والرَّسولُ ﷺ يتأَلَّمُ مما يَسمَعُ من كلامِ النَّاسِ، فدَعا بعضَ أصحابِهِ يَستشيرُهم في فِراقِ أهلِه.

تقول رضي الله عنها: «فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ -أي أبطأ ولم ينزل- يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ».

أَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا




رَسُولَ اللهِ! وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَمْ يُضَيِّقْ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ! هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ».

تقولُ رضي الله عنها: «فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا وَاللهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْـمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْـمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ».



عباد الله! وعائشةُ رضي الله عنها ازدادت حزناً على حزنها وألـماً على ألمها.

تقولُ رضي الله عنها: «وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ -أي لا ينقطع- وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي.

تقولُ رضي الله عنها: «فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ



عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

فَلَـمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي -أي: ارتفع -أي: جف- حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً -وهذه الحالةُ من الحُزنِ والألمِ شبيهةٌ بالموتِ- وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ.

قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ.

قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

تقول رضي الله عنها: «وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ»

فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ- لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ- لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

استعانَت رضي الله عنها باللهِ على أمرِها بعدَ أن انقطعَتِ النُّصرةُ من أهلِ الأرض.

وجاءَ الفرَجُ بعد الكَرب.

تقولُ رضي الله عنها: «ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ».




تقولُ رضي الله عنها: «فَوَاللهِ مَا رَامَ -أي فارق- مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ -الشدة- حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ -حبات اللؤلؤ- مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ! احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ.

تقول رضي الله عنها: «فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ».

فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور:١١].

تقول رضي الله عنها: «فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ -كَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ-: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ[1].

بسببِ كلمةٍ واحدةٍ تَلَفَّظَ بها مُنافقٌ حاقدٌ بين النّاسِ ولاكَتها الألسُنُ، عاشَ رسولُ اللهِ ﷺ وأهلُ بيتِه، وأبو بكرٍ وأهلُ بيتِه والمسلمونَ كلُّهم شهراً كاملاً في غمٍّ وهمٍّ وحزنٍ.. ولذلك أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الآياتِ يؤدِّبُ فيها المسلمينَ ويعلِّمُهم كيفَ يتعاملون معَ الشّائعاتِ، وهذا هو الذي نَعرِفُه في الجُمعةِ القادمة -إن شاءَ اللهُ تعالى-

اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينِهم رداً جميلاً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).




٣٩

الدروس والعظات والعبر والآداب التي تؤخذ من حديث الإفك

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الدروسِ، والعظاتِ، والعبرِ، والآدابِ التي تُؤخَذُ من حديثِ الإفكِ.

في الجُمعةِ الماضيةِ تكلَّمنا عن حديثِ الإفكِ، وتبيَّنَ لنا أن الذي اختلقَه ونَشَره بين النَّاسِ في غزوةِ بني الـمُصطلِقِ؛ هو زعيمُ الـمنافقِينَ عبدُ الله بنُ أُبي بنِ سلولٍ، وانتشرَ هذا الإفكُ بينَ النّاسِ في المدينةِ، وعاشَ الرَّسولُ ﷺ والمسلمونَ في المدينةِ شهراً كاملاً في همٍّ وغمٍّ وحزنٍ، وتأخر الوحيُ عن رسولِ الله ﷺ شهراً كاملاً.



والتي اتُّهِمَت بهذا الإفكِ هي أمُّ الـمؤمنِينَ عائشةُ رضي الله عنها وأنزلَ اللهُ براءتَها من فوقِ سبعِ سماواتٍ قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامة.

تعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى الآياتِ التي نَزلَت في سورةِ النُّورِ فيها براءةُ أمِّ الـمؤمنِينَ عائشةَ رضي الله عنها لنأخُذَ منها الدُّروسَ والعظاتِ والعبرَ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ



عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

هذه الآياتُ التي نزلَت على الرَّسولِ ﷺ بعدَ أن عاشَ ﷺ وعائشةُ وأبو بكرٍ والمسلمونَ شهراً كاملاً على أعصابِهم في همٍّ وغمٍّ وحزنٍ.

أما الدروس والعظات والعبر والآداب التي تؤخذ من هذه الآيات فهي:

أولاً: الصبر على الإشاعات الكاذبة التي يشُنُها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمينَ.

أعداءُ الإسلام في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يَشُنُّونَ حرباً إعلاميَّةً على الإسلام والمسلمينَ ليُشَوِّهوا صورةَ الإسلام والمسلمينَ في العالم. قالَ تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].




فعلى الـمسلمِينَ أن يُقابِلوا ذلكَ بالصَّبرِ والإيمانِ، والاستعانةِ باللهِ عزَّ وجلَّ كما فَعَلت عائشةُ ﵂ عندَما افترى عليها زعيمُ الـمُنافِقِينَ عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ فقالَت ﵂: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف] فيا أَمَّةَ الإسلامِ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[الأعراف].

يا أَمَّةَ الإسلامِ! اصبروا واتَّقوا اللهَ: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف].

صَبَرَ الرَّسولُ ﷺ وعائشةُ ﵂ وأبو بكرٍ ﵁ والمسلمونَ في الـمَدينةِ على إفك الـمنافقين فكان خيراً لهم. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾[النور].

ثانياً: إحسان الظنَّ بالمؤمنين

إذا سَمِعَ الـمؤمنُ حرباً إعلاميَّةً على أحدٍ من الـمؤمنينَ، فيَجبُ عليه أن يُحسِنَ الظنَّ بأخيهِ الـمؤمنِ، كما يُحسِنُ الظنَّ بنفسِه، استـجابةً لقوله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور]، واستـجابةً لقولِه ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

وهذا ما فعلَته أمُّ مِسطَحٍ ﵂ عندَما كذَّبتِ الـخبرَ وردَّته، بل ودَعَت على ولدِها عندما قالت: تَعِسَ مسطَحُ -أي هَلَكَ- وهي بذلكَ أحسنَتِ الظنَّ بعائشةَ ﵂ وأعلَنَت لربِّها أنها لا توالي من عادى أولياءَه، ولو كانَ ذا قربى إلَّا أن يتوبَ إلى اللهِ كما قالَ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

﴿ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾ [المجادلة].

وهذا الذي فعلَته زينبُ بنتُ جحشٍ رضي الله عنها عندَما سألَـها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن عائشةَ رضي الله عنها فقالَت: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا»(١).

وهذا الذي فعلَه أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه عندما استشارَه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في فِراقِ أهلِه فقالَ أسامةُ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! هُم أهلُكَ ولا نعلَمُ إلَّا خيراً، وشَهِدَ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ببراءةِ أهلِه.

وهذا الذي فَعَلَه أبو أيوبَ الأنصاريُّ رضي الله عنه عندَما قالَت له زوجتُه أمُّ أيوبٍ: يَا أَبَا أَيّوبَ! أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتِ يَا أُمّ أَيّوبَ فَاعِلَةً؟ قَالَتْ: لَا وَاللهِ! مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللهِ خَيْرٌ مِنْك(٢).

فالواجبُ على الـمسلِمينَ في كلِّ مكانٍ؛ إذا سَمِعوا أحداً من النّاسِ يَنقُلُ إشاعةً عن أحدٍ من الـمسلِمينَ أن يُحسِنوا الظنَّ بأخيهِمُ الـمُسلِم، وأن يُدافعوا عنه في غيابِه. يقولُ صلى الله عليه وسلم: **«من ذبَّ عن عِرضِ أخيه بالغَيبةِ كانَ حقّاً على اللهِ عزَّ و جلَّ أن يقيَه من النَّارِ»**(٣).



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، وهو قطعة من حديث الإفك.

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨)، وابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٦٨).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٤٣، ٦٧١)، أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٧) ولفظ الطبراني (من ذب عن عرض أخيه بالمغيب كان حقا على الله عز و جل أن يعتقه من النار)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٧)].



ويقولُ ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

ولذلك أدَّبَ اللهُ المسلمِينَ الذين نَقَلوا الإفكَ وتكلَّموا به.

فقالَ تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[النور].

ثالثاً: التثبت من الأخبار وإمساك اللسان عن الخوض في أعراض المسلمِينَ.

يَجِبُ على المسلم إذا سَمِعَ خَبَراً أن يتثبَّتَ من صحَّتِه، ويُفكِّرَ فيه قبلَ أن يتكلَّمَ به ويقومَ بنقلهِ بينَ النّاسِ. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وفي قراءة (فتثبتوا) لماذا نتبيَّنُ ونتثبَّتُ؟ قالَ تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[الحُجُرات].

ولذلكَ قالَ تعالى في الذين نَقَلوا الإفكَ هنا وهناك: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[النور].



لو أنَّ الذي سَمِعَ هذا الإفكَ من ابنِ سلولٍ أولَ ما سَمِعَ قالَ له: لابدَّ أن تأتيَ على ما تقولُ بأربعةِ شهداءَ على هذا الافتراءِ، لـما استطاعَ ابنُ سلولٍ أن يأتيَ بأربعةِ شهداءِ؛ لأنه يعلَمُ أنه كذَّابٌ، فإذا لم يأتِ ابنُ سلولٍ بأربعةِ شهداءَ لبَقيَ هذا الإفكُ في صدرهِ، ولم يَنتشِر أبداً بينَ النّاسِ، ولكن عندَما سَمِعوا وتكلَّموا قبلَ أن يتبيَّنوا

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٤٩، ٤٥٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٨)].



انتشرَ الإفكُ بينَ المنافقِينَ، حتى أنه تكلَّمَ به بعضُ المؤمنِينَ الصّادقِينَ. ولذلكَ يقولُ الله عزَّ وجلَّ للمؤمنِينَ الصّادقِينَ الذين تكلَّموا بهذا الإفكِ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[النور].

فمَن أرادَ النَّجاةَ فعليه بوصيَّةِ رسولِ الله ﷺ، قالَ ﷺ للرَّجلِ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(١).

رابعاً: لا تتبعوا خطوات الشيطان

والذينَ يُروِّجونَ الإشاعاتِ الكاذبةَ على المسلمِينَ هم شياطينُ الإنسِ والجنِّ، فحذَّرَ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَه المؤمنينَ من خُطُواتِ الشَّيطانِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يدعو حزبَه ليكونوا من أصحابِ السَّعيرِ، ولأنَّ الشَّيطانَ يأمُر بالفَحشاءِ والمُنكرِ، ولأنَّ الشيطانَ يأمرُ بالكُفرِ والضَّلالِ.



ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾[النور:٢١].

خامساً: أن تُحسِنَ إلى من أساء إليك، وبذلك تنتصر عليه

وهذا ما فعله أبو بكرٍ رضي الله عنه معَ مِسطَحٍ، تَقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «فلـمَّا نزلَت براءَتي قالَ أبو بكرٍ -وكان يُنفقُ على مِسطحٍ لقَرابتهِ منه وفقرِه-: واللهِ لا أُنفقُ على مِسطَحٍ شيئاً أبداً؛ وقد قالَ في عائشةَ ما قالَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور]، **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ**»(٢).

(١) حسن: رواه الترمذي(٢٤٠٦)، وأحمد(٤/ ١٤٨، ١٥٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٠)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، وهو قطعة من حديث الإفك.



يُحَذِّرُ ربُّنا جلَّ وعلا الذين يَخوضونَ بألسنتهِم في أعراضِ المؤمنينَ بالعَذابِ الأليم في الدُّنيا والآخرة. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[النور].

الذين يُحِبُّونَ أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا إمَّا بالإعلام، وإمَّا بالدَّعوةِ إلى التَّبرُّجِ والسُّفورِ والزِّنا والإشاعاتِ الكاذبةِ، لهم عذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرةِ.

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾[النور].

عن أنس رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**»؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ بَلَى! فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»(١)، أي: فكيف شهدتـم عليَّ.

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٦٩).



مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت].

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ في ألسنتِكم، وإذا أردتُـمُ النَّجاةَ فعليكُم بهذه الوَصيَّةِ من رسولِ الله ﷺ.

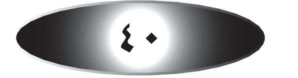
ما النَّجاةُ؟ قال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[1].

فيا مُرَوِّجاً للإشاعاتِ، ويا مُختلِقاً للإفكِ، ويا طاعِناً في أعراضِ الـمسلمِينَ! أمسِك عليكَ لسانَكَ وإلا فالعذابُ الأليمُ في الدُّنيا والآخرة.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد(٤/ ١٤٨، ١٥٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٠)].





غزوة الأحزاب (الخندق)

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ الأحزابِ (الخندق).

غزوةُ الأحزابِ لم تكُن معركةَ خسائرَ بل كانَت معركةَ أعصابٍ، فقَتلى الفَريقَينِ من المؤمنِينَ والكافرِينَ يُعَدُّون على الأصابعِ ومعَ ذلكَ فهي من أحسَمِ المعاركِ في تاريخِ الإسلامِ.

فالأحزابُ الذين اجتَمعوا على حربِ الإسلامِ والمسلِمينَ في تلكَ الغزوةِ هم:

- المشركونَ من أهلِ مكَّةَ.
- المشركونَ من قبائلِ العربِ جميعاً.
- اليهودُ من خارجِ المدينةِ (يهودُ خَيبر).
- اليهودُ من داخلِ المدينة (يهودُ بني قريظة).
- المنافقون.



اجتمَعوا وتحزَّبوا لاستئصالِ المسلِمينَ من المدينة.

وحديثُنا عن غزوةِ الأحزابِ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

العنصر الثاني: الرَّسولُ ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في المدينةِ يَستعدُّون لمُلاقاةِ الأعداءِ.



العنصر الثالث: مواقفُ الـمؤمنِينَ ومواقفُ الـمنافقِين

العنصر الرابع: شدةٌ وكَربٌ وبلاءٌ يعقبها نصرٌ وفرجٌ.

العنصر الـخامس: الـدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من غَزوةِ الأحزاب.

العنصر الأول: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال]:

أعداءُ الإسلام قديماً وحديثاً يَمكُرونَ بالإسلام والـمسلمِينَ باللَّيلِ والنَّهار، كما قالَ تعالى في كتابه: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾ [نوح].

وقـالَ تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾ [إبراهيم].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر:٤٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾ [النمل:٥٠-٥٢].

أمةَ الإسلام! أين عادٌ الذين مكروا بنبيِّهم؟ أين ثمودُ الذين مكروا بنبيِّهم؟ أين قومُ نوحٍ الذين مكَروا بنبيِّهم؟! أين فرعونُ الذي مكرَ بموسى؟ أين هم؟ ذَهبوا فتلكَ بيوتُهم خاويةً بما ظلَموا.

وأساتذةُ الـمَكرِ والغَدرِ والخِيانةِ ونَقضِ العُهودِ وإشعالِ الحُروبِ همُ اليَهودُ عليهم لعنةُ اللهِ.

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا

يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ [البقرة]، وقالَ تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

فها هُمُ اليهودُ قديماً، خَرَجَ وفدٌ منهم من خَيبرَ إلى كفّارِ مكّةَ يُحرِّضونَهم ويُؤلِّبونَهم على غزوِ رسولِ اللهِ ﷺ، ووَعدوُهم من أَنفسِهم بالنَّصرِ لهم، بل وشَهِدوا لهم بأنَّ الشِّركَ الذي هم عليه خيرٌ من الإسلام الذي جاءَ به محمَّدٌ ﷺ، وشَهِدوا لهم أيضاً بأنهم أهدى من محمد ﷺ وأصحابه، وفيهم قالَ تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ [النساء].

فأجابَهم أبو سفيانَ لذلك، ثم انطلَقوا إلى القبائلِ الـمُجاورةِ ودعَوهم إلى ما دعَوا قريشاً إليه، فأجابَتهم القبائلُ العَربيَّةُ أيضاً، وتواعَدوا على الـمسيرِ إلى الـمدينةِ، واجتـمعَ بهذا التَّـحريضِ -من اليَهود- جيشٌ قوامُهُ نحوَ عشرةِ آلافِ مُقاتلٍ؛ وذلكَ لاستئصالِ الـمسلِمينَ في الـمدينة.

العنصر الثاني: الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في المدينة يستعدون لملاقاة العدو:

لـما وَصلَ الـخبرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بخُروجِ هذا الجيشِ الكَبيرِ إلى الـمدينةِ، عَقَدَ مجلساً استشاريّاً معَ أصحابهِ الكرام رضي الله عنهم ليُشاوِرَهم في خِطَّةِ الدِّفاعِ عن الـمدينةِ، فأشارَ عليه بعضُ الصَّحابةِ وهو سلـمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه بحَفرِ خندقٍ من الجهةِ الشَّماليَّةِ للمدينةِ، لأنَّ هذه الجهةَ هي الجهةُ الوحيدةُ التي يَستطيعُ العَدوُّ




أن يدخلَ إلى الـمدينةِ منها، فإن الـمدينةَ تَقَعُ بين حَرَّتَين من جِهةِ الشَّرقِ والغَرب يَعجِزُ العَدوُّ أن يَدخُلَ من جِهَتِها، وأما جهةُ الجنوبِ ففيها مساكنُ يهودِ بني قُريظَةَ وبينَهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عَهدٌ وميثاقٌ على أن لا يَدخُلَ عدوٌّ من ناحيَتِهم.

وحَفرُ الخندقِ مكيدةٌ حربيَّةٌ -لم تكُن العَربُ تَعرفُها من قَبلُ- والحربُ خُدعةٌ، ولذلكَ أمرَ رسولُ الله ﷺ بحفرِ الخندقِ، واستجابَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم لأمرِ رسولِ الله ﷺ وقامُوا جميعاً بتنفيذِ الأمرِ على الفورِ وبسُرعةٍ قبلَ وصولِ العَدوِّ.

وخَرجَ رسولُ الله ﷺ إلى أصحابهِ ليَحفِرَ معَهم في هذا الـخندقِ، فوَصَلَ إليهم وهم يَحفُرون في غداةٍ باردةٍ، وكانَ الوقتُ وقتَ شتاءٍ وكانَ البردُ شديداً جداً، وكانَ الزمانُ زمانَ قحطٍ، فلما رأى ﷺ ما بهم من التَّعَبِ والجُوعِ دعا لهم فقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْـمُهَاجِرَهْ»



فَقَالُوا مُجيبينَ لَهُ:

«نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا»[1]

وأخذَ ﷺ يعملُ معَ أصحابهِ في حَفرِ الـخندقِ؛ يَحفرُ بيدهِ وينقل التراب بنفسه، حتى أغبرَ بطنُه من شدَّةِ التُّراب.

يقولُ البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه: لـما كانَ يومُ الأحزابِ وخَندقَ رسول اللهِ ﷺ رأيتُه ينقُلُ من ترابِ الـخندق حتى وارى عنِّي الترابُ جلدةَ بطنهِ، وكانَ كثيرَ الشَّعرِ، فسَمعتُه يَرتجزُ بكلماتِ ابن رواحةَ وهو يَنقُلُ التُّرابُ يقول:

اللَّهُمَّ لَولَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا
فَأَنْزِلَن سَكِينَةً علينا وإِن أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٣٤)، ومسلم (١٨٠٥).



ثُمَّ يَمُدُّ صوْتَهُ بآخِرها[١].

والرَّسولُ ﷺ يحفرُ بنفسهِ في الـخندقِ معَ أصحابِه، والصَّحابةُ رضي الله عنهم يحفُرونَ في الـخَندقِ هنا وهناكَ، وإذا بصخرةٍ عظيمةٍ تُقابِلُهم فعَجَزوا عنها، فلجأوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ لهم: «**إني نازلٌ**» فخَلَع ثِيابَه ثم هَبَطَ إليها.

تعالَوا بنا لنَستَـمعَ إلى البراء بن عازب رضي الله عنه وهو يخبرنا الـخبر، يقول رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنْ الـخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْـمَعَاوِلُ، فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ، ووَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْـمِعْوَلَ فَقَالَ: بِسْمِ الله، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّام، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ الله وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْـمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ الله وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»[٢].




وهكذا يُبَشِّرُ رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه بفتـحِ هذه البُلدان، وهم يُعانونَ من شدَّةِ الجوعِ والبَردِ، فرفعَ ذلكَ من رُوحِهم الـمَعنويَّةِ، فانطلَقوا يَعمَلون بجدٍّ ونَشاطٍ في حَفرِ الـخَندقِ وهم يَربِطونَ الحِجارةَ على بطونِهم من شدَّةِ الجوعِ وهذا من أعلامِ نُبوَّته ﷺ.

ومن مُعجزاتهِ ﷺ في حَفرِ الـخَندقِ أيضاً زيادةُ الطَّعامِ بينَ يدَيه ﷺ، تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه وهو يُخبِرُنا الـخبر.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٠٦).

(٢) **حسن**: رواه النسائي في الكبرى (٨٨٥٨)، وأحمد (٤/ ٣٠٣)، [«فقه السيرة» (ص٢٩٧)].

يقول رضي الله عنه: «إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَق نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَق فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ -أي صارت الصخرة رملاً سائلاً-

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ.

فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ -والعناقُ أنثى الـمعز-

فَذَبَحتُ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَة -وهي القِدرُ من الحجر- ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ. فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ.

قَالَ ﷺ: «**كَمْ هُوَ؟**» فَذَكَرْتُ لَهُ قالَ ﷺ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**».

قَالَ ﷺ: «**قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**».

فَقَالَ: قُومُوا ! فَقَامَ الـمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، (وهم ألفٌ).

فَلَـمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ! جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ.

قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قالت: الله ورسولُه أعلمُ.

فَقَالَ ﷺ: «**ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا -أي لا تزدحموا-**».

فَجَعَلَ ﷺ: يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ




مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ ﷺ: «**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**»(١).

ومن الأحداث التي حدثت في حفرِ الخندقِ أيضاً.

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ –و كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاَحَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِى أَخْرَجَنِى. فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِى الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى؟! فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»(٢).

العنصر الثالث: مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين.

انتهى الرسولُ ﷺ والمسلمونَ من حَفرِ الخندقِ قبلَ وصولِ الأعداءِ، وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ يَستعِدُّ لملاقاةِ الأعداءِ، فوضَعَ النَّبيُّ ﷺ النساءَ والأطفالَ في حِصنٍ هو من أقوى حصونِ المسلمينَ حِفاظاً عليهم، ورتَّبَ النَّبيُّ ﷺ الجيشَ، فأسنَدَ ظهرَهم إلى سَلْعٍ، وجَعَلَ وجوهَهم إلى الخندقِ الذي يَفصِلُ بينَهم وبينَ العدوّ.

وها هو جَيشُ العدوِّ في طريقِه إلى المدينةِ يُريدُ أن يَقضيَ على محمَّدٍ ﷺ وأصحابِه لتَستريحَ اليهودُ ولتَستريحَ قُريشٌ وهيهاتَ هيهاتَ!

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٠١، ٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٦).




وَصَلَ جيشُ الكُفرِ إلى الـمدينةِ في عَشرةِ آلافِ مُقاتلٍ، فلـما وَصَلَ الجيشُ إلى الخندقِ فُوجِئَ برؤيةِ الخندقِ، وأَخَذَ الجيشُ بقيادةِ أبي سفيانَ يتـحرَّكُ هنا وهناكَ يُفكِّرُ في كيفيَّةِ اقتـحامِ الخَندقِ، وكلَّـما همُّوا بذلك أمطرَهمُ الـمسلمونَ بالسِّهام.

النبيُّ ﷺ معَ جَيشِ الإسلامِ في ثلاثةِ آلافِ مُقاتلٍ، الـخندقُ أمامَهم والجبلُ خلفَ، وفي الجانبِ الآخرِ للخَندقِ جيشُ الكُفرِ بقيادةِ أبي سفيانَ في عشرةِ آلافِ مُقاتلٍ، واليهودُ يغدِرون.

يقولُ بعضُ العلـماءِ: لو تركت الكلابُ نُباحَها وتركت الحميرُ نهيقَها؛ لتركت اليهود غدرها.

هَجَماتُ الكفّارِ لم تَنقطع، وجيش الإسلام لهم بالمرصاد، حتى إن الرسول ﷺ والـمسلمينَ لم يتـمكَّنوا من أداءِ صلاةِ العَصرِ في أحدِ الأيامِ في وقتِها بل صلَّوها بعدما غَربت الشَّمسُ، ولم تكُن صلاةُ الـخَوفِ قد شُرِعَت بعدُ، يقولُ عمرُ رضي الله عنه: مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

فقالَ ﷺ: «**فَوَاللهِ إِنْ صَلَّيْتُهَا**»[1].



ثم دَعا رسولُ اللهِ ﷺ على الأحزابِ الذين شَغَلوهم عن صلاةِ العَصرِ.

فقال: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةِ الْعَصْرِ مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا**»[2].

تعالَوا بنا لنَنظُرَ إلى الظُّروفِ الصَّعبةِ التي تُـحيطُ بأرضِ الـمعركة.

أولاً: أعدادُ الكفّارِ كبيرةٌ جداً بلغَت عشرةَ آلافِ مُقاتلٍ تُـحيطُ بالمدينة.

ثانياً: جُوعٌ شديدٌ وبردٌ قارسٌ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٦)، و مسلم (٦٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٣١)، و مسلم (٦٢٧).



ثالثاً: وَصلَتِ الأخبارُ أن يهودَ بني قُريظةَ غَدَروا بالمسلمِينَ؛ فنَقضُوا العَهدَ الذي بينَهم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ ليَضرِبوا المسلمِينَ من الخَلفِ تَعاوُناً معَ جيشِ الكفر.

رابعاً: تَرَكَ المنافقونَ والذين في قلوبِهم مرضٌ أرض المعركة بحُجَجٍ واهيةٍ زاعمِينَ أن بيوتَهم مكشوفةٌ للأعداءِ، وإنما يُريدونَ الفِرارَ من المعركةِ.

خامساً: أخَذَ بعضُ المنافقِينَ والذين في قُلوبِهم مرضٌ يَدعونَ غيرَهم لتركِ أرضِ المعركةِ والرُّجوعِ إلى بيوتِهم وأهليهم، بحجة أنه لا قِبَلَ لهم بعدد الكفار.

سادساً: طالَ الحِصارُ واشتَدَّ من الكفارِ للمَدينةِ شهراً كاملاً.

والله عزَّ وجلّ يُخبِرُنا بهذه الظروفِ الصَّعبةِ على المسلمِينَ، ويُصوِّرُها لنا فيقول سبحانه: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١** ﴾[الأحزاب].

وكما أن الشَّدائدَ تُظهِرُ نفاقَ المنافقِينَ، فهي كذلكَ تُظهِرُ إيمانَ المؤمنِينَ، فالمؤمنونُ وهم يَعيشونَ هذه الظُّروفَ الصَّعبةَ في أرضِ المعركةِ، وهم على أعصابهم، تذكَّروا قولَه تعالى: ﴿ **أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ** ﴾ -عندها- ﴿ **أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤** ﴾[البقرة].

ولذلك ازدادَ المؤمنونَ إيماناً وتَسليماً وتَصديقاً لوعدِ اللهِ، فماذا قالَ المؤمنونَ؟




قالَ الله عزَّ وجلَ في وصفهِم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

أما الـمنافقونَ والذينَ في قلوبهم مرضٌ، عندَما نَظروا إلى جيشِ الكفرِ وإلى عددِه الكبيرِ ظنُّوا باللهِ ظَنَّ السَّوءِ، وأخذُوا يُشكّكونَ بل ويَسخَرونَ من البشاراتِ التي بَشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه عندَما ضَربَ الصَّخرةَ وقال: «**اللهُ أكبر أُعطِيتُ مفاتيح الشام، الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، الله أكبر أعطيت مفاتيحَ اليَمن**».

ويقولُ بعضُهم لبعضٍ: انظُروا إلى محمَّدٍ يَعِدُكم بفَتحِ اليَمنِ والشّامِ وفارسٍ؛ وأحدُكم لا يستطيعُ أن يذهبَ لقضاءِ حاجتِهِ من الـخوفِ، ولذلكَ ازدادَ الـمنافقونَ مَرضاً على مرضِهم.

قالَ تعالى عن الـمنافِقينَ ومَرضى القلوب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب]، ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى في وصفهم: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

العنصر الرابع: شدة وكرب وبلاء، يعقبها نصر وفرج.

البلاءُ بالـمسلمِينَ يزدادُ يوماً بعدَ يوم، والخوفُ يزدادُ ساعةً بعدَ ساعة، حتى بلغَتِ القلوبُ الحناجرَ؛ بردٌ قارسٌ، وجوعٌ شديدٌ، وحِصارٌ طالَ شهراً،




فأتى الصَّحابةُ رسولَ اللهِ ﷺ وقالوا: يا رسول الله هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ؟ -فماذا قال لهم؟ ربط قلوبهم بالله- فقال ﷺ لهم: «**نَعَمْ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا**»(١).

وتوجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى ربِّه أيضاً بالدُّعاءِ ﴿**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل:٦٢].

فقالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»(٢).

وفي رواية: «**اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**».

توجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ والصَّحابةُ إلى ربِّهم بالدُّعاءِ أن يَجعلَ لهم مَخرجاً، وأن ينصُرَهم على عدوِّهم.

والدعاءُ يَنفعُ مما نَزلَ ومما لم يَنزِلْ، واللهُ عزَّ وجلَّ يَستجيبُ الدُّعاءَ من عبادِه الصَّالِحِينَ.

قالَ تعالى: ﴿**فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ**﴾[آل عمران:١٩٥]، وجاءَ النَّصرُ والفَرجُ من عندِ اللهِ، فأرسلَ اللهُ ريحاً وجنوداً من عندِه على الأحزابِ أطْفأَت نارَهم، وقلَعت خيامَهم.

تعالَوا بنا لنَستمِعَ إلى حُذيفةَ رضي الله عنه وهو يُخبِرُنا عن الظُّروفِ الصَّعبةِ التي يَعيشُ فيها المسلمونَ، ويُخبِرُنا أيضاً عن الرُّعبِ والدَّمارِ والذُّعرِ الذي حَلَّ بالأعداءِ في الجانبِ الآخرِ من الخندقِ.



يقولُ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠١٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).



شَدِيدَةٌ وَقَرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ»(١).

قالَ تعالى: ﴿**وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾**﴾ [الأحزاب].

ورجعَتِ الأحزابُ تجرُّ أذيالَ الخيبةِ والحُزنِ لم ينالوا شيئاً مما جاءوا له.

وقالَ ﷺ: «**الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»(٢).

وامتنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ على المؤمنينَ بنصرهم هذا في غزوةِ الأحزاب.

فقالَ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾**﴾ [الأحزاب].

ولذلكَ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ينسبُ الفضلَ كلَّه في هزيمةِ الأحزابِ لله عزَّ وجلَّ.

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١١٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (٢٧٢٤).

العنصر الخامس: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من غزوة الأحزاب.

أولاً: الكفر ملةٌ واحدة هدفهم واحد وهو: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله.

أمةَ الإسلام! الكُفرُ ملَّةٌ واحدةٌ في كلِّ بلادِ الدُّنيا هدفُهم: دمِّروا الإسلامَ أبيدوا أهلَه، ويَفعلُ الكفرُ ذلكَ تـحتَ ستارِ (مكافحةِ الإرهاب).

وهدفُ الكفّارِ من القَضاءِ على الإسلامِ والـمسلمِينَ هو السَّيطرةُ على خَيراتِ الـمسلمِينَ، وهذا يا عبادَ اللهِ يظهَرُ لنا من غزوةِ الأحزابِ، فقد جاؤوا من كلِّ مكانٍ للقَضاءِ على الإسلامِ والـمسلمِينَ والسَّيطرةِ على خَيراتِ الـمسلمِينَ في الـمدينةِ، ولتأمينِ طُرقِ التّـجارةِ بينَ مكَّةَ والشّام.

والتاريخُ يُعيدُ نفسَه، فما من عام يَمرُّ علَينا إلّا ونسمع ونرى ملَّةَ الكفرِ يَجتـمعونَ لحربِ المسلمِينَ تحتَ شعاراتٍ كاذبةٍ، ليَنهَبوا خيراتِ بلادِ المسلمِينَ وليُؤَمِّنوا مصالحهم في تلك البلاد، ورسولُنا ﷺ يُخبِرُنا بذلكَ فيقول:



«**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ**» -أي: يَدعو بعضُها بعضاً، فتُـجيبَ- «**كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**» **فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ؟**

قالَ ﷺ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْـمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ.**

فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ الله: وَمَا الْوَهْنُ؟

قالَ ﷺ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْـمَوْتِ**»(١).

وهذا الحديثُ يُشَخِّصُ لنا حالَ الأمةِ الإسلاميَّةِ إذا ضَعُفَت وتَفرَّقت مع أعدائِها، ففي هذا الحديثِ:

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨)].

أولاً: أن أعداءَ الإسلامِ يَرصُدونَ حالةَ أمةِ الإسلامِ؛ فإن رأَوا أن الوَهْنَ دبَّ إليها، والمرضَ نَخرَ جسمَها، وثَبوا عليها ليَقضُوا على ما تبقّى منها.

ثانياً: أن أممَ الكفرِ تَدعو بعضَها بعضاً لتَجتمِعَ للتآمرِ على الإسلامِ وأهلِه.

ثالثاً: أن ديارَ المسلمِينَ منبعُ خَيراتٍ وبركاتٍ، تحاولُ أممُ الكُفرِ الاستيلاءَ عليها، ولذلكَ شبَّهَها الرَّسولُ ﷺ بالقَصعةِ المَملوءةِ بالطِّيبِ من الطَّعامِ، التي أغرَتِ الأكلةَ فتَواثَبوا عليها، كلٌّ يريدُ نصيبَ الأسدِ.

رابعاً: أن أممَ الكفرِ لم تَعُد تَهابُ المسلمِينَ لأنهم فَقَدوا مهابَتَهم بينَ الأممِ، بعدَ أن بَعُدوا عن دينِهم.

خامساً: عناصرُ قوَّةِ الأمةِ الإسلاميةِ ليسَ في عدَدِها وعُدتِها، بل في عقيدتِها ومنهجِها.

ولذلكَ يقولُ ﷺ للسّائلِ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ**».

وتأمَّل درسَ حُنَينٍ قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[التوبة:٢٥].

وانظُروا إلى يومِ بدرٍ كيفَ نَصرَ اللهُ المسلمِينَ وهم قِلةٌ

وانظُروا إلى غزوةِ الأحزابِ كيفَ نَصَرَ اللهُ عبادَه بجُندٍ من عندِه

سادساً: أن الأمةَ الإسلاميةَ إذا تركت دينها أصبحت لا وزنَ ولا قيمةَ لها بين الأمم، قال ﷺ: «**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**».

ثانياً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من غزوة الأحزاب (إن تنصروا الله ينصركم).

الرسولُ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم في غزوةِ الأحزابِ أخَذوا بكلِّ أسبابِ النَّصرِ، معَ توكُّلِهم على اللهِ واعتقادِهم أن النَّصرَ من عندِ اللهِ، ولذلكَ توجَّهوا جميعاً إلى اللهِ




عزَّ وجلَّ بالدُّعاءِ فاستَجابَ اللهُ لهم، ونَصرَهم بنصرٍ من عنده على عدوِّهم.

وكانَ من نتائجِ غزوةِ الأحزابِ.

أولاً: فَرَّقَ اللهُ شَملَ الأحزابِ واليهودِ بعدَ أن اجتمعوا لحربِ المسلمينَ.

ثانياً: أرسلَ اللهُ على المشركِينَ ريحاً شديدةً باردةً تَقلعُ خيامَهم وتُطفئُ نارَهم.

ثالثا: أرسلَ اللهُ على المشركِينَ جنداً من الملائكة؛ يُزَلزلونَهم ويُلقُونَ في قلوبهم الرُّعبَ والخَوفَ. قالَ تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩**﴾ [الأحزاب].

رابعاً: رَجَعَ الكفّارُ عن المدينةِ يَحمِلونَ غيظَهم في صدورِهم. قالَ تعالى: ﴿**وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ**﴾.

خامساً: فَشِلَ الكفّارُ في تَحقيقِ أهدافِهم ﴿**لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا**﴾.

سادساً: كَفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ: ﴿**وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ**﴾.

أمة الإسلام! ماذا فَعَلَ النَّبيُّ ﷺ في يهودِ بني قُريظةَ الذين نَقَضوا العَهدَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ؟

هذا الذي نعرِفُه في الجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعزَّ المسلمِينَ.





٤١

غزوة بني قريظة

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ بني قُرَيظة.

وغزوةُ بني قُرَيظَةَ كانَت نتيجةً من نتائجِ غزوةِ الأحزابِ، وأثَراً من آثارِها، ولم تكُن هذه الغزوةُ بتدبيرٍ من الرَّسولِ ﷺ، ولا بمَشورةِ أحدٍ من الصَّحابةِ رضي الله عنهم، بل كانَت بأمرٍ من اللهِ تعالى؛ إذ لم يَكَدِ الرَّسولُ ﷺ ينفُضُ يدَيه من آثارِ غزوةِ الأحزابِ حتى نَزَلَ الوحيُ بأمرِ اللهِ له أن يَتوجَّهَ إلى بني قُرَيظةَ التي نقَضَت عهدَها معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وتَحالَفت معَ الأحزابِ سرّاً لضَربِ المسلِمينَ في المدينةِ من الخَلفِ.



وحديثُنا عن غزوةِ بني قُرَيظةَ سيكونُ حول العناصرِ التالية:

العنصر الأول: أسبابُ هذه الغَزوة.

العنصر الثاني: الجزاءُ من جنسِ العملِ.

العنصر الثالث: الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخذُ من غزوةِ بني قُرَيظةَ.

العنصر الأول: أسباب هذه الغزوة

السَّببُ الرئيسيُّ لغزوةِ بني قُرَيظةَ هو: أنهم نَقَضوا عهدَهم معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وتعاوَنوا معَ الأحزابِ للقَضاءِ على المُسلِمينَ في المَدينةِ.

خَرَجَ وفدٌ من اليَهودِ وعلى رأسِهم حُيَيُّ بن أخطَبَ وأبو رافعٍ بنُ أبي الحقيقِ إلى كفّارِ مكَّةَ وإلى القَبائلِ المُجاورةِ، وحرَّضوهُم على غَزوِ المسلِمينَ في المَدينةِ للقَضاءِ عليهم، وخَرَجَ بسببِ هذا التَّحريضِ جيشٌ قِوامُه عشرةُ آلافِ مُقاتلٍ.

ولـما وَصَلَ هذا الجيشُ إلى الـمَدينةِ ووَجَدَ الـخندقَ الذي حالَ بينَه وبينَ دُخولِ المدينةِ، وطالَ الحِصارُ من هذا الجيشِ للمدينةِ، ولم يتـمكَّن من دُخولِها، ذهبَ رأسُ العِصابةِ حُييُّ بنُ أخطبَ اليهوديُّ إلى يهودِ بني قُريظةَ الذين يسكنون في الجِهةِ الجنوبيَّةِ من المدينةِ، وبينَهم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ وميثاقٌ، ليَنقُضوا عهدَهم معَ رسولِ اللهِ ﷺ حتى يتمكَّنَ جيشُ الأحزابِ من الدُّخولِ إلى الـمدينةِ من الجهةِ الجنوبيَّةِ ليَضربوا المسلمِينَ من الخَلفِ، فأتى حُيَيُّ بنُ أخطبَ اليهوديُّ كَعباً القُرَظيَّ وهو كبيرُ بني قُرَيظةَ، ثم ناداه: يا كعبُ افتَح لي! فأغلقَ كعبٌ دونَه الأبوابُ.



يا كعبُ افتَـح لي! قالَ له كعبٌ: ويحَكَ يا حُييُّ، إنك رجلٌ مشؤومٌ وقد أعطَيت محمَّداً عهداً وميثاقاً، ولم أر منه إلَّا وفاءاً وصدقاً فما أنا بناقض عهده.



فما زالَ حُييُّ بن أخطبَ بكَعبِ القُرَظيِّ يُغرِيه حتى فَتَحَ له، فأخَذَ يحدثُّه عن كثرةِ جيشِ الأحزابِ الذي جاءَ به، وعن شدَّةِ قوَّةِ هذا الجيشِ، وعن الأسلحةِ التي معَهم، حتى طَمأَنَه أن النَّصرَ سيكونُ بجانبِ الأحزابِ لا لمحمَّدٍ، وأصحابهِ -لتَعلَموا ماذا يَفعلُ اليهودُ في ظلُـماتِ اللَّيلِ، وهذا هو هدفُهم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ القَضاءُ على الإسلامِ والـمسلمِينَ-.

فلـما أمِنَ كعبٌ القرظيُّ عاقبةَ الغَدرِ، وعَلِمَ أن الدولةَ للأحزابِ لا لمحمَّدٍ وأصحابهِ؛ وافَقَ حُييَّ بن أخطبَ على ما دَعاه إليه من الغَدرِ، وهذا يدلُّنا على أن اليهودَ أهلُ غدرٍ وخيانةٍ، يُوفونَ بالعِهدِ إذا كانَ لمصلحتِهم، ويَغدُرون إذا كانَ الغدرُ لَمصلحتِهم.

ولـما بَلَغ الـخبرُ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» -أي بخبر بني قريظة، **قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ**



النَّبيُّ ﷺ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا وَحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ»(١).

يقولُ الزُّبيرُ رضي الله عنه فأتيتُهم فأتيته بخَبَرِهم -أي أنهم فِعْلاً غدَروا وخانُوا، فازدادَ الـمؤمنونَ شدَّةً على شِدَّتهم وخَوفاً على خوفِهم، لأن الأحزابَ إذا دخَلوا من الخَلفِ ضَرَبوهُم ضربةً قاضيةً، ولكنَّ اللهَ سلَّمَ. فما هي إلا أنْ وقَعَتِ الفُرقةُ بينَ الأحزابِ وبني قُرَيظة.

العنصر الثاني: الجزاء من جنس العمل



عندَما أرادَ اليهودُ -قاتلَهُم اللهُ- بتَحريضِهِمُ الكفّارَ على الـمسلمِينَ وبغَدرِهم أن يَستأصِلوا الـمسلمِينَ من على وجهِ الأرضِ؛ وَقَعَ ذلك بهم فقَتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ وسَبى نساءَهم وذراريهم وأخذَ أرضَهم وأموالَهم ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ]. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النحل].



تعالَوا بنا لنتعرَّفَ على ما نَزلَ بيهودِ بني قُرَيظةَ ومَنْ تعاونَ معَهم بعدَ غدرِهم برسولِ اللهِ ﷺ في غزوةِ الأحزابِ.

رَجَعَتِ الأحزابُ إلى ديارِهم يَجرُّونَ أذيالَ الـخَيبةِ والخُسرانِ، لم يَنالوا خيراً بعدَ أن أرسَلَ اللهُ عليهم ريحاً وجُنوداً من عنده. قالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب]، ورَجَعَ كذلكَ الوفدُ اليهوديُّ -الذي خَرَجَ من خَيبرَ لتحريضِ الأحزابِ لغَزوِ الـمدينةِ- إلى أرضِهم.

فلـما رأت بنو قُرَيظةَ أنَّهم وحدَهم في الـمدينةِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، ورأَوا أنهم قد هلكوا بسبَبِ غَدرِهم ونَقضِهم عهدَ النَّبيِّ ﷺ، دخَلوا حصونَهم وأغلَقوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤٥١).



أبوابَهم، وجَلَسوا ينتظرونَ ما يُفعَلُ بهم.

ودَخلَ معَهم حييُّ بن أخطبَ اليهوديُّ وفاءاً بعَهدِه لسيِّدِهم كعبٍ القُرَظيِّ، حيثُ كانَ حينَ دعاه إلى نقضِ العَهدِ والغَدرِ أعطاهُ عَهداً وميثاقاً إن لم يكُن ما أرادَ من استِئصالِ الـمسلمِينَ أن يَرجِعَ فيَدخُلَ معَه في حصنِه، ليُصيبَه ما أصابَه.

ورَجَعَ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه إلى الـمدينةِ بعدَ هذا النَّصرِ الـمُبينِ على الأحزابِ، ووَضَعَ ﷺ سلاحَه وأَخَذَ يَغتسِلُ ليُزيلَ هذا التُّرابَ الذي غَبَّرَ جَسَدَه الشَّريفَ، فأتاه جبريلُ عليه السلام فقالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ! وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ -لتعلَموا أن الـملائكةَ كانوا يُجاهِدون معَ الـمسلمِينَ في غزوةِ الأحزابِ-.

قَالَ ﷺ: «**فَإِلَى أَيْنَ**»؟ قَالَ: هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ[1] -إلى الـخونة الذين لا يتركون الغدر-.



أصدَرَ النَّبيُّ ﷺ أوامِرَه للجَيشِ الـمسلم بالخروجِ إلى بني قُرَيظةَ فوراً وبأسرعِ ما يُمكِنُ وقالَ لهم: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»[2]، وكانَ ذلكَ بعدَ الظُّهرِ، ولَبِسَ النَّبيُّ ﷺ سلاحَه وخَرَجَ معَ الجيشِ. ها هو جَيشُ الإسلامِ بقيادةِ رسولِ اللهِ ﷺ في طريقِه إلى بني قُرَيظةَ، وقد سبقَهم جبريلُ عليه السلام.

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ ﷺ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ»[3].

وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ وَهُمْ جِيرَانُ الْـمَسْجِدِ حَوْلَهُ فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ فَقَالُوا مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ تُشْبِهُ لِحْيَتُهُ وَسِنُّهُ وَوَجْهُهُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فقالَتْ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١١٧)، ومسلم (١٧٦٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤١١٨).



خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَـمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ، قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْـمُنْذِرِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، قَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَنَزَلُوا، وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو! حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، قَالَتْ: لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ قَدْ آنَ لِي أَنْ لَا أُبَالِيَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ.

وسعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه قد أصابَه سهمٌ من رجلٍ من الـمشركِينَ في غزوةِ الأحزابِ فأصابَ أكحلَه فقطعَه فدَعا سعدٌ ربَّه فقالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حتى تقرَّ عيني من بني قريظة»، فلـما وصل سعد رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ قال ﷺ لأصحابه: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ.

فقال له رَسُولُ الله ﷺ: احْكُمْ فِيهِمْ -أي في بني قريظة-.

قالَ سعدٌ رضي الله عنه: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمِ رَسُولِهِ»**(١).

وفي روايةٍ قال ﷺ: **«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْـمَلِكِ»**(٢).

ثم استُنزلوا فحَبَسهم رسولُ الله ﷺ في دارٍ بالمدينةِ، ثم خَرَجَ ﷺ إلى سوقِ الـمدينةِ فخَندَق فيها خَنادِقَ، ثم طَفِقَ يَبعثُ إليهم فيُؤتى بهم أرسالاً -أي جَماعاتٍ- فتُضرَبُ أعناقُهم -العِزَّةُ للهِ ولرسولِهِ وللمؤمنِينَ- وفيهم عدوُّ اللهِ حُييُّ



(١) **حسن**: رواه أحمد(٦/ ١٤١)، وابن حبان (٧٠٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).



ابنُ أخطبَ النَّضريُّ اليَهوديُّ الذي قالَ -لعنَه اللهُ- عندما رأى النَّبيَّ ﷺ: واللهِ ما لُمتُ نَفسي في عداوتِك، ثم جَلسَ فضُربَتْ عنقُهُ لعنَه اللهُ.

ولـما قُتِلَ رجالُ بني قريظة وسُبيَتِ النِّساءُ والصِّبيانُ، وقَرَّت عينُ سعدِ بنِ معاذ لذلكَ استجابةً من الله لدعوته، توجَّهَ رضي الله عنه إلى الله تعالى بدَعوة ثانية فقالَ: «اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ»(١). -أي جُرْحُه-.

وقد أخبرَنا اللهُ في كتابهِ بغزوةِ الأحزاب وغزوةِ بني قُرَيظةَ فقالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

هكذا (الجزاءُ من جنسِ العملِ) ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

أرادَت بنو قُرَيظة القَضاءَ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه فنزَلَ ذلكَ بهم، وأرادَ عدوُّ اللهِ حُيَيُّ بنُ أخطبَ اليَهوديُّ استئصالَ الـمسلمِينَ فنزَلَ ذلكَ به، وضَرَبَ الـمسلمونَ عنُقَه معَ أعناقِ بني قُرَيظةَ.

وهذا أبو رافعِ بنُ أبي الحقيقِ اليهوديُّ، الذي ذَهبَ مع حُيَيِّ بن أخطب اليهوديِّ إلى كفّارِ مكَّةَ؛ ليُحَرِّضوهُم على استئصالِ الـمسلمِينَ في الـمدينةِ، لابدَّ أن يأخُذَ جزاءَه فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه أن يَقتُلوه.

وتعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه وهو يُخبرُنا الـخَبَر، قالَ البراءُ ابنُ عازبٍ رضي الله عنه: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ،

(١) حسن: رواه أحمد (٦/ ١٤١)، وابن حبان (٧٠٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧)].




وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَـمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ فَقَالَ عَبْدُ الله لأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ يَا عَبْدَ الله! إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ فَلَـمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ،وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَـمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي -أي علموا بي- لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ : مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ؟

فَلَـمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعِي أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ -أي أسرعوا- فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٣٩)

وهكذا تَـخلَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ من رؤوسِ الأفاعي من اليهودِ -لعنَهم اللهُ-، الذين تَربَّوا على الغَدرِ والخيانةِ ونقضِ العُهودِ والمواثيقِ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[الكهف] فكلُّ مَن مكَرَ بالـمسلِمينَ وسعى في استِئصالِهم؛ هذا هو مصيرُه في الدُّنيا القَتلُ والفَضيحةُ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾[فاطر].

العنصر الثالث: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من غزوة بني قريظة.

أولاً: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ للظالِمينَ بالمِرصاد، كما قالَ تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** ۝٤٢﴾[ابراهيم]، وقالَ تعالى ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤﴾[الذاريات].

وقالَ ﷺ: «**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾[هود]».

ماذا فعلَ اللهُ بالأحزابِ عندَما أرادوا ظُلمَ الـمسلمِينَ في الـمدينةِ؟

أرسلَ الله عزَّ وجلَّ عليهم ريحاً وجنوداً من عندهِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدَّثر:٣١].

ماذا فَعَلَ اللهُ عزَّ وجلّ بيهودِ بني قُرَيظَةَ عندَما أرادوا أن يَضرِبوا الـمسلِمينَ من الـخلفِ فخانُوا وغَدَروا؟

أبادَهُم اللهُ من فوقِ الأرضِ وأوْرَثَ أموالَهم وأرضَهم وديارَهم للمسلمِينَ، فاحذروا من الظُّلمِ يا عبادَ الله! فإن الظُّلمَ ظُلُـماتٌ يومَ القيامةِ.

واعلموا أن اللهَ عزَّ وجلَّ يَستَجيبُ دعوةَ الـمظلومِ إذا دعا على الظّالِمِ.

ثانياً: الـمستقبلُ للإسلامِ.




قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

الإسلامُ دينُ اللهِ في الأرضِ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران].

والإسلامُ هو الدِّينُ الذي ارتَضاه اللهُ للبَشريَّةِ ديناً إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها.

قالَ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

واللهُ عزَّ وجلَّ يحفَظُ هذا الدِّينَ ويحفَظُ أهلَه؛ إن هُم نَصروا اللهَ في أنفسِهم.

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].



وقالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ** -أي هذا الدين- **ما بلغَ الليلُ والنهارُ وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَ ذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(١).

وقالَ ﷺ «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(٢).

أيها المسلمون! ما مِن أمَّةٍ حاولَت أن تعتديَ على هذا الدِّينِ وعلى أهلِه إلَّا أبادَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ ودمَّرَهم، فانظُروا ماذا فَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالأحزابِ عندَما جاؤوا من كلِّ مكانٍ للقضاءِ على الإسلامِ وأهلِه؟

وانظُروا ماذا فَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ بيهودِ بني قُرَيظةَ؛ عندَما أرادوا بغَدرِهمُ القَضاءَ على الإسلامِ وأهلِه؟

ثالثاً: فضائلُ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه

سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه الذي دَعا فاستجابَ اللهُ له قال: «اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ»(٣).

سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه الذي حَكَمَ في بني قُرَيظةَ بحُكمِ الـمَلِكِ من فوقِ سبع سموات، سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه الذي اهتزَّ عرشُ الرَّحمنِ لموتِه.

قالَ ﷺ «**اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»(٤).

سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه الذي حَمَلَتِ الـملائكةُ جِنازتَه.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٥٨٢)، والنسائي في الكبرى (٨٧٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، [«إرواء الغليل» (٥/ ٣٩)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).




عن أنسٍ ﵁ قالَ: لـما حُمِلَت جِنازةُ سعدِ بنِ معاذٍ قالَ الـمنافقونَ: ما أخفَّ جِنازتَه.

فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْـمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ**»(١).

اللهمَّ ردَّ الـمسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٤٩)، وأبو يعلى (٣٠٣٤)، والحاكم (٣/ ٢٢٨)، [«صحيح الترمذي» (٣٠٢٤)].



عمرة الحديبية (صلح الحديبية)

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن عُمرةِ الحُدَيبيةِ (صُلحِ الحُدَيبية).

والحُدَيبيةُ قريةٌ قريبةٌ من مكَّةَ أكثرُها في الحَرَم[1].

وحديثُنا عن عُمرةِ الحُدَيبيةِ أو عن صلحِ الحُدَيبيةَ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: سَببُ هذه العُمرةِ وموقفُ الـمنافقِينَ.

العنصر الثاني: الرَّسولُ ﷺ والصَّحابةُ الكِرامُ يتـحرَّكونَ إلى مكَّةَ.

العنصر الثالث: الأحداثُ التي وَقَعَت عندَ الحُدَيبيةِ قبلَ الصُّلح.

العنصر الرابع: صلحُ الحُدَيبية.

العنصر الـخامس: الأحداثُ التي وَقَعَت بعدَ الصُّلحِ.

العنصر السادس: الفوائدُ والدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخَذُ من صُلحِ الحُدَيبية.

العنصر الأول: سبب هذه العمرة وموقف المنافقين.

رأى النَّبيُّ ﷺ -وهو بالمدينةِ- رؤيا بالمنام: أنه داخلٌ مكَّةَ وطائِفٌ بالبَيتِ العتيقِ، ورؤيا الأنبياءِ وحيٌ، فأوَّلَـها رسولُ اللهِ ﷺ على أنها إذنٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ بدخولِ مكَّةَ.

---

(١) «فتـح الباري» (٥/ ٣٣٤).

فأذَّنَ مؤذِّنُه في النّاسِ بأن النَّبيَّ ﷺ مُعتـمِرٌ، فأجابَه إلى العُمرةِ ألفٌ وأربعُ مئةٍ من الـمؤمنِينَ الصّادِقينَ.

وأما المنافقونَ فقد ظنُّوا باللهِ ظنَّ السَّوءِ؛ ظنُّوا أن محمَّداً وأصحابَه إن دنَوا من مكَّةَ، فإن قريشاً والعربَ سيَستأصِلونَهم ويُبيدونَهم، فلا يَرجِعُ منهم واحدٌ البتَّةَ.

ثم زَوَّروا في أنفسِهم عُذراً يَعتذرونَ به للنَّبيِّ ﷺ إن هو رَجَعَ، واللهُ عزَّ وجلَّ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنونَ، فأنزلَ على رسولِه قرآناً يَفضَحُ فيه المنافقِينَ.



قـالَ تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح].



مَوقِفُ الـمنافقِينَ في كلِّ الأحوالِ واحدٌ لا يتغيَّرُ إلَّا بأسلوبِه وشكلِه الظاهريِّ، وجزاؤُهم على ذلكَ -عندَ الله تعالى- أيضاً واحدٌ لا يتبدَّلُ.

فقالَ تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

العنصر الثاني: الرسول ﷺ والصحابة الكرام يتحركون إلى مكة.

خَرَجَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه الكرامُ من الـمدينةِ في ذي القَعدةِ من السَّنةِ السّادسةِ للهجرةِ، ونظرَاً لتوقُّعِ الشَّرِّ من قُريش فإن الـمسلمِينَ أخَذوا سلاحَهم فكانوا مُستعِدِّينَ للقتالِ، فلـما وَصَلوا إلى ذي الحُلَيفةِ -وهي ميقاتُ أهلِ الـمدينةِ-

أحرَموا بالعُمرةِ، وساقوا الـهدي سَبعينَ بدنةً، وبَعَثَ النَّبيُّ ﷺ عَيناً إلى مكَّةَ ليأتيه بأخبارِ قُريشٍ.

ولـما وَصَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه إلى «عَسفان» جاءَ الـخبرُ إليهِ ﷺ أن قريشاً قد جَمَعوا الجموعَ، وخَرَجوا يُريدونَ أن يُقاتِلوه، ويَصدُّوه عن البيتِ الحرامِ.

فاستشارَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه في أن يُغِيرَ على ديارِ الذين ناصَروا قريشاً، واجتـمَعوا معَها ليَدَعوا قريشاً ويَعودوا للدِّفاعِ عن ديارِهم.

فَقَالَ ﷺ: «**أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْـمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله !خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ.

قَالَ ﷺ: «**امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ**»[1].

أخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ والصَّحابةُ يَسيرونَ إلى مكَّةِ؛ حتى إذا كانوا ببَعضِ الطَّريق قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيم -مكان قريب من مكة- فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ -أي في مقدمة الجيش- فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ فَانطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ** ﷺ **حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ، حَلْ حَلْ -وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير- فَأَلَحَّتْ**» -أي تـمادت على عدم القيام- فَقَالُوا: خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ -أي حرنت القصواء- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**»، ثُمَّ قَالَ:

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٧٨، ٤١٧٩).




«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ -أي قامت الناقة-.

فَعَدَلَ عَنْهُمْ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى النبيِّ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ -وهذه من معجزاته ﷺ-.

العنصر الثالث: الأحداث التي وقعت عند الحديبية قبل الصلح.

أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يَبعثَ إلى قُريش رجلاً من أصحابِه يُخبِرُهم أنهم جاءوا عُمّاراً، ولم يَجيئوا لقتالٍ -ليَعلمَ الجميعُ أنَّ الإسلامَ لا يَطلبُ حرباً إلَّا إذا فُرِضَت عليه، وأنَّ الذين يُشعِلوَن الحربَ هم أهلُ الكفرِ والشِّركِ- فدعا عُمرُ رضي الله عنه فقالَ عمرُ: يا رسول الله! ليسَ لي بمكَّةَ أحدٌ من بني كعبٍ يَغضَبُ لي إن أُوذيتُ، فأرسلْ عثمانَ بنَ عفّانَ، فأرسلَه، فانطلقَ عثمانُ فمَرَّ على نفرٍ من قُريشٍ فقالوا له: أين تُريد؟

فقالَ: بعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أدعوكُم إلى اللهِ وإلى الإسلامِ وأُخبرُكم أنّا لم نأتِ لقتالٍ وإنما جِئنا عُمّاراً.



فقالوا: قد سَمِعنا ما تقولُ فانفُذ لحاجتِك.

وقامَ إليه أبانُ بن سعيدِ بنِ العاصِ حينَ دَخَلَ مكّةَ، فحَمَلَه بينَ يدَيه وأجارَه حتى بلّغَ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وتأخَّرَ عثمانُ رضي الله عنه في مكّةَ حتى أُشيعَ أنه قد قُتِلَ.

فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه إلى البيعةِ، فبايَعوه تحتَ الشَّجرةِ بيعةَ الرِّضوانِ على أن لا يَفرُّوا، فأخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِ نفسهِ وقال: هذه يدُ عثمانَ، ثم جاءَ عثمانُ رضي الله عنه بعدَ أن تمَّتِ البَيعةُ.



قـالَ تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وبينَما رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ على حالِهم بالحُدَيبيةِ، إذ جاءَ بُدَيلُ بنُ ورقاءَ الـخُزاعيُّ في نَفَرٍ من خُزاعةَ -وهم موضعُ سرِّ رسولِ اللهِ ﷺ وأهلُ النُّصحِ له- فأخبرَ رسولَ اللهِ ﷺ أن قريشاً خَرجَت بكلِّ ما تَـملِكُ من قُوَّةٍ، ونَزَلَت بالحُدَيبيةِ عِندَ الـماءِ الكثيرِ، وهم مُقاتلوكَ وصادّوك عن البَيتِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ** -أي أضعفت قوتهم وأموالهم- **وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً** -أي جعلت بيني وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها- **وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ** -أي من الكفار العرب وغيرهم- **فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا** -أي فإن ظهر غيرُهم عليَّ كفاهم الـمؤنة، وإن أظهر أنا على غيرهم فإن شاءوا أطاعوني وإلا فلا تنقض مدة الصلح إلَّا وقد استراحوا وقووا-

ثم قالَ ﷺ: «**وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي** -أي: حتى أموتَ- **وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ** -أي: وليُمضِيَنَّ اللهُ أمرَه في نصرِ دينه-.

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا.

فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ.

وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ.

قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ




فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ! أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ -أي أهلكهم- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا -أي: حقيقاً- أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ -أي يتركوك-.



فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْـمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.



فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: الْـمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ.

فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ! أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ، وَكَانَ الْـمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْـمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ.-لكونه أخذ غدراً-.

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا

أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْـمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ! إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَـمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ، فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَـمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ، فَلَـمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ.




فقالوا له: اجلس إنما أنتَ أعرابيٌّ لا عِلمَ لكَ.

ثم أرسَلَت قُريشٌ مِكرزَ بن حَفصٍ وأعقَبَته بسُهيلِ بنِ عمروٍ، فلما رآه النَّبيُّ ﷺ قالَ: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**».

العنصر الرابع: صلح الحديبية:

عندَما أرسَلَت قُريشٌ سُهيلَ بنَ عمروٍ إلى رسولِ الله ﷺ أرادَت بذلكَ الصُّلحَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولكن بشرطِ أن يَرجِعَ الـمسلمونَ دونَ عُمرةٍ في هذا العام.

وعندَما جاءَ سُهيلُ بنُ عمروٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ**».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم.

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْـمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**».

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**».

والرَّسولُ ﷺ يفعلُ ذلكَ لأنه قال: «**لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْـمُقْبِلِ فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْـمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْـمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟

فبينما هم كذلك ! إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو وكان قد أسلم، فحبسوه وأوثقوه في الحديد، فهرب منهم وهو مقيد، حتى رمى بنفسه بين ظهراني الـمسلمينَ، فلـما رآه أبوه قال: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ.



فقال ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ**».

فقال سهيل: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «**بَلَى فَافْعَلْ**»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.



فقال أبو جندل: أَيْ مَعْشَرَ الْـمُسْلِمِينَ! أُرَدُّ إِلَى الْـمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ -وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ-؟

وغَضِبَ الـمسلمونَ لردِّ الـمسلمِينَ الفارِّين من قُريشٍ إليها فقالوا: «يا رسولَ الله! تكتُبُ هذا؟ قال لهم: «**نعم. إنه مَنْ ذَهَبَ إليهم فأبعدَه اللهُ، ومن جاءَنا منهم سيَجعلُ اللهُ له مَخرَجاً وفَرَجاً**»[1].

وظهَرَ الغَضبُ الشَّديدُ على عمرَ بن الـخطاب رضي الله عنه فراجَعَ رسولَ الله ﷺ في ذلكَ فقال: «**فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله** ﷺ» فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلى.

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟

قَالَ: إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي.

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ

قال عمر: **فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟**

فقال له أبو بكر بمثلِ ما قالَ له رسولُ الله ﷺ.

وزاد: «**فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ** -أي: تـمسَّك بأمرِه واترُك مخالفتَه- **فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله، قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٢٧٣١-٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٤) واللفظ لمسلم.

(٢) السياق للبخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢) وهذه اللفظ (فإني أشهد انه رسول الله قال عمر وأنا أشهد) وردت عند أحمد (٤/ ٣٢٣) وإسنادها حسن.




وقال عمر: «**مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنْ الَّذِي صَنَعْتُ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا**»(١).

وكانَ عمرُ رضي الله عنه يُراجِعُ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم ليَقِفَ على الحكمةِ من مُوافقتهِ على شروطِ الصُّلح، وكانَ يَرغبُ في إذلالِ المشركِينَ فجَميعُ ما صَدَرَ منه كانَ معذوراً فيه، بل هو مأجورٌ لأنه مُجتهدٌ فيه(٢).

العنصر الخامس: الأحداث التي وقعت بعد الصلح:

لما فَرَغَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من الصُّلحِ قالَ لأصحابهِ:

قُوموا فانحَروا ثم احلِقوا، فواللهِ ما قامَ منهم رجلٌ واحدٌ، قال ذلكَ ثلاثَ مرّاتٍ، فلما لم يقُم منهم أحدٌ دَخَلَ على أمِّ سَلمةَ رضي الله عنها فذكرَ لها ما لَقِيَ من النّاسِ.

قالَت أمُّ سلمةَ: يَا نَبِيَّ الله أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًا(٣).

وقبلَ أن يَرجِعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى المدينةِ جاءَه نسوةٌ مهاجراتٌ فماذا يَفعَلُ فيهنّ؟

فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة].

(١) وردت أيضا (٤/ ٣٢٣) عند أحمد وهي قطعة من الحديث السابق.
(٢) «فتح الباري» (٥/ ٣٤٦- ٣٤٧).
(٣) البخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢).




وبعد أن رَجعَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ جاءَهُ أَبُو بَصيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْش وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا في طَلَبِه رَجُلَيْن فقَالُوا: العَهْدَ الَّذي جَعلْتَ لَنا فَدفَعهُ إِلَى الرَّجُلَيْن، فَخرَجا به حتَّى بَلَغَا ذا الْحُلَيْفَة فنَزَلُوا يَأْكُلونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ فقالَ أَبُو بَصيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْن: وَالله إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يا فُلانُ جيِّدًا فاسْتَلَّهُ الآخَرُ فقالَ: أَجلْ وَالله إنَّهُ لَجيِّدٌ لقَدْ جَرَّبْتُ به ثُمَّ جَرَّبْتُ، فقالَ أَبُو بَصيرٍ: أَرِني أَنْظُرْ إلَيْه، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضرَبَهُ حتَّى بَرَدَ، وَفرَّ الآخَرُ حتَّى أَتَى المَدينَةَ فَدخَلَ المَسْجدَ يَعْدُو فقالَ رَسُولُ الله ﷺ حينَ رَآهُ: «**لقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا**»، فلَمَّا انْتَهى إِلَى النَّبيِّ ﷺ قالَ: قُتِلَ وَالله صاحِبي وإنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجاءَ أَبُو بَصيرٍ فقالَ: يَا نَبيَّ الله قَدْ وَالله أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَني إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجاني اللهُ مِنْهُمْ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**»، فَلَمَّا سَمعَ ذَلكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخرَجَ حتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ (يعني ساحله) قَالَ: وَيَنْفَلتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بأَبِي بَصيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْش رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بأَبِي بَصيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصابَةٌ، فَوَالله مَا يَسْمَعُونَ بعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْش إِلَى الشَّأم إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ تُناشِدُهُ بالله وَالرَّحِم لَمَا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].



وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ الله، وَلَمْ يُقِرُّوا بِـ(بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ[١].

العنصر السادس: الفوائد والدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من صلح الحديبية.

أولاً: كانَ صُلحُ الحُدَيبيةِ فَتحاً مبيناً على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى المسلمينَ، ففي عَودةِ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ من الحُدَيبيةِ نَزَلَ على رسولِ اللهِ ﷺ الوحيُ بسورةِ الفتح.

يقولُ ﷺ لعمرَ بنِ الخطَّابِ: «**لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح][٢].

يقولُ البراءُ رضي الله عنه «تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ»[٣].

وقد اشتملت هذه السورة العظيمة على المبشرات الكثيرة الطيبة لرسول الله ﷺ وللصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن هذه المبشرات:

١- المغفرة من الله عزَّ وجلَّ لرسول الله ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح].

٢- تبشير المؤمنين بالجنة.

قالَ تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح:٥].

٣- بشرهم بفتح خيبر.

قالَ تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤١٧٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤١٥٠).



﴿ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح].

قيل: هذهِ غنائمُ خيبر.

٤- بشرهم الله عزّ وجلّ برضاه عنهم.

قالَ تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

٥- بشرهم بالنصر والتمكين في الأرض وظهور هذا الدين.

فقالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح].

ثانياً: في صُلحِ الحُدَيبيةِ تطبيقُ النَّبيِّ ﷺ لمبدأ الشُّورى في الإسلامِ.

حيثُ استشارَ المسلمينَ في الإغارةِ على ذراري المشركينَ عندَما قالَ لهم: «**أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ**» وأخذَ برأي الصِّدِّيق رضي الله عنه، واستشارَ أمَّ سلمةَ رضي الله عنها في أمرِ النّاس لـما لم يُبادِروا بالنَّحرِ والحَلقِ حينَ أمرَهُم بعدَ الصُّلحِ، وأخذَ ﷺ برأيها.

ثالثاً: وقد ظهَرت مُعجزاتُ النَّبيِّ ﷺ في صُلحِ الحُدَيبيةِ عندَما فارَ الـماءُ بينَ يدَيه؛ يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: عَطِشَ النّاسُ يومَ الحُدَيبيةِ ورسولُ الله ﷺ بين يدَيه ركوةٌ، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله ﷺ: «**مَا لَكُمْ؟**» قَالُوا يَا رَسُولَ الله! لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْـمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ.

قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا

فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟

قال جابر: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً[1].

اللهمَّ اجعل للمسلمِينَ فَرَجاً ومَخرجاً.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٥٢).

٤٣

غزوة خيبر

أيها الإخوة عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ خيبرَ.

وخيبرُ مدينةٌ كبيرةٌ ذاتُ حصونٍ ومزارعَ، تَقعُ على بعدِ ستِّينَ أو ثمانينَ ميلاً من الـمدينةِ من جهةِ الشَّمالِ، وسُكَّانُها من اليَهودِ.

ومدينةُ خيبرَ كانَت حينَ غزاها الرَّسولُ ﷺ وأصحابُه آخرَ مَعقلٍ من مَعاقلِ اليَهودِ في أرضِ الجزيرةِ.

وفَتـحُ خيبرَ وعدٌ وعدَه اللهُ تعالى لرسولِه ﷺ وللمؤمنينَ عندَ عَوْدَتِهم مِنْ صُلحِ الحُدَيبيةِ، قالَ تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتـح].

يعني صلحَ الحُدَيبيةِ، وبالمَغانمِ الكثيرةِ خيبرَ.

وحديثُنا عن غزوةِ خيبرَ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: أسبابُ هذه الغزوةِ وموقفُ الـمنافقين.

العنصر الثاني: الجيشُ الإسلاميُّ في طريقهِ إلى خيبر.

العنصر الثالث: أحداثُ الغَزوة.

العنصر الرابع: مُعجِزاتُ النَّبيِّ ﷺ في غزوةِ خيبرَ.

العنصر الأول: أسباب هذه الغزوة وموقف المنافقين:

ومن أسبابِ هذه الغَزوةِ: أن اليهودَ في خيبرَ نَقَضوا الـمعاهدةَ التي بينَهم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، وعقَدوا حِلفاً معَ قُريشٍ ضدَّ الرَّسولِ ﷺ، يَهدِفُ إلى تطويقهِ من الشَّمالِ إلى الجنوبِ(١).

واليهودُ في خيبرَ همُ الذين حزَّبوا الأحزابَ ضدَّ الـمسلِمينَ في غزوةِ الأحزابِ، وأثاروا بني قُرَيظةَ على الغَدرِ والخِيانةِ، ويهودُ خيبرَ هم الذين وَضَعوا خِطَّةً لاغتيالِ النَّبيِّ ﷺ.

فكانَ لابدَّ من التَّـخلُّصِ من يهودِ خيبرَ، الذين هم سَببٌ لكلِّ شرٍّ وبلاءٍ في أرضِ الجزيرة.

وموقفُ الـمنافِقينَ واحدٌ لا يَتغيَّرُ إلَّا في أسلوبِهِ وشَكلِه فقط، وعندَما خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ إلى خيبرَ، أرسلَ رأسُ الـمنافقِينَ عبدُ اللهِ بن أبيٍّ بنِ سلولٍ إلى يهودِ خَيبرَ: «أن محمداً قَصَدَكُم وتوجَّه إليكم فخُذوا حِذرَكُم، ولا تَـخافوا منه، فإن عَددَكُم وعُدَّتَكم كثيرةٌ، وقومُ محمَّدٍ شِرذِمةٌ قليلون، عُزَّلٌ لا سلاحَ معَهم إلَّا قليلٌ».

فلـما عَلِمَ ذلكَ يهودُ خيبرَ، أرسلوا إلى غَطَفانَ يَستـمِدُّونَهم -لأنهم كانوا حلفاءَ يهودِ خيبرَ، ومظاهِرينَ لهم على الـمسلمِينَ- وشَرَطوا لهم نصفَ ثمارِ خيبرَ إنْ هُم غلَبوا الـمسلمِينَ(٢).

وصدقَ اللهُ العظيمُ حيثُ قالَ في وصفِ الـمنافقِينَ: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ

(١) «مختصر السيرة لابن هشام».
(٢) «الرحيق الـمختوم» (٣٢٩).

﴿ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ [التوبة].

العنصر الثاني: الجيش الإسلامي في طريقه إلى خيبر.

رَجَعَ النَّبيُّ ﷺ من الحُدَيبيةِ في ذي الحجَّةِ من السَّنةِ السّادسةِ للهجرةِ، وبعدَ شهرٍ واحدٍ خَرَجَ بجيشِ المسلمينَ إلى خَيبرَ، وهو على يقينٍ من النَّصرِ والفَتحِ، لِما وعَدَهُ اللهُ تعالى أثناءَ عَودتِهِ من صُلحِ الحُدَيبيةِ.

قالَ تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾ [الفتح].

وبينَما يسيرُ الجيشُ المسلمُ إلى خيبرَ ذاتَ ليلةٍ إذ قالَ رجلٌ من الصَّحابةِ لعامرِ بنِ الأكوعِ: ألا تُسمِعُنا من هُنَيهاتِك- وكانَ عامرُ بن الأكوعِ رجلاً شاعراً- فنزَلَ يحدو بهم وهو يقولُ:

اللَّهُمَّ لَولَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اتقينا ... وَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أتينا

وبالصياح عوّلوا علينا

فقال ﷺ: «**مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟**» قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ.

فقال ﷺ: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللهِ**-أي: أنه يُرزَقُ الشهادةَ بدُعائِك له وَوَجَبَت له الجَنَّةُ- **لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ**»[1].

وكانَ الصَّحابةُ ﷺ يعرفونَ أن رسولَ الله ﷺ إذا استغفرَ لرجلٍ منهم يخصُّه؛ استُشهِدَ، فعَلِموا أن عامرَ بنَ الأكوعِ سيُستشهَدُ في غزوةِ خيبرَ.

وكانَ الصَّحابةُ ﷺ إذا صَعَدوا كبَّروا، وإذا نَزلوا سبَّحوا[2].

فأشرَفوا على وادٍ فرَفَعوا صوتَهم بالتَّكبيرِ: اللهُ أكبر. اللهُ أكبر. لا إله إلَّا اللهُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»[3].

ولما أشرَفَ الجيشُ المسلمُ على خيبرَ قالَ لهم ﷺ: «**قِفُوا**»، ثم تَضرَّعَ ﷺ إلى ربِّه بهذا الدُّعاءِ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُك خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا**»[4].



لتَعلَموا يا أُمَّةَ الإسلامِ أن جيشَ الإسلامِ ذاكرٌ لله دائماً في سفَرِه وحَضَرِه.

وَصَلَ جيشُ الإسلامِ إلى أسوارِ خيبرَ، وباتَ ﷺ والمسلمونَ خارجَ خيبرَ، واليهودُ لا يَشعُرونَ، فلما أصبحَ النَّبيُّ ﷺ والمسلمونَ صلَّوا الفَجرَ في أوَّلِ وقتِه، ثم دَخَلوا خيبرَ واليَهودُ خارجونَ إلى مزارِعِهم بآلات الزِّراعة.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٩٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٠٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٤) **صحيح**: رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٠٣-٢٠٤) من حديث أبي معتب بن عمرو الاسلمي، ورواه النسائي في الكبرى (٨٨٢٧)، والحاكم (١/ ٦١٤) من حديث صهيب الرومي، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٨)].



فلما رأوا الرَّسولَ ﷺ والجيشَ قالوا: محمَّدٌ والله، محمَّدٌ والخميسُ: -أي الجيشُ- ثم فَرُّوا هاربينَ، ودخَلوا حصونَهم كما وصفَهُم اللهُ في كتابِه، فقالَ تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر].

فلما رأى الرَّسولُ ﷺ ما بهم من الرُّعبِ قال: «**اللهُ أَكْبَرُ! خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْـمُنْذَرِينَ**»(١).

الرُّعبُ يدُبُّ في قُلوبِ الكفّار إذا كُنّا على دينِنا، أمَّا إذا تَركنا دينَنا فقد أخبرَ النَّبيُّ ﷺ «**وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْـمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**».

فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟

قالَ ﷺ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْـمَوْتِ**»(٢).

وتحصَّنَت يهودُ خيبرَ في ثمانيةِ حُصونٍ أشدُّها تحصُّناً هو (حِصنُ ناعمَ) وكان هذا الحِصنُ هو خطُّ الدِّفاعِ الأولُ لليهودِ لمكانِه (الاستراتيجيِّ).

وكانَ هذا الحِصنُ هو حِصنُ مَرحبَ اليَّهوديِّ: ملكُ اليهود -الذي كانَ يُعَدُّ بالألفِ- أي كانَ عندَهم بألفِ رجلٍ-

العنصر الثالث: أحداث الغزوة.

في ليلةِ الهجوم على خيبرَ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه مُبَشِّراً لهم بالفَتح: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٩٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨)]

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ -أي: يتهامسون- أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَـمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ ﷺ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**».

فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ -أي: به رمد-

قَالَ ﷺ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**» فَأُتِيَ بِهِ.

فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فقال علي رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟

فَقَالَ ﷺ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[1].

يُوجِّهُ النَّبيُّ ﷺ الصَّحابَةَ إلى أن يَحرِصوا على دَعوةِ النّاسِ إلى الإسلامِ، ولا يتطلَّعوا إلى الغنائم التي بعدَ الفتـح.

أَخذَ عليٌّ رضي الله عنه الرّايةَ، وتَـحرَّكَ بجيشِ الـمسلمِينَ إلى أولِ حصنٍ من حُصونِ اليَهودِ، ألا وهو حِصنُ ناعمَ وهو من أشدِّ حُصونِ اليَهودِ تـحصُّناً، ويُوجَدُ فيه مَرحَبُ ملكُ اليهودِ الذي يُعَدُّ بالألفِ.



فدَعاهم عليٌّ رضي الله عنه للإسلامِ فرَفضُوا هذه الدَّعوةَ.

وخَرَجَ ملكُهم مَرحب إلى ميدانِ القتالِ ودَعا إلى الـمبارزةِ وهو يقولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّـى مَرْحَبُ   شَـاكِـى الـسِّـلَاحِ[2] بَـطَـلٌ مُجَـرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أي تام السلاح.

فبَرَزَ إليه عليٌّ رضي الله عنه وهو يقولُ:

أَنَـا الَّـذِى سَمَّتْنِى أُمِّـى حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَـابَـاتٍ كَـرِيـهِ الْـمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

-أي: أقتل الأعداء قتلاً واسعاً- فتقدم علي رضي الله عنه إلى مرحبَ فَعلاه بالسَّيفِ فقَطَعَ رقبتَه، ثم تقدَّمَ نحوَ حُصونِ اليَهودِ ففتـحَها حِصناً حِصناً، وكانَ الفتـحُ على يدِ عليٍّ رضي الله عنه.

ولـما اطمأنَّ رسولُ اللهِ ﷺ بخيبرَ بعدَ فتـحِها، أُهدِيَت إليه شاةٌ فيها سمٌّ من امرأةٍ يَهوديَّةٍ، لتَعلموا أن اليهودَ أهلُ غدرٍ وخيانةٍ ومكرٍ، تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى أبي هريرةَ رضي الله عنه وهو يُخبِرُنا الـخبرَ:

يقولُ أبو هريرة رضي الله عنه «لَـمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ».

فَقَالَ ﷺ: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ**».

فَجُمِعُوا لَهُ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ!

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**».

قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**»

فَقَالُوا صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ.

فَقَالَ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا.

قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**»




فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اخْسَئُوا فِيهَا! وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**».

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»

قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَالَ ﷺ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**»

فَقَالُوا: نَعَمْ.

فَقَالَ ﷺ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**»

فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»[١].

ثم جيء بالمرأة التي وضعت السم في الشاة فسألها رسول الله ﷺ: عَنْ ذَلِك؟

قالتِ اليهوديَّةُ: أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ؟

فقال ﷺ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ**».

قالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم: يا رسول الله؟ أَلاَ نَقْتُلُهَا؟ قَالَ ﷺ: «**لاَ**»[٢].

اللهُ أكبرُ، إنها واللهِ أخلاقُ النُّبوَّةِ، العفوُ عندَ المقدرةِ.

ثم عادَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ، وقد فَتَحَ اللهُ له فتحاً مبيناً، ونَصرَه نصراً عزيزاً، وحَقَّقَ للمسلمينَ ما وعدَهُم به: ﴿**وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ**﴾[الفتح].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) واللفظ لمسلم.

وقسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الـمغانمَ الكثيرةَ التي غَنِمَها من يهودِ خيبرَ كما أمرَه اللهُ تعالى، وأثناءَ القِسمةِ أدركَه مُهاجِرةُ الحبشة، جعفرُ بنُ أبي طالبٍ وأصحابهُ، فضَرَبَ لهم بسَهم، ولم يُسهِم لمن غابَ عن خيبرَ إلَّا لُمهاجِرةِ الحبشةِ، وكانَ في السَّبي صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ بنِ أخطبَ، فاصطفاها رسولُ اللهِ ﷺ لنفسهِ، ثم دَعاها إلى الإسلام فأسلَمَت فأعتقَها رسولُ اللهِ ﷺ وجَعَلَ عِتقَها صداقَها، وبنَى بها، وأَولَمَ عليها بالتَّـمرِ والسَّمنِ، ولم يكُن في وليمَتِها لحمٌ قطُّ.

ولـما دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ على صفيَّةَ وجدَ في وجهِها خُضرةً فقالَ لـها ﷺ: **«ما هذا»؟**

قالت: رأيتُ كأنَّ القمرَ زالَ من مكانهِ فَوقَعَ في حِجري، فذكرتُ ذلكَ لزَوجي ابنِ أبي الحقيقِ اليَهوديِّ، فلطَمَني على وَجهي؛ وقال: تَمنِّينَ هذا الَملِكَ الذي بالمدينةِ -يَقصِدُ رسولَ اللهِ ﷺ- وأنا واللهِ يا رسولَ اللهِ لا أذكُرُ من أمرِكَ شيئاً[(١)].

ولكنَّ هذه الرُّؤيا التي رأَتها هي زواجُها من النَّبيِّ ﷺ.



وهكذا فَتَحَ رسولُ اللهِ ﷺ خيبرَ، واستراح الُمسلِمونَ من غدرِ وخيانةِ اليهودِ، وليَعلمَ الجميعُ أن الأرضَ للهِ يُورِثُها من يَشاءُ من عبادِه، والعاقبةُ للمُتَّقِينَ.

العنصر الرابع: معجزات النبي ﷺ في غزوة خيبر:

أولاً: إخبارُه ﷺ باستشهادِ عامرِ بنِ الأكوعِ وهم في طريقِهم إلى خيبرَ، وقد حَدَثَ ذلكَ.

ثانياً: إخبارُه ﷺ بأن من يَأخُذُ الرايةَ غداً سيَفتَـحُ اللهُ على يَديهِ، فَفَتَـحَ اللهُ خيبرَ على يدَيه.

ثالثاً: بَصَقَ ﷺ في عينِ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، ودَعا له فشُفِيَ من ألَمِ عينَيهِ كأنما

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة»(٤/ ٢٣٢)، وانظر«زاد الـمعاد» (٣/ ٣٢٧).



لم يكُن بها وجعٌ.

رابعاً: إخبارُه ﷺ بأن الشاةَ التي قُدِّمَت له مسمومةٌ، عندَما قالَ ﷺ لأصحابهِ «أمسِكوا؛ فإنها مَسمومةٌ».

خامساً: إخبارُه ﷺ بأن رجلاً ممَّن معَه من الذين خرَجوا إلى خيبرَ من أهلِ النّارِ.

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: شَهِدْنَا خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

فَلَـمَّا حضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحَةُ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحَةِ فَأَهْوَى بيَدِه إِلَى كِنَانَتِه فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهُمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! صَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ ﷺ: «**قُمْ يَا فُلَانُ فَأَذِّنْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ**».

ثم قالَ الرَّسولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**»(١).

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعزَّ الـمسلمِينَ.



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٠٤)، ومسلم (١١١) واللفظ للبخاري.

٤٤

كُتُبُ رسول الله ﷺ
إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن كُتُبِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الـملوكِ والرُّؤَساءِ يَدعوهُم فيها إلى الإسلامِ.

عندَما قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدَّثر]، وقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب].



قامَ رسولُ اللهِ ﷺ بدعوةِ النّاسِ إلى هذا الدِّينِ العظيمِ، باللَّيلِ والنَّهارِ، سِرّاً وعلانيةً، في السِّلمِ والحَربِ.

ففي صُلحِ الحُدَيبيةِ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ عندَما وصَلَه الـخبرُ أن قُريشاً اجتـمعَت لمنعِه من دخولِ مكّةَ: «**إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا** -أي قريشٌ- **مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً** -أي: جعلتُ بيني وبينَهم مدَّةً يُتركُ الحربُ بينَنا وبينَهم فيها- **وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ**» -أي: يتركوني أدعو النّاسَ إلى الإسلامِ، وهذا هو الشّاهدُ على أن رسولَ اللهِ ﷺ كانَ حريصاً على دعوةِ النّاسِ إلى الإسلامِ في السِّلمِ.

وفي غزوةِ خيبرَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه عندَما أعطاهُ الرّايةَ وأرسَلَه إلى خيبرَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**» وهذا هو



الشّاهدُ على أن رسولَ اللهِ ﷺ كانَ حَريصاً على دعوةِ النّاسِ إلى الإسلامِ حتى في أيامِ الحرب.

وبصُلحِ الحُدَيبيةِ أَمِنَ رسولُ اللهِ ﷺ شرَّ أقوى أعدائه؛ شرَّ قريشٍ، وبفَتحِ خيبرَ قَضى رسولُ اللهِ ﷺ على شرِّ اليهودِ في الجزيرةِ العربيَّةِ -من الشَّمالِ-، وبذلك استقرَّتِ الأوضاعُ في المدينةِ، وأَمِنَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ على المدينةِ عاصمةِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ.

عندَ ذلكَ كتبَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى ملوكِ ورؤساءِ الدُّولِ الكُبرى؛ كفارسَ والرُّومِ يدعوهُم إلى الإسلام.

عن أنسٍ رضي الله عنه «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

وكِسرى هو لقبٌ لكلِّ مَنْ مَلَكَ الفُرسَ، وقَيصَرُ هو لقبٌ لكلِّ مَنْ مَلكَ الرُّومَ، والنَّجاشيُّ هو لقبٌ لكلِّ مَنْ مَلَكَ الحبشةَ.

وعندَما عَزَمَ الرَّسولُ ﷺ على إرسالِ الكُتُبِ إلى المُلوكِ والرُّؤساءِ قيلَ له: «**إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»(٢).

«**كَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولُ سَطْرٌ وَاللهِ سَطْرٌ**»(٣).

«**كَانَ خَاتِمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى**»(٤).

وأولُ من كَتَبَ إليه من الملوكِ هو هِرَقلُ عظيمُ الرُّوم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥)، ومسلم (٢٠٩٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٠٦).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩٥).

وهذا هو نصُّ الكتاب: «**بِسْم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ -أي بدعوة الإسلام وهي كلمة التوحيد- أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ -الفلاحين- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾**[آل عمران][1].

وخَتَـمَ رسولُ اللهِ ﷺ هذا الكتابَ، وبَعَثَ به دَحيةَ الكلبيَّ، فدَفَعَه دحيةُ إلى عظيمِ بُصرى، فسلَّمَه هرقلَ.

ماذا فَعَلَ هرقلُ عندَما وصلَه الكتابُ؟ وماذا كانَ ردُّه؟

تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما وهو يُخبِرُنا الـخبرَ من فِي أبي سفيانَ ابنِ حربٍ.



يقولُ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حدَّثني أبو سفيانَ بنُ حربٍ من فيه إلى فِيَّ؛ قال -أي أبو سفيان- انْطَلَقْتُ فِي الْـمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ -يعني صلح الحديبية- فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ -يعني عظيم الروم- وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: -أي: أبوسفيان- فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ: -أي هرقل- أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).



فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ

فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ..

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ -أي: لولا خفت أن رفقتي ينقلون عني الكذب إلى قومي، ويتحدثون به في بلادي، لكذبت عليه، لبغضي إياه-

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قال أبو سفيان: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ.

قال هرقل: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟



قال أبو سفيان: لا.

قال هرقل: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قال أبو سفيان: لا

قال هرقل: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قال أبو سفيان: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قال هرقل: يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قال أبو سفيان: لَا بَلْ يَزِيدُونَ.

قال هرقل: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟

قال أبو سفيان: لَا.



قال هرقل: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قال أبو سفيان: نَعَمْ.

قال هرقل: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قال أبو سفيان: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ.

قال هرقل: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قال أبو سفيان: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْـمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا، -يقصد بها صلح الحديبية- قال أبو سفيان: وَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ.

قال هرقل: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟

قال أبو سفيان: لَا.



ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى



ثُمَّ تَكُونُ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ؟ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟

قال أبو سفيان: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ.

قال هرقل: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤**﴾[آل عمران].

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا فقال أبو سفيان: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ -أي عظم أمر رسول الله ﷺ. إنه ليَخافُه ملكُ بني الأصفرِ- يعني الرُّوم.



قال أبو سفيان: فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ»[1].

وكَتبَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى كِسرى ملكِ الفُرسِ يَدعوه إلى الإسلامِ، وهذا هو

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ للبخاري.



نصُّ الكتاب:

«**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم، مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، إلى كِسْرَى عَظِيم فَارِس، سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الـهُدَى وآمَنَ باللهِ وَرَسُولِهِ، وشَهدَ أنْ لاَ إله إلَّا الله وحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُهُ، أدْعُوكَ بدِعَايَة اللهِ، فإني أنا رَسُولُ اللهِ إلى النَّاس كَافَّةً لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً ويَحِقَّ القَوْلُ عَلى الكَافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إثْمُ الـمَجُوسِ**»[1]، فلـما قُرِىءَ عليه الكتابُ، مزَّقه، فبَلَغَ ذلكَ النبي ﷺ فقال: «**مزَّقَ اللهُ مُلْكَه**»[2].

فاستـجابَ اللهُ لدعاءِ رسولهِ ﷺ ومزَّقَ مُلكَ كِسرى، وذلكَ عندَما قامَ ابنُه بقتلِ اخوتهِ ثم قَتلِ والدهِ ليَرِثَ الـمُلكَ وحدَه، ثم بعدَ ذلكَ بقليلٍ ماتَ هذا الابنُ فتـمزَّقَ مُلكُ كِسرى جزاءً وفاقاً، ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحداً.

أما الفوائدُ والدروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من كُتُبِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الـملوكِ والرُّؤساءِ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: محمَّدٌ رسولُ اللهِ ﷺ بُعِثَ بالإسلامِ إلى النّاسِ كافَّةً، والدليلُ على ذلكَ في كتابِ اللهِ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) **حسن**: رواه الطبري(٢/ ٦٥٤-٦٥٥)، وأبو عبيد في «الأموال» (٢٥٣)، [«فقه السيرة» (ص٣٦٨)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري(٤٤٢٤).

والدَّليلُ على ذلكَ من السُّنَّة:

قولُه ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبيَاءِ بستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْب، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»(١).

الشّاهد: أُرسِلتُ للنّاسِ كافّةً.

ويُؤخَذُ أيضاً من رسائلِه ﷺ إلى الملوكِ والرُّؤساءِ والقادةِ، في داخلِ الجزيرةِ وخارجِها يَدعوهُم فيها إلى الإسلام، ويقولُ: «فإني أنا رسولُ اللهِ إلى النّاسِ كافَّةً، لأُنذرَ من كانَ حيّاً ويَحِقَّ القولُ على الكافرينَ».

ثانياً: الكَذِبُ خُلُقٌ قبيحٌ في الجاهليَّةِ، وقبيحٌ وحرامٌ في الإسلام. ويُؤخَذُ هذا من قولِ أبي سفيانَ عندَما سألَه هرقلُ فقال: «فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ».

فيا أمةَ الإسلام! الكَذِبُ قبيحٌ في الجاهليَّةِ وقبيحٌ عندَ الكفّارِ، أما يَستحي المسلمُ الذي يُصَلِّي ويصومُ أن يَكذِبَ على اللهِ، وعلى رسولِ اللهِ، وعلى النّاسِ.

وقد جاءَ الإسلامُ يأمرُ بالصِّدقِ ويُحَذِّرُ من الكَذب. قالَ تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ** ﴾[المائدة:٤١]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[العنكبوت:١٠] إلى قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ** (١١)﴾[الحج].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ..**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ لمسلم.

ثالثاً: المؤمنُ الصّادقُ إذا تمكَّنَ الإيمانُ من قلبه لا يرتدُّ عن دينه أبداً، وإن نُشر بالمناشير ومُشط بأمشاط الحديد، وهذا يُؤخَذُ من قول هرقل: «سَأَلْتُك أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ»، أما المنافقونَ والذينَ في قلوبهم مرضٌ، والذين دَخلوا في الإسلام طَمعاً في الدُّنيا الفانيةِ، فهمُ الذين يَرتدُّونَ عن دينهم، وفيهم قالَ تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة]، وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت]، وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

أما المؤمنونَ الصَّادقونَ؛ فقد قالَ اللهُ تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٨).

وقالَ ﷺ لخبابِ بن الأرتِّ رضي الله عنه: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

رابعاً: الإسلامُ دينُ اللهِ، فمن وَقَفَ في وجهِ دعوةِ الإسلام دمَّرَه اللهُ، وهذا يؤخذُ من رسالتهِ ﷺ إلى كسرى عظيمِ فارسَ عندَما مزَّقَها فدعا عليه النَّبيُّ ﷺ فمزَّقَ اللهُ ملكَه.

وهذا الذي فَعَلَه اللهُ في جميعِ الأممِ السّابقةِ عندَما وَقفَت في وجهِ دعوةِ الإسلامِ.

قومُ نوحٍ عندَما وقَفوا في وجهِ الإسلامِ الذي جاءَ به نوحٌ عليه السلام أبادَهم اللهُ.

عادٌ عندما وقفوا في وجهِ الإسلامِ الذي جاءَ به هودٌ عليه السلام أبادَهم اللهُ.

ثمودُ عندَما وقفوا في وجهِ الإسلامِ الذي جاءَ به صالحٌ عليه السلام أبادَهم اللهُ.

فرعونُ عندَما وقفَ في وجهِ الإسلامِ دمَّرَه اللهُ.

قريشُ عندَما وقفَت في وجهِ الإسلامِ ودعوةِ رسولِ اللهِ ﷺ دمَّرَهُمُ اللهُ.

فليَحذَرِ الذين يَكيدونَ للإسلام، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ في كتابهِ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق].

اللهمَّ دمّر كلَّ من وَقَفَ في وجهِ الإسلامِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

٤٥

غزوة مؤتة

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ مؤتةَ.

غزوةُ مؤتةَ وقَعَت في السَّنةِ الثّامنةِ للهجرةِ، وكانَت نصراً وفتحاً للمسلمِينَ، لأن الرَّسولَ ﷺ قالَ: «**فأَخذَ الرايةَ خالدٌ فَفَتَحَ اللهُ عليه**»(١).

غزوةُ مؤتةَ رَفَعت من شأنِ المسلمِينَ، وقَذَفَتِ الرُّعبَ في قلوبِ الكافرينَ.

وحديثُنا عن غزوةِ مؤتةَ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: سببُ هذه الغزوةِ.

العنصر الثاني: رسولُ اللهِ ﷺ والجيشُ الإسلاميُّ في المدينةِ قبلَ التَّحرُّكِ إلى الشّام.

العنصر الثالث: الجيشُ الإسلاميُّ في طريقهِ إلى أرضِ الشَّامِ.

العنصر الرابع: أحداثُ الغزوة.

العنصر الخامس: الفوائدُ والدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من غزوةِ مؤتةَ.

العنصر الأول: سبب هذه الغزوة.

سببُ هذه الغزوةِ أن رسولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ الحارثَ بنَ عُمَيرٍ الأزديَّ بكتابهِ إلى عظيمِ بُصرى، فَعَرَضَ له شُرَحبيلُ بن عمروٍ الغسانيُّ -أحدُ أمراءِ قَيصَرَ إلى أرضِ الشّامَ- فأوثَقَه رِباطاً، ثم قدَّمَه فضَرَبَ عُنُقَه. ولم يُقتَل لرسولِ اللهِ ﷺ رسولٌ غيرُه،

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢).



فاشتدَّ ذلكَ على رسولِ اللهِ ﷺ حينَ نُقلَت إليه الأخبارُ؛ لأن الرُّسُلَ لا يُقتَلونَ، فجَهَّزَ لغَزوِ الرُّومِ جيشاً قِوامُه ثلاثةُ آلافِ مقاتلٍ، وهو أكبرُ جيشٍ إسلاميٍّ لم يَجتمِع قبلَ ذلكَ إلَّا في غزوةِ الأحزاب[١].

العنصر الثاني: رسول الله ﷺ والجيش الإسلامي في المدينة قبل التحرك إلى الشام.

أَمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ على هذا الجيشِ الكبيرِ زيدَ بنَ حارثةَ رضي الله عنه وقالَ ﷺ للجيشِ: «**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»[٢].

ووَصّى رسولُ اللهِ ﷺ الأميرَ في خاصَّةِ نفسِه بتقوى اللهِ، وبمَن معَه من المسلمينَ خيراً، وكانَ ﷺ يَفعَلُ ذلكَ دائماً إذا أَرسَلَ جيشاً في سبيلِ اللهِ.

عن بُرَيدةَ رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: **اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا..**» الحديث[٣].

ووَدَّعَ المُسلمونَ الجيشَ، وسلَّموا على الأُمراءِ، فبكى عبدُاللهِ بنُ رواحة رضي الله عنه فقالوا له: ما يُبكيكَ يا ابنَ رواحةَ؟

فقال: واللهِ ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صبابةٌ بكم، ولكني سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرأُ آيةً من كتابِ الله يَذكُرُ فيها النّار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم] فلَستُ أدري كيفَ لي بالصَّدرِ بعدَ الوُرودِ؟

فقالَ المسلمونَ للجيشِ: صَحِبَكُمُ اللهُ بالسَّلامةِ، ودَفَعَ عنكُم، وردَّكُم إلينا

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٨١)، «الرحيق المختوم» (ص ٣٦٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

صالحينَ -أي: سالِمينَ-.

فقالَ عبدُالله بنُ رواحةَ يَردُّ على هذا الوداعِ:

ولكنني أســألُ الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ[١] تقذف الزَّبدا

أو طعنةً بيدي حَــرَّان مجهزة بحربةٍ تنفذ[٢] الأحشاء والكبدا

حتى يُقال إذا مرَّوا على جَدثي[٣] يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا[٤]

عبادَ الله! وودَّع النَّبيُّ ﷺ جيشَ الـمسلِمينَ.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذا أرادَ أن يَستودعَ الجيشَ: قالَ: «**أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ**»[٥].

العنصر الثالث: الجيش الإسلامي في طريقه إلى أرض الشام:




تَـحرَّكَ الجيشُ الإسلاميُّ بقيادةِ زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه قاصِدينَ أرضَ الشَّامِ، فلـما وَصَلوا إلى «مَعان» -وهي مدينةٌ معروفةٌ على الحدودِ الأردنية-، وَصَلَتهمُ الأخبارُ أن الرُّومَ قد تَـجهَّزوا لهم بمئتَي ألفِ مقاتلٍ لِقتالِهم؛ مئةُ ألفٍ من الرُّومِ، ومئةُ ألفٍ أُخرى من نَصارى العَربِ.

وجيشُ الـمسلِمينَ ثلاثةُ آلافِ مُقاتلٍ فقط، وكأن النِّسبةَ واحدٌ إلى سبعينَ.

وباتَ الجيشُ الإسلاميُّ بمَعانَ ليلتَينِ يَتشاورونَ في الأمرِ، أَيتقدَّمونَ للهُجوم على عدوِّهم على بَركةِ اللهِ، مُعتصِمينَ باللهِ، واثِقينَ به؟ أم يَبعثونَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من يُخبِرُه الـخبرَ فيَرى رأيَه، فإما أن يُمِدَّهم بمَدَدٍ من عندِه، وإما أن يَأمُرَهُم بأمرِه

(١) أي ذات سعة.

(٢) أي تـخترق.

(٣) أي قبري.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٤،٤٧٠)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١١٩).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٠١)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٠٥)].

فيُمضُوا له.

فقامَ عبدُاللهِ بن رواحةَ ﷺ خَطيباً في الجيش فقالَ: يا قوم! واللهِ إن الذي تَكرهونَ للَّتي خَرجتُم تَطلُبونَ؛ الشَّهادة، وإنا ما نُقَاتِلُ النّاسَ بعدَدٍ ولا قُوَّةٍ ولا كثرةٍ، ما نُقاتِلُهم إلَّا بهذا الدِّينِ الذي أكرَمَنا اللهُ به، فانطَلِقوا، فإنما هي إحدى الحُسنَيَين؛ إما ظَفَرٌ -أي نَصرٌ- وإما شَهادةٌ.

فقالَ النَّاسُ: صَدَقَ واللهِ ابنُ رواحةَ، ثم تَشجَّعوا وتـحرَّكوا نَحوَ العَدوِّ[١].

العنصر الرابع: أحداث الغزوة:

وَصَلَ جيشُ الإسلام إلى «مؤتةَ» وعَسكَروا هناكَ، وتَعبَّأوا للقتالِ في ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، ووَصَلَ جيشُ الرُّوم بقوَّتهِ في مئتَي ألفِ مقاتلٍ؛ يقولُ أبو هريرةَ ﷺ -وهو ممن أسلَموا بعدَ صُلحِ الحُدَيبيةِ، وكانَت مؤتةُ أولَ غزوةٍ يحضرُها-: «شَهِدْت مُؤْتَةَ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الْـمُشْرِكِينَ رَأَيْنَا مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ مِنْ الْعَدَدِ وَالسّلَاحِ وَالْكُرَاعِ وَالدّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالذّهَبِ فَبَرِقَ بَصَرِي.

فَقَالَ لِي ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ: يَا أَبَا هَرِيرَةَ مَا لَك؟ كَأَنّك تَرَى جُمُوعًا كَثِيرَةً.

قُلْت: نَعَمْ.

قَالَ: تَشْهَدُنَا بِبَدْرٍ؟ إنّا لَمْ نُنْصَرْ بِالْكَثْرَةِ»[٢].

وصَدَقَ ثابتٌ ﷺ لأن اللهَ قالَ في كتابه: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾[آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢)، «مختصر سيرة ابن هشام» (ص ٢١٥).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٦٢).




﴿٢٦﴾ [الأنفال].

وهناكَ في «مؤتَةَ» التقى الجَمعانِ، وبدأَ القتالُ الـمريرُ، ودخلَ ثلاثةُ آلافِ مقاتلٍ من الـمسلمينَ في مئتي ألفِ مُقاتلٍ من الـمشركينَ، معركةٌ عجيبةٌ تُشاهِدُها الدُّنيا بالدَّهشَةِ والحَيرةِ، ولكن إذا هَبَّت ريحُ الإيمانِ جاءَت بالعَجائبِ.

أخذَ الرّايةَ زيدُ بنُ حارثةَ ﵁ حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ وجَعَلَ يُقاتِلُ بضَراوَةٍ وبَسالةٍ لا يُوجَدُ لـها نظيرٌ إلَّا في أمثالِه من أبطالِ الإسلامِ، فلم يَزَل يُقاتِلُ حتى شاطَ في رِماحِ القَومِ -أي سالَ دمُه- فقُتِلَ ﵁.

ثم أخذَ الرّايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ ﵁ ابنُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ، فقاتلَ على فَرَسِه الشَّقراءِ حتى أرهقَه القتالُ، فنَزَلَ عن فرسِه فعَقَرَها -أي: ضَرَبَ قوائِمَها بالسَّيفِ وهي قائمةٌ- ورَفَعَ الرايةَ بيدِه، والسَّيفُ في يدِه الأُخرى وأَخَذَ يُقاتِلُ القَومَ وهو يقولُ:

يـا حَـبَّـذا الجنـةَ واقـترابُهـا ... طـيِّـبـةً وبـارداً شرابهـا

والـرُّومُ رومٌ قـد دَنـا عذابُها ... كـافـرةً بـعـيـدةً أنسـابهـا

عليَّ إن لاقَيتُها ضِرابُها



فما زالَ ﵁ يُقاتِلُ القومَ حتى قُطِعَت يمينُه، فأَخَذَ الرّاية بشمالِه فقُطِعَت شمالُه، فاحتَضَنَ الرايةَ بعَضُدَيهِ حتى قُتِلَ ﵁، فَعَوَّضَهُ اللهُ عن يدَيهِ جناحَينِ يطيرُ بهما في الجَنَّةِ حيثُ يَشاءُ.

«ولذلكَ كانَ ابنُ عمرَ ﵄ إذا سلَّمَ على عبدِاللهِ بن جعفرِ بن أبي طالبٍ يقولُ: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ**»[١].

ولذلكَ لُقِّبَ جعفرُ بن أبي طالبٍ بجعفرِ الطَّيارِ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٩).



يقولُ ابنُ عمرَ ﵄ «وقفت على جعفر يومئذ، وَهُوَ قَتِيلٌ، فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ -يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ-»(١).

وفي روايةٍ أُخرى يقول ﵁: «كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ»(٢).

ولـما قُتِلَ جعفرُ بنُ أبي طالب أخَذَ الرايةَ عبدُالله بن رواحةَ الأميرُ الثالثُ الـمُعَيَّنُ بأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ فرَفَعَها، فَوَجَدَ في نفسهِ تَردُّداً عن الاقتحامِ فأكرَهَها على النُّزولِ وقال:

أقسَمتُ يا نفسُ لتنزلنّه ... إن أجلبَ النّاسُ وشدُّوا الرنَّه
لتَنزِلنَّه أو لتُكرَهِنَّه ... مالي أراكِ تكرَهينَ الجنَّة

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلَّا تُقتَلي تَموتي! ... هذا حمامُ الموتِ قد صَلِيت!
وما تَمنَّيتِ فقد أُعطيتِ! ... إن تَفعلي فعلهما هُديتِ!

ثم نَزَلَ، فأتاه ابنُ عمٍّ له بِعَرْقٍ من لحم فقال: شُدَّ بهذا صُلبَكَ فقد لَقيتَ ما لَقيتَ، فنَهَسَ منه نهسةً، ثم سَمِعَ جَلَباً -أي صوتاً- فقال: وأنتَ في الدُّنيا -يعني القتالُ دائرٌ بينَ المسلمينَ والمشركِينَ وأنت يا ابنَ رواحةَ في الدُّنيا -ثم رَمى بقطعةِ اللَّحمِ، وأَخَذَ سيفَه، ودَخَلَ في صفوفِ الـمُشركِينَ فقاتلَ حتى قُتِلَ- ﵁

تقدَّمَ ثابتُ بنُ أرقم ﵁ فرَفَعَ الرّايةَ وقال: يا قَوم اصطَلِحوا على أميرٍ منكم، قالوا: أنتَ، قال: ما أنا بفاعلٍ، لَستُ لـها، فاصطَلَحَ النّاسُ على خالدِ بنِ الوليدِ ﵁ وكانَت هذه الغزوةُ أولَ غزوةٍ يَشهَدُها خالدٌ في صُفوفِ الـمسلِمينَ،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦١).

لأنه أسلمَ بعدَ صُلحِ الحُدَيبيةِ.

أَخَذَ خالدٌ ﵁ الرايةَ وقاتَلَ قتالاً مريراً.

يقولُ خالدٌ ﵁: «لَقَدْ دُقَّ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ وَصَبَرَتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ لِي يَمَانِيَةٌ»(١)، ولذلك سماهُ رسول الله ﷺ يومها سيف الله، قال ﷺ: «**حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»(٢).

ولما كانَ اللَّيلُ أعادَ خالدُ بنُ الوليدِ ﵁ تَنظيمَ الجيشِ وغيَّرَ فيه وبدَّلَ، فَجَعَلَ الميمنةَ ميسرةً، والميسرةَ ميمنةً، والمقدِّمةَ ساقةً، والسَّاقةَ مقدِّمةً، ووَضَعَ خِطَّةً للانسحابِ بالجيشِ في صباحِ اليَومِ التّالي في عِزَّةٍ وكرامةٍ، دونَ أن يُشعِرَ العَدوَّ أنه مُنسحِب، فلما طَلَعَ النَّهارُ وتراءَى الجمعانِ رأى العَدوُّ أن الجيشَ قد تَغيَّرَ وتبدَّلَ، فَقذَفَ اللهُ الخوفَ في قلوبِ الكفّارِ، فظَنُّوا أن خالداً قد أُمِدَّ بمددٍ من المدينةِ؛ لأنَّ صورةَ الجيشِ قد تغيَّرَت، وأَخَذَ خالدٌ يُقاتِلُ وهو يَرجِعُ إلى الوراءِ بالجيشِ قليلاً قليلاً قليلاً، فألقى اللهُ الرُعبَ أيضاً في قلوبِ الكفَّارِ، وظنُّوا أن خالداً يريدُ استِدراجَهم ليَبيدَهم، فانسحَبوا قبلَ المسلِمينَ، وقَتَلَ المسلمونَ من المُشركِينَ كثيراً، وأوقَعَ جيشُ الإسلامِ بالعَدوِّ خَسائِرَ كبيرةً، وولَّى العَدوُّ مهزوماً، واكتفى خالدٌ بهذه النَّتيجةِ، وآثرَ الانصرافَ بمن مَعَه.

وكانتِ النتيجةُ في غزوةِ مؤتةَ لصالحِ المسلمِينَ، وكانَت نصراً وفتحاً.

ومن أرضِ المعركةِ بمؤتةَ إلى المدينةِ حيثُ قامَ رسولُ اللهِ ﷺ يُخبِرُ المسلمِينَ في المدينةِ بنتائجِ المعركةِ.

عن أنسٍ ﵁: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٢).

أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ -أي قتل- ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ -أي قتل- ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ -أي قتل- وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ[1].

فلما جاءَه من يُخبِرُه قالَ النَّبيُّ ﷺ: تُخبِرُني أم أُخبِرُك؟

قال: أَخبِرني أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ فأخبَرَه بما كانَ، فقالَ الصَّحابيُّ: واللهِ يا رسولَ اللهِ ما نَقَصتَ مما دارَ حرفاً. قالَ تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم][2].

العنصر الخامس: الفوائد والدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من غزوة مؤتة:

أولاً: المسلمونَ يَنتصِرونَ على أعدائِهم في المعاركِ بالإسلامِ العظيمِ الذي أكرمَهمُ اللهُ به، وهذا يُؤخَذُ من قولِ عبدِ اللهِ بن رواحةَ رضي الله عنه عندَما قالَ لأصحابِهِ في غزوةِ مؤتةَ: واللهِ ما نُقاتِلُ القومَ -أي العدوَّ- بعُدَّةٍ ولا عَددٍ ولا كثرةٍ، واللهِ ما نُقاتِلُهم إلَّا بهذا الدِّين الذي أكرَمَنا اللهُ به، فامضُوا يا قوم على بركةِ اللهِ، فهي واللهِ إحدى الحُسنَيَين: إما الظَّفَرُ وإما الشَّهادة».

ويُؤخَذُ أيضاً من قَولِ ثابتٍ رضي الله عنه لأبي هريرةَ عندَما قالَ له: «يَا أَبَا هَرِيرَةَ مَا لَك؟ كَأَنَّك تَرَى جُمُوعًا كَثِيرَةً

قالَ أبو هريرةَ: نَعَمْ

قَالَ: تَشْهَدُنَا بِبَدْرٍ؟ إنَّا لَمْ نُنْصَرْ بِالْكَثْرَةِ»[3].

ففي بدرٍ نَصَرَ اللهُ المسلمينَ وهم قِلَّةٌ. قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٢).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٤).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٦٢).

وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران].

ويومَ حنينٍ أُعجبَ المسلمونَ بكَثرتِهم فلم تُغنِ عنهم شيئاً.

قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ [التوبة].

فالنَّصرُ من عندِ اللهِ تعالى؛ ولو كانَ المسلمونَ قلَّةً إذا رَجَعوا إلى دينِهم ونَصَروا اللهَ في أنفسِهم. قالَ تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ [محمد].

وقال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ




الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(١).

ثانياً: رحمةُ النَّبيِّ ﷺ بالمسلمينَ، ويُؤخذُ ذلكَ من حُزنِه وبكائِه عندَما نعى الأمراءَ الذين استُشهِدوا في غزوةِ مؤتةَ، وعيناه تَذرفان -أي تدمَعانِ-.

وقد تكرَّرَ ذلكَ منه ﷺ، يومَ أَرسلَت إليه إحدى بناته تقولُ له: إن ابني قد احتُضرَ فاشهَدنا، فردَّ معَ رسولِها يقول: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فأتاها في نفرٍ من أصحابه، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فذرفت عيناه ﷺ فقيل له: يَا رَسُولَ الله مَا هَذَا؟ فقال: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٢).

ولـما دَخلَ ﷺ على ابنهِ إبراهيمَ وهو يجودُ بنفسهِ بكى أيضاً وقالَ: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(٣)، كيف لا والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

وفي هذا دلالةٌ على جوازِ البُكاء والحزنِ على الـميِّتِ من غيرِ نياحةٍ، ولا رفعٍ للصَّوتِ لأن ذلكَ حرامٌ.

ثالثا: مُعجزاتُ النَّبيِّ ﷺ في غزوةِ مؤتةَ.

المعجزة الأولى: أنه حينَ عيَّنَ الأمراءَ أشارَ من طَرفٍ خفيٍّ إلى استشهادِهم،

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

حيثُ أمَّرَ زيدَ بنَ حارثةَ ثم قالَ: فإن أُصيبَ فجَعفرٌ، ثم قالَ: فإن أُصيبَ جعفرٌ فعبدُ اللهِ بنُ رواحةَ.

المعجزة الثانية: أن اللهَ أطلَعَه على كلِّ ما دارَ في أرضِ الـمعركةِ بمؤتةَ، وأراهُ ما كانَ فيها، فنَعى الشهداءَ إلى أهليهِم قبلَ أن يأتِيَه الـخبرُ من أرضِ الـمعركةِ.

اللهمَّ انصُرِ الإسلامَ وأعِزَّ الـمسلمِينَ.





٤٦

الفتح الأكبر (فتح مكة)

أيها الإخوة عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن الفتحِ الأكبرِ (فتحِ مكَّةَ).

فتحُ مكَّةَ: هو الفتحُ الأعظمُ الذي أعزّ اللهُ به دينَه ورسولَه وجندَه وحزبَه الأمينَ، فتحُ مكَّةَ هو الفتحُ الأكبرُ الذي استنقَذَ اللهُ به بلَدَه الحرامَ وبيتَه الذي جَعَلَه هدىً للعالَمينَ، من أيدي الكفّارِ والمشركِينَ.

فتحُ مكَّةَ: هو الفتحُ الذي دَخلَ النّاسُ به في دينِ اللهِ أفواجاً.

قالَ تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [سورة النصر].



فتحُ مكَّةَ: هو الفتحُ الذي تحطَّمَت فيه الأصنامُ، وزهَقَ فيه الباطلُ، وانكسَرَت رؤوسُ الكُفر، وعَلَت فيه كلمةُ التَّوحيدِ في مكَّة خَاصَّةً وفي كلِّ الدُّنيا عامَّةً، قالَ تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء].

وحديثُنا عن فتحِ مكَّةَ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: سببُ هذا الفتح.

العنصر الثاني: رسولُ اللهِ ﷺ يَستعِدُّ للخروجِ إلى مكَّةَ في سِرِّيَّةٍ تامَّةٍ.

العنصر الثالث: رسولُ اللهِ ﷺ والجيشُ الإسلاميُّ في طريقِهم إلى مكَّةَ وأحداثُ الطريق.



العنصر الرابع: أحداثُ الفَتـح.

العنصر الـخامس: الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من فتـحِ مكَّةَ.

العنصر الأول: سبب هذا الفتح

صَالَحَ النَّبيُّ ﷺ قُريشاً صلحَ الحُدَيبيةِ، وأعطاهُم فيه كلَّ ما سألوه مما يُعَظِّمُ حُرماتِ الله، وكانَ من بنودِ هذا الصُّلحِ:

أولاً: وَضعُ الحربِ بين الطَّرَفَينِ عشرَ سنينَ.

ثانياً: من أحبَّ أن يَدخُلَ في عقدِ محمَّدٍ ﷺ وعَهدِه دَخَلَ فيه، ومن أحبَّ أن يَدخلَ في عقدِ قُريشٍ وعهدِهم دَخَلَ فيه، وأن القَبيلةَ التي تَنضَمُّ إلى أيِّ الفريقَينِ تُعتَبرُ جُزءاً من ذلكَ الفَريقِ، فأيُّ عدوانٍ تَتعرَّضُ له أيٌّ من تلكَ القبائلِ يُعتبرُ عُدواناً على ذلكَ الفريقِ، وحَسَبَ هذا البندِ دَخَلَت خزاعةُ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ودَخَلَت بنو بكرٍ في عهدِ قُريشٍ.

وظلَّ رسولُ اللهِ ﷺ وفيّاً لقُريشٍ بعدَها، مُلتزماً بكلِّ شروطِ الصُّلحِ، حتى إذا كانَتِ السُّنةُ الثَّامنةُ للهِجرةِ عَدَتْ بنو بكرٍ حليفةُ قُريشٍ على خزاعةَ حليفةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقَتلَت منهم رجالاً، وعاونَتهم قُريشٌ على هذا الاعتداءِ فنَقَضَت بذلكَ عَهدَها معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وتَعرفُ قُريشٌ أن هذا نقضٌ صريحٌ لصُلحِ الحُدَيبيةِ، وعُدوانٌ سافرٌ على حُلفاءِ الـمسلمِينَ؛ ولذلكَ رأى النَّبيُّ ﷺ أن الوقتَ قد حانَ للقَضاءِ على قُريشٍ.

العنصر الثاني: رسول الله ﷺ يستعد للخروج إلى مكة في سِرِّية تامة.

أصدَرَ رسولُ اللهِ ﷺ أمرَه للجَيشِ الـمسلم بالتَّـجهيزِ والاستعدادِ للخُروجِ للغَزوِ، ولم يُعلِمهُم بوِجهَتِه، وحَرِصَ ﷺ على السِّرِّيَّةِ التّامَّةِ لِئَلَّا تَستعِدَّ قُريشٌ

للقتالِ، وقد استنفَرَ رسولُ اللهِ ﷺ القبائلَ التي حَولَ الـمدينةِ؛ أسلمُ وغفارُ وَمُزينةُ وجهينةُ وأشجعُ وسُليم، وخَرَجَ الـمهاجرونَ والأنصارُ فلم يَتـخَلَّف منهم أحدٌ.

وقد بَلَغَ عددُ الجيشِ الإسلاميِّ عشرةَ آلافِ مُقاتلٍ، وهذا العددُ الكبيرُ يدلُّ على تَعاظُمِ قوَّةِ الـمسلمِينَ ما بينَ صُلحِ الحُدَيبيةِ وفَتـحِ مكَّةَ.

ولـما أجمعَ رسولُ اللهِ ﷺ الـمسيرَ إلى مكَّةَ، كَتَبَ أحدُ الصَّحابةِ كتاباً إلى قُريشٍ يُخبرُهم بالذي أجمعَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ من الأمرِ في الـمَسيرِ إليهم لغَزوِهم، وحَمَلَتِ الكتابَ إمرأةٌ، إلَّا أن الوَحيَ من السَّماءِ كانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أسبقَ من الكتابِ إلى قُريشٍ، فبَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ من أصحابهِ من أتاه بهذا الكتابِ الذي بُعثَ إلى قُريشٍ.

تعالَوا بنا إلى عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لنَستـمِعَ إليه وهو يُخبِرُنا الـخبر:

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ، قَالَ ﷺ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ -مكانٌ بين مكةَ والمدينة وهو إلى الـمدينة أقربُ- فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً -امرأة في هودجٍ- مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**».

قالَ عليٌّ: فَانطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا (أي تـجري) حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ؟ فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا -ضفائرها- فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**»

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ




مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**».

فقالَ عمرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ.

فقالَ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فأنزلَ اللهُ تباركَ وتعالى في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ وكتابِهِ الذي بَعَثَ به إلى قُريشٍ سورةَ الـمُمتـحنةِ.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [الممتحنة][1].

وهكذا أخفى اللهُ -تباركَ وتعالى- عن قُريشٍ خبرَ خروجِ رسولِهِ ﷺ إليهم، وكذلكَ ما يَستطيعُ أحدٌ أبداً أن يتكلَّمَ في حقِّ حاطبٍ الصَّحابيِّ الجليلِ رضي الله عنه لأنه شَهِدَ بدراً وشَفَعَت له حسنتُه الكبيرةُ بشُهودهِ في بدرٍ ما فَعَلَ.



العنصر الثالث: رسول الله ﷺ والجيش الإسلامي في طريقهم إلى مكة وأحداث الطريق.

خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ بالجيشِ الإسلاميِّ من الـمدينةِ، في رمضانَ من السَّنةِ الثّامنةِ للهجرةِ في عشرةِ آلافِ مُقاتلٍ.

وخَرَجَ ﷺ صائماً، وصام الجيشُ معه، حتى إذا كانَ بالكَديدِ -مكانٌ بينَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، ولم يرد عند البخاري أن القصة سبب نزول آية الـممتـحنة.



مكَّةَ والمدينةِ- أفطَرَ ﷺ، وأظهَر فِطرَهُ أمامَ الجيشِ ليَرَوه ليَقتدُوا به فيُفطِروا، فلما رأَوه قد أفطَرَ أفطَروا، ومازالَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفطِرُ في رمضانَ عامَ الفتحِ، ويَقْصُر الصَّلاةَ حتّى رَجَعَ إلى المدينةِ.

الجيشُ الإسلاميُّ بقيادةِ رسولِ اللهِ ﷺ في طريقهِ إلى مكَّةَ.

وفي الطَّريقِ: يلتقي العبّاسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ، وذلك عندَما خَرَجَ العبّاسُ بعِيالهِ مُهاجِراً من مكَّةَ إلى المدينةِ، وهو لا يَدري أن رسولَ اللهِ ﷺ قادمٌ من المدينة، فلَقيَ رسولَ اللهِ ﷺ في الطَّريقِ فلَزِمَه، وكانَ العبّاسُ مُسلِماً ولكنَّه كانَ مُقيماً في مكَّةَ.

وفي الطَّريقِ: نَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ في مكانٍ بالقُربِ من مكَّةَ يُسمّى «مرَّ الظهران» باللَّيلِ. فنَزَلَ الجيشُ، ونُصِبَتِ الخِيامُ، وأُوقِدَت النِّيرانُ في مُعَسكَرٍ يَضُمُّ عشرةَ آلافِ مُقاتلٍ، حتى أضاءَ منها الوادي، وفي هذه اللَّيلةِ خَرَجَ أبو سفيانَ عظيمُ قُريشٍ وحكيمُ بنُ حزام وبُدَيلُ بنُ ورقاءَ يلتَمِسونَ الأخبارَ، فلما رَأوا تلكَ النَّارَ قالَ أبو سفيانَ: كأنها نيرانُ عَرَفة، فقالَ حكيمُ بنُ حزامٍ: كأنهم بنو عمرٍو، فقالَ أبو سفيان: بنو عمرٍو أقلُّ من هذا.

وبينَما هم يَتحدَّثونَ إذ مرَّ عليهم عيونُ رسولِ اللهِ ﷺ فأخذَتهُم إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فوَقَعَ ثلاثةٌ من كُبَراءِ مكَّةَ أسرى للجيشِ الإسلاميِّ.

هذا أبو سفيانَ الذي قالَ في غزوةِ أُحد: اُعلُ هُبَل! أبو سفيانَ الذي قالَ في غزوةِ أحدٍ: لنا العُزّى ولا عزى لكم، فها هو بينَ يدَي رسولِ اللهِ ﷺ أسيراً.

فما تَظنُّونَ أن يَفعَلَ به رسولُ اللهِ ﷺ؟ دعاهُ ﷺ طوالَ اللَّيلِ إلى الإسلامِ فأسلَمَ أبو سفيانَ.




تعالَوا بنا لنَستـمِعَ إلى ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما وهو يُخبِرُنا الـخبرَ:

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لَـمَّا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قُرَيْشٍ.

فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ لَعَلِّي أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ الله ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ.

قالَ العبّاسُ: فَإِنِّي لأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ! فَعَرَفَ صَوْتِي فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

قالَ أبو سفيانَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قال العباس: هَذَا رَسُولُ الله وَالنَّاسُ.

قالَ أبو سفيانَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟

قالَ العبّاسُ لأبي سفيانَ: اركبْ! فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، فَلَـمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَسْلَمَ.

فقالَ العبّاسُ للنَّبيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْـمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»**(١).

فأرادَ أبو سفيانَ أن ينصرِفَ فيأتيَ أهل مكَّةَ فيخبرَهم؛ فقالَ النَّبيُّ ﷺ للعبّاسِ: **«يَا عَبَّاسُ! احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ الله فَيَرَاهَا»**.

قالَ العبّاسُ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ، قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ،

(١) حسن: رواه أبو داود (٣٠٢٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٤١)].

فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُرُّ القَبِيلَةُ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟ حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ، لا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إلا قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: بنو فُلانٍ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِبَنِي فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْخَضْرَاءِ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْـمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لا يُرَى مِنْهُمْ إلا الْحَدَقَ.

قَالَ: سُبْحَانَ الله! مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الْـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ.

ثم قال أبو سفيان: وَاللهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ! لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيماً.

فأرادَ العبّاسُ أن يُصَحِّحَ هذه الـمفاهيمَ لأبي سفيانَ فقالَ له: يَا أَبَا سُفْيَانَ! إِنَّهَا النُّبُوَّةُ؛ ليَعلَمَ الجميعُ أن محمَّداً ﷺ ما جاءَ يوماً يَبحَثُ عن الـمُلكِ ولا عن الدُّنيا إنما جاءَ بالنُّبوَّةِ؛ ليَدعوَ النّاسَ إلى هذا الدِّينِ العظيمِ.

قالَ العبّاسُ له: النَّجاءُ إِلَى قَوْمِكَ.

فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا جاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جاءَكُمْ بِمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ.

فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسَمَ الأَحْمَشَ، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ!

وَيْحَكُمْ! لا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ جاءَ مَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ.

قالوا: وَيْلَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ؟

قال لهم أبو سفيان: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْـمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ، وَإِلَى الْـمَسْجِدِ»[١].

العنصر الرابع: أحداث الفتح

قَسَمَ النَّبيُّ ﷺ جيشَ الـمسلمِينَ إلى ميمنةٍ وميسرةٍ وقلبٍ، وعيَّنَ ﷺ قادةَ الجيشِ كلٌّ في مكانهِ.

ودَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ فاتـحاً مُنتَصراً، مُؤيَّداً من اللهِ -تباركَ وتعالى- وكانَ ﷺ خاشِعاً للهِ، شاكِراً لأنعُمِه، يقرأُ سورةَ الفتـح، ويرجِّع في قراءتها وهو على راحلته.

وكانَت قريشٌ قد وبَّشت أوباشاً -أي: جَمَعَت جموعاً مُتَفرِّقةً من قبائلَ مُتفرِّقةٍ لا أنسابَ بينَهم- وقالَت قريشٌ: نُقدِّمُ هؤلاءِ الأوباشِ -أي: نجعَلُهم في الـمقدِّمةِ- فإن أصابوا -أي انتَصروا- كُنّا معَهم، وإن أُصيبوا -أي قُتِلوا- أعطَينا الذي سُئِلنا -أي: صالَـحنا الـمسلمِينَ-.

تعالَوا بنا لنَستـمعَ إلى أبي هريرةَ رضي الله عنه وهو يُخبِرُنا الـخبرَ، يقولُ أبو هريرةَ: دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ فَنَظَرَ فرآني فقالَ: «يا أبا هريرة ادع لي الأنصار».

قال أبو هريرةَ: فدَعوتُهم فجاءوا يُهَروِلونَ.

فقالَ ﷺ: «**يا معشر الأنصار! هل ترون أوباش قريش... انظروا إذا لقيتـموهم غدا أن تـحصدوهم حصدا**».

قالَ أبو هريرةَ: فما أشرفَ يومئذٍ لهم أحدٌ إلَّا أناموه.

فجاءَ أبو سفيانَ فقالَ: يا رسولَ اللهِ أُبيدَت خضراءُ قريش، لا قُريشَ بعدَ اليوم.

(١) **صحيح**: رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٠٤٠)، و الطبراني في الـمعجم الكبير (٧٢٦٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٤١)].




فقالَ ﷺ: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»**.

فلما سَمِعَ الأنصارُ مقولةَ رسولِ اللهِ ﷺ قالوا فيما بينَهم:

أَمَّا الرَّجُلُ -يعنون رسول الله ﷺ- **فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِه وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِه** -أي: مكَّةَ- وأسرُّوها في أنفُسِهم، واللهُ سميعٌ عليمٌ فأوحى اللهُ بها إلى رسولهِ ﷺ.

فقالَ ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! قُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ؟»**.

قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: كَلاَّ إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ وَاللهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلاَّ الضِّنَّ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ»**.

وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ جيشَ المسلمينَ بتحطيمِ الأصنامِ، وتَطهيرِ البيتِ الحرامِ منها، وشاركَ ﷺ في ذلكَ بيدِه، فكانَ يَهوي بقوسِه إليها فتَتساقَطُ على الأرضِ تحتَ الأقدامِ وهو يَقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ]، وكانَتِ الأصنامُ ستِّينَ وثلاثَ مئةٍ.

ولَطَّخَ النَّبيُّ ﷺ صُوَرَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وهم يَستَقسِمون بالأزلامِ -وكانَت هذه الصُّوَرُ داخلَ الكَعبةِ- وقالَ ﷺ: **«قَاتَلَهُمْ اللهُ، وَاللهِ إِنْ اسْتَقْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ»**.

ولم يَدخُلِ الرَّسولُ ﷺ الكعبةَ إلَّا بعدَ أن مُحِيَت هذه الصُّورُ منها، ثم دَخَلَ

ﷺ الكعبةَ فصلّى فيها ركعتَين، ثمَّ استَلَمَ الرَّسولُ ﷺ الحَجر الأسودَ، وطافَ بالبَيتِ سَبعاً مهلِّلاً مكبِّراً ذاكِراً شاكراً، فلما فَرَغَ ﷺ من الطَّوافِ بالبَيتِ سبعاً، رَقى الصَّفا فاستقبلَ الكعبةَ وهلَّلَ وحَمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، ومَجَّدَهُ بما هو أهلُه، ودَعا بما شاءَ اللهُ أن يَدعُوَ به، ولم يَطُف بينَ الصَّفا والمَروةِ لأنه لم يكُن مُحرماً بعُمرةٍ(١).

وأمر رسولُ اللهِ ﷺ بلالاً أن يَصعَدَ فوقَ ظَهرِ الكعبةِ، فُيؤَذِّنَ للصَّلاةِ، فصَعِدَ بلالٌ وأذَّنَ للصَّلاةِ، وأنصَتَ أهلُ مكَّةَ للنِّداءِ الجَديدِ على آذانهم كأنَّهم في حُلُم، إن هذه الكلماتِ تَقصفُ في الجوِّ فَتقذِفُ بالرعب في أفئدةِ الشَّياطين، فلا يَملِكونَ أمامَ دويِّها إلَّا أن يُوَلُّوا هاربِينَ، أو يَعودوا مؤمنِينَ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.

ذلكَ الصَّوتُ الذي كانَ يَهمِسُ يوماً تحت أسواطِ العذابِ وهو يَقولُ: أَحدٌ أَحدٌ، ها هو اليومَ يُجَلجِلُ فوقَ كعبةِ اللهِ قائلا: أشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ، وأشهدُ أن محمداً رسولُ اللهِ، والكلُّ خاشِعٌ مُنصِتٌ خاضِعٌ.

ها هيَ الآنَ كلمةُ التَّوحيد هِي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى، فها هي الأصنامُ تحتَ الأقدام، إنها لحظةٌ واللهِ يبكي فيها القَلبُ فَرَحاً على هذا النَّصرِ العَظيم.

ثم أَخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ يُبايعُ النّاسَ على الإسلام، فبايَعَهُم على السَّمع والطَّاعةِ للهِ ولرسولِه فيما استطاعوا؛ بايَعهُم رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً. وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ(٢).

وقالَ ﷺ للنِّساء: «**إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٨٠) دون قوله: (قَاتَلَهُمْ اللهُ وَاللهِ إِنْ اسْتَقْسَما بِالْأَزْلَامِ قَطّ) وهي عند البخاري (٣٣٥٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٧/ ١٤٩)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٢٩)]




فلما بايعَ النَّبيُّ ﷺ الرِّجالَ والنِّساءَ على الإسلام والسَّمع والطاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ واستقرَّ الأمنُ.. خَرَجَ ﷺ فدَخلَ بيتَ أمِّ هانئٍ بنتِ أَبي طالبٍ ابنة عمِّه، فاغتسَلَ ﷺ ثم صَلّى ثماني ركَعاتٍ شُكراً للهِ تعالى على هذا الفتح.

وأجارت أم هانئ حَمَوين لها، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**»(١).

فلمَّا مكَّنَ اللهُ رسولَه ﷺ من أهلِ مكَّةَ، واستقرَّ الفتحُ أمَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ جميعاً، وعفا عنهُم كلِّهم، ولم يأخُذهم بجَريرتِهم السّابقةِ، إلَّا أربعةَ رجالٍ وامرأتين كانوا قد آذَوه إيذاءً شديداً.

فقالَ ﷺ: «**اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**» فمِنهم من قُتلَ ومِنهم من أَسلَم.

فلما كانَ الغَدُ من يومِ الفتح قامَ النَّبيُّ ﷺ في الناس خَطيباً، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ومجَّدهُ بما هو أهلُه، ثمَّ قالَ: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ** -أي بفعل رسول الله ﷺ **فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»(٢).

وفي فتح مكَّةَ نزلَت سورةُ النَّصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٣٣٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).



العنصر الخامس: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من فتح مكة.

أولاً: كانَ فتحُ مكَّةَ بدايةَ فتحٍ عظيمٍ للمسلمينَ، فقد كانَ النّاسُ تَبَعاً لقُريشٍ في جاهليَّتِهم، كما أنهم تَبَعٌ لقُريشٍ في إسلامِهم، وكانتِ القَبائلُ تَنتظِرُ ما يَفعَلُ رسولُ اللهِ ﷺ معَ قومِهِ وعَشيرتِه، فإن نَصَرَهُ اللهُ عليهم دَخَلوا في دينهِ، وإن انتَصَرَت قُريشٌ عليه يكونونَ بذلكَ قد كَفَوهُم أمرَه.

فلما نَصَرَ اللهُ رسولَه والمسلمينَ، وفَتَحوا مكَّةَ عَرَفَ النّاسُ جميعاً أنه رسولُ اللهِ صِدقاً، فدَخَلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أفواجاً. قالَ تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾[النصر].

ثانياً: سورةُ النَّصرِ علامةٌ على أَجَلِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قالَت عائشةُ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

فقالَ ﷺ: «**أخبرني رَبِّى أَنِّى سَأَرَى عَلَامَةً فِى أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[النصر][1].

وهذه السُّورةُ تُسمّى سورةَ التَّوديعِ، حيثُ جاءَت مُخبِرةً بقُربِ أجلِ المُصطفى ﷺ، فعن ابنِ عبّاس: قالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِـمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[النصر].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤) واللفظ له.




فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ -وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.

فقالَ عمرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»(١).

ثالثاً: التَّحذيرُ من الشفاعةِ في حدٍّ من حُدودِ الله.

قالَ عُروَةُ بن الزبير: أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ.

قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟! قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ! فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ.

قالَت عائشةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ(٢).

رابعاً: الكبيرةُ دونَ الشِّركِ لا تُخرجُ صاحِبَها من الإيمانِ، وقد تُكفَّرُ بالحسنةِ الكبيرةِ، وهذا يُؤخَذُ من فعلِ حاطبِ بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندَما أرسلَ كتاباً

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٠٣).

إلى قُريشٍ يُخبِرُهُم فيه بخَبرِ رسولِ اللهِ ﷺ، وشَفَعَ له شهودُه بَدراً فقالَ ﷺ لعُمرَ بنِ الـخطابِ: يا عُمرُ أو ليسَ قد شَهِدَ بدراً؟ وما يُدريكَ لعلَّ اللهَ اطَّلَع على أهلِ بدرٍ فقالَ: «اعمَلوا ما شِئتُـم فقد غَفَرتُ لكم».

عقيدتُنا في أصحابِ الكبائرِ أنَّهم في مشيئةِ اللهِ إن شاءَ عذَّبَهم، وإن شاءَ غَفَرَ لهم، ولا نُكفِّرُهم، ولا نُخرِجُهم من الـمِلَّةِ كما تَفعَلُ الـخوارجُ.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِهم ردّاً جميلاً.




٤٧

غزوة حُنين

أيها الإخوة عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ محمَّدٍ ﷺ سيِّدِ الأنبياءِ وإمامِ المتَّقين، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غَزوةِ حُنَين.

غزوةُ حُنَينٍ وَقَعَت بعدَ فتحِ مكَّةَ في السَّنةِ الثَّامنةِ للهِجرةِ وتُعتَبرُ من أكبرِ المعاركِ التي خاضَها المسلمونَ في عَصرِ السِّيرةِ ومن أكثرِها خطورةً.

وحديثنا عن غزوة حنين سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: جيشُ المشركينَ بقيادةِ مالكِ بن عوفٍ سيِّدِ هوازنَ يَستَعِدُّ لمحاربةِ المسلِمينَ.




العنصر الثاني: جيشُ المسلِمينَ بقيادةِ رسولِ اللهِ ﷺ يَستَعِدُّ في مكَّةَ للقَضاءِ على بقايا الشِّركِ والوثنيَّةِ. أحداثُ الطريق.

العنصر الثالث: أحداثُ الغزوة.

العنصر الرابع: حكمةُ رسولِ اللهِ ﷺ في تقسيمِ الغَنائم.

العنصر الخامس: الدُّروسُ والعِظاتُ والعِبرُ التي تُؤخَذُ من غَزوةِ حُنَين.

العنصر الأول: جيش المشركين بقيادة مالك بن عوف سيد هوزان يستعد لمحاربة المسلِمينَ:

كانَ فتحُ مكَّةَ بمثابةِ الضَّربةِ القاضيةِ للشِّركِ والمشركِينَ في مكَّةَ ومن حولَها من قبائلِ العربِ، ولما فَتحَ اللهُ مكَّةَ على رسولِه والمؤمنِينَ، وأعلى كلِمَتَه، ونَصَرَ دينَه، ودَخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أفواجاً، وخَضَعَت قُريشٌ لرسولِ اللهِ ﷺ؛ خافَت

هوازنُ و ثقيفٌ -وهي من أَشرَسِ وأقوى القَبائلِ العَربيَّةِ- وقالوا: قد فَرَغَ محمَّدٌ لقتالِنا، فلنَغزُهُ قبلَ أن يغزُوَنا، وأجمَعوا أمرَهم على هذا، وولَّوا عليهم مالكَ بنَ عوفٍ سيِّدَ هوازنَ.

وكانَ مالكُ بنُ عوفٍ شُجاعاً مِقداماً، إلَّا أنه سقيمُ الرأي سيِّءُ الـمَشورةِ، فلما اجتـمعَت قبائلُ العَربِ إليه، وجَعَلوا أمرَهم بينَ يدَيه، أمرَ النَّاسَ أن يُخرِجوا نساءَهم وأبناءَهم وأموالَهم معَهم؛ ظنًّا منه أن هذه الأموالَ وتلكَ الأولادَ تَـحمِلُ الرِّجالَ على الثَّباتِ عندَ اللِّقاءِ دِفاعاً عنها.

ورَفَضَ هذا الرَّأيَ أعرابيٌّ كبيرٌ مُحنَّكٌ؛ هو دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة وقالَ له: إنَّكَ إن نُصرتَ لن يَنفعَك إلَّا رجلٌ بسَيفهِ ورُمحِه، وإن كانَتِ الأُخرى فُضِحتَ في نسائِكَ وأَموالِك، فسفَّه مالكٌ رأيَه وأصرَّ على خُطَّتِه.




ووَضَعَ مالكُ بنُ عوفٍ قائدُ الـمشركِينَ خِطَّتَه لخوضِ الـمعركةِ ضدَّ الـمسلمِينَ على النَّحوِ التالي:

أولاً: حَشَرَ نساءَ الـمقاتِلينَ وأطفالَهم وأموالَهم خلفَهم، وقَصَدَ من وراءِ هذا التَّصرُّفِ دَفعَ الـمُقاتِلينَ إلى الاستِبسالِ والثَّباتِ أمامَ أعدائِهم؛ لأنَّ الـمُقاتِلَ -من وجهةِ نَظَرِه- إذا شَعَرَ أن أعزَّ ما يَملِكُ وراءَه في الـمَعركةِ، صَعُبَ عليه أن يَلوذَ بالفِرارِ مُخَلِّفاً ما وراءَه في مَيدانِ الـمَعركةِ.

ثانياً: رتَّبَ قَومَه بشكلِ صفوفٍ؛ قدَّم الخيلَ ثم الْمُقاتِلةَ ثم النِّساءَ ثم الغَنَمَ ثم الإبلَ.

ثالثاً: رَفَعَ الرُّوحَ الـمَعنويَّةَ لدى جنودِه؛ بأن وَقَفَ فيهم خَطيباً يحثُّهُم على الثَّباتِ والاستِبسالِ، وأمَرَهم أن يُجرِّدوا سيوفَهم، وقالَ لهم: «إذا أنتُـم رأيتُـمُ القَومَ فاكِسِروا جُفونَ سُيوفِكُم، وشدُّوا شدَّةَ رجلٍ واحدٍ عليهم».

رابعاً: وَضَعَ الكمائِنَ لمباغَتةِ جيشِ الـمسلمِينَ والانقضاض عليهِم، وقد كادَت هذه الخِطَّةُ أن تَقضِيَ على قوّاتِ الـمسلمِينَ لولا لُطفُ اللهِ -سبحانَه وتعالى- وعنايتُه.

خامساً: أمرَ جيشَه بالمبادرةِ بالهجومِ على الـمسلمِينَ؛ لأن النَّصرَ في الغالبِ يكونُ للمُهاجِمِ، أما الـمدافعُ فغالباً ما يكونُ في مَركزِ الضَّعفِ.

ولهذا آتَت هذه الخِطّةُ ثمارَها بعضَ الوَقتِ -أي: في بدايةِ الـمعركةِ- ثم اختَلَّتْ موازينُ القُوى -بفَضلِ اللهِ تعالى- ثم بثَباتِ رسولِ اللهِ ﷺ حيثُ كَسَبَ الـمسلمونَ الجولةَ، وانتصَروا على أعدائِهم.

العنصر الثاني: جيش المسلمِينَ بقيادة رسول الله ﷺ يستعد في مكة للقضاء على بقايا الشرك والوثنية وأحداث الطريق.




ولـما وَصَلَتِ الأخبارُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، أن مالكَ بنَ عوف -قائدَ الـمُشركِينَ- خَرَجَ بجيشٍ قِوامُهُ عشرونَ ألفاً لقتالِ الـمسلمِينَ بعد فتحِ مكَّةَ، قامَ رسولُ اللهِ ﷺ بما يلي:

أولاً: أرسلَ أبا حَدردَ الأسلميَّ فقالَ له: اذهب فادخُل في القَومِ حتى تَعلَمَ لنا مِن علمِهم، فدَخَلَ فمَكَثَ فيهم يَوماً أو يومَينِ ثم أَقبلَ فأخبرَه الـخبرَ[1].

ثانياً: جَهَّزَ ﷺ جَيشاً إسلاميَّاً قِوامُه اثنَا عَشَرَ ألفاً، يقولُ أنسٌ رضي الله عنه-: «لَـمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ ومعه الطُّلَقَاءُ، -الذين أطلقهم النبي ﷺ بعدَ فتحِ مكَّة وخَلَّى سبيلَهم-»[2].

(١) «المستدرك» للحاكم (٤٣٦٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩).

ثالثاً: وزيادةً في الاحتياطِ وأخذاً بالأسبابِ، أرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى صفوانَ بنِ أميَّةَ -وهو لا يَزالُ على شركِه- يَستعيرُ منه أسلحةً ودروعاً، فقالَ له: «**إِذَا أَتَتْكَ رُسُلِي فَأَعْطِهِمْ ثَلاثِينَ دِرْعًا وَثَلاثِينَ بَعِيرًا**».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَعَارِيَةً مَضْمُونَةً أَوْ عَارِيَةً مُؤَدَّاةً؟ قَالَ: «**بَلْ مُؤَدَّاةً**»[1].

خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ من مكَّةَ، وفي الطَّريقِ عيونُ رسولِ اللهِ ﷺ تَتَقَدَّمُ الجيشَ لتأتيَ بأخبارِ العَدوِّ، وجاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنِّي انطلَقتُ بينَ أيديكُم حتى طلَعتُ جبلَ كذا وكذا، فإذا أنا بهوازنَ عن بكرةِ أبيهم بظعنِهم ونعَمِهم ونسائِهم، اجتَمَعُوا إلى حُنينٍ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: «**تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[2] وهذه بُشرى.

وفي الطَّريقِ وجيشُ المسلمِينَ يسيرُ بهذا العَددِ الكبيرِ؛ نَظَرَ المسلمونَ بعضُهم إلى بعضٍ والأرضُ قد امتلأَت بهم، فقالَ بعضُهم: لن نُغلَبَ اليومَ من قلَّةٍ، ولذلكَ عاتبَهُمُ اللهُ في كتابِه فقالَ تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].

وفي الطَّريقِ وَقَعت مُخالفةٌ من الطُّلَقاءِ -أي الذين دَخلوا في الإسلامِ حديثاً- تعالَوا بنا لنَستمِعَ إلى أحدِهم وهو يُخبرُنا الخبرَ.



يروي أبو واقدٍ اللَّيثيُّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ قَالَ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٦٦)، والنسائي في الكبرى (٥٧٧٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٣٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠١)، والنسائي (٨٨٧٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٨)].



أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾** [الأعراف] **إِنَّهَا لَسُنَنٌ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً**»(١).

معلومٌ أن هذا القولَ لم يَصدُر من السَّابقِينَ الأوَّلِين من المهاجِرينَ والأنصار، وإنما كانَ من مُسلِمةِ الفَتحِ، الذين أسلَموا قريباً، وصَدَقَ اللهُ إذ يقول: **﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾** [الحجرات].

فلا يَستوي إيمانُ مُسلِمةِ الفتحِ وإيمانُ من سَبقُوهُم من المهاجرينَ والأنصارِ، لأن مُسلِمَةَ الفتحِ لم يَنهَلوا بعدُ من المَوردِ العَذبِ، لم يَنهلوا بعدُ من الوحيِ، ولذلكَ لم يوبِّخْهم رسولُ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ هذا جهلٌ لا يُكفِّر، ولذا لم يُكفِّرهُمُ النَّبيُّ ﷺ بقولِهم.

العنصر الثالث: أحداث الغزوة

وَصَلَ الجيشُ الإسلاميُّ إلى وادي حُنَين، وكانَ مالكُ بنُ عوفٍ -قائدُ جيشِ الشِّرك والوَثنيَّةِ حينَئذ- قد سَبقَهم، فأدخلَ جيشَه باللَّيلِ في ذلكَ الوادي، وصَنَعَ كميناً للمسلمين في الطُّرقِ والمَداخلِ والشِّعاب والمضايق، وأصدر أمره للجيش بأن يَرشُقوا المسلِمينَ إذا طَلَعوا عليهم ثم يَشُدُّوا عليهم شَدَّةَ رجلٍ واحدٍ.

وبالسَّحَرِ عبّأَ رسولُ اللهِ ﷺ جيشَه، وعَقَدَ الألويةَ والرّاياتِ وفَرَّقَها على النَّاسِ، وفي عِمايةِ الصُّبحِ -أي ظلامه-، استَقبلَ المسلمونَ واديَ حُنَينٍ وشَرَعوا يَنحدرون فيه، وهم لا يَدرون بوُجودِ كُمَناءِ العَدوِّ في مضايقِ هذا الوادي.



فبينَما هم يَنحطُّونَ إذا هم تُمطَرُ عليهمُ النِّبالُ، وإذا كتائبُ العَدوِّ قد شدَّتْ عليهم شدَّة رجلٍ واحدٍ، فانشَمرَ المسلمونَ راجِعينَ -أي انفضُّوا وانهزَموا- لا

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، واللفظ له، [«صحيح الجامع» (٣٦٠١)].



يلوي أحدٌ على أحدٍ، وكانت هزيمةً منكرةً، وشمت الأعداءُ بهزيمةِ الـمسلمِينَ، فقالَ بعضُهم: لا تنتهي هزيمتُهم دونَ البَحرِ -يريدُ أنَّ الـمسلمِينَ هُزموا هزيمةً لا قائمةَ لهم بعدَها أبداً-، وقالَ آخرُ: ألا بَطَلَ السِّحرُ اليومَ، وقالَ ثالثٌ: اليومَ أُدرِكُ ثَأري من محمَّدٍ، اليومَ أقتلُ محمداً.

وانحازَ النَّبيُّ ﷺ ذاتَ اليمينِ وأَخذَ يُنادي: أينَ أيُّها النَّاسُ؟ هلُمُّوا إليَّ، أنا رسولُ اللهِ! أنا محمُّدُ بنُ عبدِ اللهِ! فلا يردُّ عليه أحدٌ، ورَكِبَتِ الإبلُ بعضُها بعضاً وهي مُولِيةٌ بأصحابِها.

ولم يَبقَ حولَ النَّبيِّ ﷺ إلَّا عددٌ قليلٌ من الـمهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ بيتهِ، ورسولُ اللهِ ﷺ تركُضُ بغلتُه قِبلَ الكُفّارِ ويقول:

أنـــا الـــنَّــبِـيُّ لا كَــذِب أنـــا ابـــنُ عـــبـدُ الـــمـطَّــلـبِ

يقولُ العبّاسُ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لاَ تُسْرِعَ، وأمر النبي ﷺ العباس -وكان جهير الصوت- أن ينادي: أين أَصْحَابُ السَّمُرَةِ فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ -قَالَ- فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِى الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

وتَـجالَدَ الفريقان مُجالدةً شديدةً، ونَظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى ساحةِ القتالِ، وقد احتدَمَ القتالُ فقالَ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**» وتَوجَّهَ النَّبيُّ ﷺ إلى ربِّه بالدُّعاءِ فقالَ ﷺ:

«**اللهم نزل نصرك**» ثم أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ حَصَياتٍ فرَمى بهنَّ وجوهَ الكفّارِ ثمَّ قالَ: «**انهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» وقال: «**شاهت الوجوه**» فما خَلَقَ اللهُ إنساناً





من الكفّارِ إلّا ملأ عينَيهِ تُراباً من تلك القَبضةِ -ووَلَّوا من أرضِ الـمعركةِ مُدبِرينَ، والمسلمونَ يَحصُدونَهم حَصداً-.

يقولُ العبّاسُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِه، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا [١]، وفي غزوةِ حُنَين نَزَلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة].

ولّى الـمشركونَ الأدبارَ، واعتصَموا بناحيةٍ يُقالُ لها: (أوطاسُ) فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ في أعقابِهم أبا عامرٍ الأشعريِّ فقاتَلَهُم حتى قُتِلَ، فأخذَ الرّايةَ منه ابنُ أخيه أبو موسى الأشعريُّ، فما زالَ يُقاتِلُ العَدوَّ حتى بدَّدَ شملَهم وهُزِموا شرَّ هزيمةٍ.



ومالكُ بنُ عوفٍ -قائدُ الـمُشركينَ يومَئذٍ- ومن معَه من رجالاتِ قومهِ قرَّروا أن يُمضُوا في الفرارِ حتى يَصِلوا إلى «الطائفِ»، فيتَحصَّنوا بحِصنِها تاركِينَ في هذا الفِرارِ مَغانِمَ هائلةً، فخَلَّفَ العَدوُّ في أرضِ الـمَعركةِ أربعةً وعشرينَ ألفاً من الإبلِ، وأكثرَ من أربعينَ ألفاً من الغَنمِ، وأربعةَ آلافِ أُوقيةٍ من الفِضّةِ، هذا إلى جانبِ ستّةِ آلافٍ من السَّبي [٢].

وكَرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُقَسِّمَ على النّاسِ هذه الغنائمَ، وتأنّى يَبتغي أن يَرجِعَ القومُ إليه تائبِينَ، فيأخُذوا ما فَقَدوا، ومَكَثَ يَنتظِرُهُم بِضعَ عشرةَ ليلةً فلم يَجِئْهُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٥) دون قوله: (أنا النبي لا كذب...اللهم نـزّل نصرك) فقد وردت عند البخاري (٢٨٦٤) ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب وقوله: (شاهت الوجوه) عند مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٢) انظر، [«فقه السيرة» (ص٤٢٥)].



أحدٌ، فجَمَعَ النَّبيُّ ﷺ هذه الغنائمَ في (الجعرانةِ) وعَيَّنَ عليها حارساً، ثم خَرَجَ ﷺ بنفسهِ حتى أتى حِصنَ الطائفِ الذي تَـحصَّنَ به مالكُ بنُ عوفٍ ومن معَه، وحاصَرَهُم النَّبيُّ ﷺ وطالَ الحِصارُ، فلما طالَ الحِصارُ ولم يَنزِلوا؛ رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ ومن معَه من الـمسلمِينَ.

العنصر الرابع: حكمة رسول الله ﷺ في تقسيم الغنائم:

عادَ رسولُ اللهِ ﷺ من الطَّائفِ بجيشِ المسلمِينَ إلى (الجعرانةِ)، وفي (الجعرانةِ) كانَت غنائمُ حُنَينٍ الكثيرة، وبدأَ رسولُ اللهِ ﷺ في تقسيم الغنائم بسياسةٍ خَفِيَت حِكمتُها على بعضِ الصَّحابةِ آنَذاكَ، حيثُ حَظِيَ بهذه الغَنائم الطُّلَقاءُ والأعرابُ تأليفاً لقُلوبِهم لقُربِ عَهدِهم بالإسلامِ، وعَدمِ تـمكُّنِ معاني الإيمانِ من قلوبِهم.

فأعطى مئةً من الإبلِ لكلٍّ من عُيَينةَ بنِ حِصنٍ -من زُعَماءِ غطفانَ-، والأقرعِ ابنِ حابسٍ -من زُعماءِ تـميمٍ-، والعبّاس بنِ مرداسٍ، وسُهيلِ بنِ عمرو، وحكيمِ ابنِ حزام، وأبي سفيان بن حرب، وصفوانَ بنِ أميَّةَ - من زعماء قريش[1].

وشاعَ في النّاسِ أن محمَّداً ﷺ يُعطي عطاءَ من لا يَخشى الفقرَ، فجاءَ الأعرابُ من كلِّ مكانٍ يسألونَه، حتى اضطَرُّوه إلى مَضيقٍ وحبَسوه عن الـمَسيرِ فتعلَّقَ رداؤُه بشَجَرةٍ فقال ﷺ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاةِ** -أي: الوادي- **نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا**»[2].

وقد أثَّرَ عطاءُ رسولِ اللهِ ﷺ في قلوبِ هؤلاءِ الزُّعَماءِ وأتباعِهم، فأظهَروا الرِّضا بها، وزادَتهم رغبةً في الإسلامِ، ثم حَسُنَ إسلامُهم جميعاً، فأبلَوا في الإسلامِ بلاءً حسناً، وخَدَموهُ بأنفُسِهم وأموالِهم إلَّا يَسيراً منهم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٢١).

قالَ أنسٌ ﵁: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(١).

وقد عبَّر بعضُ الـمؤلفة قلوبهم عن أثر ذلك فقال صفوانُ بنُ أمية: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِى رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَانِى وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَىَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِى حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَىَّ»(٢).

وقد تأثر بعض الـمسلمِينَ –في بداية الأمر– بهذا التقسيم لأنه لم يشملهم، فكان لابدَّ من بيان الحكمة لهم من ذلك.

فقال ﷺ: «**فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِـمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْغِنَى وَالْخَيْرِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ**»(٤).

وقال ﷺ: «**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِى النَّارِ**»(٥).

وقد بَلَغَ رسولَ اللهِ ﷺ أن الأنصار وجَدوا في أنفسِهم؛ لعَدمِ أخذِهم شيئاً من غنائِمِ حُنينٍ، وأن بَعضَ أحداثِهم قالوا: «إذا كانتِ الشِّدَّةُ فنحن نُدعى، وتُعطى الغنائمُ غيرَنا».

وقالوا: «يُعطي قُريشاً ويتركُنا وسيوفُنا تَقطُرُ من دمائِهم».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٩٢٣).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٣١).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧، ١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠).




فأمرَ النَّبيُّ ﷺ سَعدَ بنَ عبادةَ أن يَجمَعَ له الأنصارَ، فجَمعَهم له في قُبَّةٍ من أدمٍ -أي: في خيمةٍ من جلدٍ- فخرج رسول الله ﷺ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ! مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟! قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَللهِ وَلِرَسُولِهِ الْـمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: «**أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ؛ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ**».

أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءاً مِنَ الأَنْصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ.

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا[1].

ولـما فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ من توزيع الغنائم وهو بالجعرانة، أرادَ أن يَعتَـمِرَ قبلَ أن يَرجِعَ؛ فأحرمَ بالعُمرةِ من الجعرانةِ ليلاً، ووَصلَ مكَّةَ فطافَ وسعى ثمَّ تـحلَّلَ، وخَرَجَ منها ليلاً فباتَ بالجعرانةِ.

ثم عادَ ﷺ إلى الـمدينةِ وقد كانَ خَرَجَ منها في رمضانَ ودَخلَـها في أواخرِ ذي القَعدةِ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٧٦)، [«فقه السيرة» (ص٣٩٦)].




وشتّانَ بينَ هذا الدُّخولِ والدُّخولِ يومَ الهجرةِ؛ لقد دَخَلَها يومَ الهجرةِ خائفاً يَتَرَقَّبُ، وقُريشٌ قد بَعثَت من يَأتي به حيّاً أو ميتاً.

أما اليومُ فقد دَخَلَها مَنصوراً نَصراً مؤزَّراً، وصَدَقَهُ اللهُ وعدَه حيثُ قالَ له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: **إلى مَكَّةَ**[1].

فصَدقَ اللهُ رسولَه وعدَه وردَّه إلى مكَّةَ، وفَتَحَ له غيرَها، ثم عادَ ﷺ إلى المدينةِ.

العنصر الخامس: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من غزوة حنين:

أولاً: التوكل على الله تعالى لا ينافي الأخذ بالأسباب ويؤخذ هذا من فعل النبي ﷺ في غزواته، فكان يستعد للقاء العدو بالعددِ والعدُة.

وفي غزوةِ حُنينِ استعارَ النَّبيُّ ﷺ أسلحةً من صفوانَ بنِ أميَّةَ، وخَرَجَ بجيشٍ كبيرٍ.

فلا يجوزُ لرجلٍ أن يُقدِمَ على عدوٍّ دونَ أن يُعِدَّ العُدَّةَ ويقولُ: أنا متوكِّلٌ على اللهِ، فرسولُ اللهِ ﷺ سيِّدُ المتوكِّلينَ، ولكنَّه أخذَ بالأسبابِ. لقولهِ تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

فهؤلاءِ الذينَ يتسرَّعونَ لملاقاةِ الأعداءِ -قبلَ أن يَستعِدُّوا إيمانيّاً وماديّاً- يُضَيِّعونَ الوَقتَ والجهودَ فلابدَّ أن يَعتبِروا بفعلِ رسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧٧٣).

ثانياً: الإعجابُ بالكثرةِ يَحجِبُ نصرَ اللهِ:

وهذا ما حَدَثَ في غَزوةِ حُنَينٍ فقالَ بعضُ الـمسلمِينَ: «لن نُهزمَ اليومَ من قِلّةٍ»، فحَجَبَ هذا الإعجابُ النَّصرَ في بدايةِ الـمعركةِ.

قـالَ تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].

بعدَ الأخذِ بأسبابِ النَّصرِ، لابدَّ أن يَعلَمَ الـمسلمونَ أن النَّصرَ من عندِ اللهِ، كما قالَ تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ** ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٢٣﴾﴾[آل عمران]، وقالَ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴿٧﴾﴾ [محمد]، وقالَ تعالى: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

فالمسلمونَ لا يَنتصرونَ على أعدائِهم بالعَدَدِ والعُدَّةِ، إنما يَنتصرونَ بهذا الدِّينِ العظيمِ؛ بالإسلامِ. وهذا ما قالَه عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ في غزوةِ مؤتةَ، قالَ: «يا معشرَ النّاسِ! إن الذي تـخافونَ منه هو الذي خَرجتُـم له؛ الشَّهادة! واللهِ ما نقاتِلُهم بقوَّةٍ ولا بكثرةٍ، ما نقاتِلُهم إلَّا بهذا الدِّينِ الذي أكرَمَنا اللهُ به».

ثالثاً: الدُّعاءُ ينفعُ فيما نَزَل وما لم يَنزِل:

وهذا يُؤخَذُ من دعائِه ﷺ في غَزوةِ حُنَينٍ؛ عندَما توجَّهَ إلى ربِّه وقالَ: «**اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ**»، فاستـجابَ اللهُ له ونَصَرَه على أعدائِه، ولذلكَ قالَ ﷺ: «**الدُّعَاءَ يَنْفعُ**




مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ الله»(١).

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِم إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاث، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»(٢).

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

رابعاً: حِلمهُ ﷺ على جفاءِ وغِلظةِ الأعراب:

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: .. لَـمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ؛ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَالله إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله.

فَقُلْتُ: وَالله لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ.

فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ الله وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ الله مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(٣).

ويقول أنس رضي الله عنه: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»(٤).

والله إنها لأخلاقُ النُّبوَّة.

اللَّهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّباعَه وأرِنا الباطلَ باطِلاً وارزُقنا اجتنابَه.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، و أحمد (٥/ ٢٣٤)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٩)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وأحمد (٣/ ١٨)، واللفظ له، [«صحيح الجامع» (٥٦٣٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).



٤٨

غزوة تبوك

أيها الإخوة عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن غزوةِ تبوكَ.

غزوةُ تبوكَ هي آخرُ غزوةٍ غزاها رسولُ اللهِ ﷺ معَ أصحابهِ، وهي أولُ غزوةٍ خارجَ الجزيرة.

غزوةُ تبوكَ هي غزوةُ العُسرةِ؛ وذلكَ لأنَّ الصَّحابةَ خَرَجوا إليها في قلَّةٍ من الظَّهرِ، وفي حرٍّ شديدٍ، حتى كانوا يَنحرون البَعيرَ فيَشربونَ ما في كَرشِه من الماءِ.

قالَ تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

غزوةُ تبوكَ هي الفاضحةُ؛ لأنها كَشَفَت عن حقيقةِ المنافقِينَ، وهتكَت أستارَهم، وفَضَحَت أساليبَهُم العدائيةَ الماكرةَ، وأحقادَهُم الدَّفينةَ ونفوسَهمُ الخبيثةَ، وجرائمَهمُ البشعةَ بحقِّ رسولِ اللهِ ﷺ والمسلمِينَ.

وحديثُنا عن غزوةِ تبوكَ سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: سببُ هذه الغزوةِ وتاريخُها.

العنصر الثاني: موقفُ المؤمنين وموقفُ المنافقِينَ من غزوةِ تبوكَ.

العنصر الثالث: أحداثٌ في الطَّريقِ، والوصولُ إلى تبوك.

العنصر الرابع: العودةُ من تبوكَ إلى المدينةِ.




العنصر الأول: سبب هذه الغزوة وتاريخها

وسببُ غزوةِ تبوكَ هو الاستجابةُ لأمر اللهِ تعالى بالجهاد. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

ولذلكَ عَزَمَ رسولُ اللهِ ﷺ على قتالِ الرُّومِ لأنهم أقربُ النّاسِ إليه، وأولى النّاسِ بالدَّعوةِ إلى الحقِّ لقُربِهم إلى الإسلامِ وأهلِه.

فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ المسلمينَ في المدينةِ وغيرِها بالجهادِ، وأعلَمَهُم بغزوهِ الرُّومَ، وكانَ ذلكَ في رجبٍ من السَّنةِ التاسعةِ للهجرة.




يقولُ كعبُ بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلَّما يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَغَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيد، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ»(١).

وقالَ المؤرِّخونَ: إن أسبابَ غزوةِ تبوكَ هيَ أن الأخبارَ قد وَصَلتْ من الشَّامِ بأن الرُّومَ قد عَزموا على غَزوِ المدينةِ، فلما بَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ، رأى أنه لا بُدَّ من أن يَستَنفِرَ المسلمينَ للخُروجِ لهذا العَدوِّ قبلَ أن يأتيَهم في أرضِهم.

العنصر الثاني: موقف المؤمنين وموقف المنافقين من غزوة تبوك.

كما أنَّ الشَّدائدَ تُظهِرُ نفاقَ المنافقِينَ، فهي كذلكَ تُظهِرُ إيمانَ المؤمنِينَ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وغزوةُ تبوكَ كانَت في ظروفٍ صعبةٍ جداً؛ حرٌّ شديدٌ، وعُسَرةٌ في الماءِ، وقلَّةٌ في المالِ، وطولٌ في الطَّريقِ، فظَهَرَ فيها نِفاقُ المنافقِينَ، وكذلكَ ظَهَرَ فيها إيمانُ المؤمنِينَ الصّادقِينَ.

فعندَما حثَّ النَّبيُّ ﷺ المسلمِينَ على الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ لتجهيزِ جيشِ المسلمِينَ؛ جاءَ بعضُ المؤمنِينَ الصّادقِينَ بكلِّ مالهِ، ومنهُم من جاءَ بنصفِ مالِهِ، وجاءَ عثمانُ بن عفّانَ رضي الله عنه بألفِ دينارٍ، فنَثَرَها في حِجرِ رسولِ اللهِ ﷺ، فسُرَّ بذلكَ رسولُ اللهِ ﷺ، وجَعَلَ يَقَلِّبُها في حِجرِهِ وهو يقولُ:

«**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**» يرددها مرارا(١).

وجعلَ فقراءُ المسلمِينَ يتصدَّقونَ بما يَجِدونَه وإن كانَ يسيراً، والمنافقونَ يَسخَرون من هؤلاءِ وهؤلاءِ؛ فيَتَّهمونَ أهلَ الغِنى والبذلِ العظيم بالرِّياءِ والسُّمعةِ! والفُقراءَ بأنَّ اللهَ عن يسيرِ صَدَقتِهم لغنيٌّ، وفَضَحَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ.

فقالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة].

وحاولَ بعضُ المنافقِينَ أن يَتَسَتَّرَ خلفَ نفقتِه، ففَضَحَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ فرَدَّ عليهم نفقاتهم. قالَ تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾ [التوبة].

وعندَما أعلنَ رسولُ اللهِ ﷺ النَّفيرَ العامَّ في المدينةِ، وكانَ ذلكَ وقتَ جني التَّمرِ وطيِّبِ الثِّمارِ واشتهاءِ الظِّلالِ، شقَّ ذلكَ على بعضِهم، فعاتَبَ اللهُ الذين

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)، أحمد (٥/ ٦٣)، [«مشكاة المصابيح» (٦٠٦٤)].




تباطَؤوا بقولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة].

وقد طالبَهمُ اللهُ في كتابهِ بأن يَنفِروا شَباباً وشُيوخاً، وأغنياءَ وفقراءَ بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة].

ولقدِ استطاعَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يَحشُدَ ثلاثينَ ألفَ مقاتلٍ من الـمهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ مكَّةَ والقبائلِ العربيَّةِ الأُخرى.

وحَزِنَ الفُقراءُ من الـمؤمنِينَ الصّادِقينَ لأنهم لا يَملِكونَ نَفقةَ الـخُروجِ إلى الجهادِ.

جاءَ سبعةُ رهطٍ من الفقراءِ إلى النَّبيِّ ﷺ يسألونَه أن يَحمِلَهم فقالَ: «**لا أجد ما أحملكم عليه**»، فرَجَعوا يبكونَ حَزَناً ألا يَجدوا ما يُنفقونَ؛ فهذا عُليَّةُ ابنُ زيدٍ رضي الله عنه أحدُ البكَّائينَ، قامَ باللَّيلِ فصلَّى للهِ وبكى ثم ناجى اللهَ -تباركَ وتعالى- قائلا: اللَّهُمّ إنّك قَدْ أَمَرْت بِالْجِهَادِ وَرَغّبْت فِيهِ ثُمّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوّى بِهِ مَعَ رَسُولِك، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِك مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنّي أَتَصَدّقُ عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ بِكُلّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ، ثم أصبح بين الناس، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ الْـمُتَصَدّقُ فِي هَذِهِ اللّيْلَةِ؟**» فليَقُم، فقام عُليَّة بنُ زيدٍ فأخبرَ رسولَ اللهِ ﷺ الـخبرَ فقالَ ﷺ: «**أَبْشِرْ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَ فِي الزّكَاةِ الْـمُتَقَبّلَةِ**»[1].

وفي روايةٍ: أن النَّبيَّ ﷺ أخبَره أنه قد غُفِرَ له[2].

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨)، انظر «فقه السيرة» (ص٤٠٥).

(٢) انظر، [«السيرة النبوية الصحيحة» (٢/ ٥٣٠)].




وبَلَغَ الأمرُ بالضُّعَفاءِ والعَجزةِ -ممن أقعَدَهمُ المرضُ أو النَّفقةُ عن الخروجِ- إلى حدِّ البُكاءِ شَوقاً للجهادِ، وتَحرُّجاً من القُعودِ حتى نَزَلَ فيهم قُرآنٌ:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة]. وقد خصَّ النَّبيُّ ﷺ هؤلاء المُتخلِّفينَ المَعذورين ممن حَسُنَت نِيَّاتهُم، واستقامَت طَوِيَّتُهم بقولِه: «**إنَّ بالْمَدينَة أَقْوامًا ما سِرْتُمْ مَسيرًا ولَا قَطَعْتُمْ وادِيًا إِلَّا كانُوا مَعَكُمْ**» قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بالْمَدِينَةِ؟!

قَالَ ﷺ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[1].

وقد حَكى كعبُ بنُ مالكٍ في حديثِه الطَّويلِ: إنّه لم يبقَ بالمدينةِ إلَّا المنافقونَ وأهلُ الأعذارِ من الضُّعفاء[2].

أما المنافقونَ فسَلَكوا مَسالِكَ شتّى، فمنهُم من اعتذَرَ قبلَ الخُروج وتَعلَّلَ بالعِلَلِ الباطلة. قالَ تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾[التوبة]. فأذنَ لهمُ النَّبيُّ ﷺ فقالَ اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة].

ثم قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِه ﷺ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٢٣)

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٢٦).

﴿يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

ومنهم مَن أَخَذَ يُثبِّطُ هِمَمَ الناس قائلينَ لهم: لا تنفروا في الحرِّ، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة].

العنصر الثالث: أحداث في الطريق، والوصول إلى تبوك

في يوم الـخميسِ من شَهرِ رجبٍ من السَّنة التّاسعةِ للهجرة، خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ الـمسلمينَ من الـمدينةِ، قاصِداً غزوَ الرُّوم؛ واستـخلَفَ على الـمدينةِ محمَّدَ بنَ مسلمةَ رضي الله عنه وخلَّفَ عليّاً رضي الله عنه على أهلِه فنالَه الـمنافقونَ بألسنتِهم، وقالوا: ما خلَّفه إلَّا استثقالاً له، وتـخفُّفاً منه، فسَمِعَها عليٌّ فأخَذَ سلاحَه وانطلَقَ يَعدو خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ حتى أتاه فقالَ: يا رسولَ الله! قالَ الـمنافقونَ: إنك خلَّفتَني استثقالاً لي وتخفُّفاً مني، فقال ﷺ: «**كذبوا، كذبوا، ارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»[1].

وانطلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثلاثينَ ألفَ مقاتلٍ عبرَ الصَّحراءِ إلى تبوك، وفي الطَّريقِ أصابَ جيشَ الـمسلمينَ جوعٌ شديدٌ، لأنَّ الزَّمانَ كانَ زمانَ عُسرةٍ، فلـما تـجهَّزوا لم يَتـجهَّزوا بما يكفيهم، إنما تَـجهَّزوا بما وَجدوا.

يقولُ أبو سعيدٍ الـخدريُّ رضي الله عنه: لَـمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ الله، ﷺ: «**افْعَلُوا**»، فَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ -وهو ما

(١) أصل الحديث عن البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، وهذا اللفظ ورد عند البزار في مسنده (١١٩٤).




يُحمل عليه من الإبل- وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ.

فَدَعَا بِنِطَعٍ ﷺ -أي: بساطٍ من الجلد- فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**» فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلَؤُوهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**»(١).

اللهُ أكبر.. اللهُ أكبرُ! مَن الذي أطعَمَ هذا الجيشَ في هذه الصَّحراءِ؟

إنه اللهُ عزَّ وجلَّ، ثم ببركةِ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ.



وفي الطَّريقِ أصابَ الجيشَ عطشٌ شديدٌ، يقولُ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: قيل لعُمرَ ابنِ الخطاب رضي الله عنه: حدِّثنا عن غزوةِ العُسرةِ -وهي غزوةُ تبوكَ-، فقالَ عمرُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ شَدِيدٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى أَنْ كَانَ أَحَدُنَا يَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْخَلا فَلا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ تَنْقَطِعُ، وَحَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَضَعُهُ عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ لَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتُحِبُّ ذَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهَا حَتَّى مَالَتِ السَّمَاءُ فَأَظَلَّتْ، ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَئُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ(٢).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧).

(٢) **حسن**: رواه البزار (٢١٤)، والطبراني في الأوسط (٣٢٩٢)، والحاكم (١/ ٢٦٣)، [«فقه السيرة» (ص٤٠٧)].



الله أكبر.. الله أكبر! مَن الذي سَقى هذا الجيشَ في هذه الصَّحراءِ؟ إنه هو اللهُ عزَّ وجلَّ ثمَّ ببركةِ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ.

ويقولُ معاذُ بن جبل رضي الله عنه: خَرجنا معَ رسولِ الله ﷺ عامَ غزوةِ تبوك، فكُنّا نَجمَعُ الظُّهرَ والعَصرَ جميعاً، والمَغربَ والعِشاءَ جميعاً.

فلما كانَ ذاتَ ليلةٍ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ**»، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلاَنِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**».

قَالاَ: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، وَغَسَلَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا**»(١).

وفي الطَّريقِ إلى تبوكَ ضلَّت ناقةُ رسولِ الله ﷺ. فقالَ رجلٌ من المنافقِينَ: أليسَ يَزعمُ أنَّه نبيٌّ، ويُخبرُكُم عنِ السَّماءِ وهو لا يَدري أين ناقتُه؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ رجلا يقول: هذا محمدٌ يخبركم أنه نبي، ويزعمُ أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقتُه؟**

وإني والله ما أعلمُ إلَّا ما علَّمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرةٌ بزمامها، فانطلِقوا حتى تأتوني بها» فذهبوا فجاؤوا بها(٢).





(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٠٦).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٥٣٣).

وفي الطريق مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ على الحِجرِ -وهي ديارُ ثمودَ- فأمرَ النَّبيُّ ﷺ المسلمِينَ أن لا يَدخلوا مساكِنَهم، وأن يُسرِعوا الخُطى، وأن يكونوا باكِينَ، ونهاهم عن التَّزَوُّد من مياهِهِم إلَّا بئرَ الناقة.

عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: لما مرَّ النَّبيُّ ﷺ بالحِجر قال: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ**»(١).

وقالَ رضي الله عنه: «إِنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»(٢).

وهذا منهجٌ نبويٌّ كريمٌ في توجيهِ رسولِ اللهِ ﷺ صحابتَه والمسلمِينَ إلى الاعتبارِ بديارِ ثمودَ، وأن يتذكَّروا بها غضبَ اللهِ على الذين كذَّبوا رسولَه، وأن لا يَغفُلوا عن مواطِنِ العِظَةِ، ونهاهم عنِ الانتفاعِ بشيءٍ مما في رُبوعِها؛ حتى الماءِ، لكيلا تفوتَ بذلكَ العبرةُ، وتَخِفَّ الموعظةُ بل أمرَهُم بالبُكاءِ، وبالتَّباكي، تحقيقاً للتأثُّرِ بعذابِ الله.

وَصَلَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ إلى تبوك، وأخبرَ الجيشَ بأن ريحاً شديدةً ستَهُبُّ، وأمرَهُم بأن يَحتاطوا لأنفُسِهم ودوابِّهم، فلا يَخرُجوا حتى لا تُؤذيهم، وليَربطوا دوابَّهم حتى لا تُؤذى، وتحقَّقَ ما أخبرَ به رسولُ اللهِ ﷺ، فهبَّتِ الرِّيحُ الشَّديدةُ، وحَمَلَت مَن قامَ فيها إلى مكانٍ بعيدٍ. روى مسلمٌ في «صحيحه» بإسناده إلى أبي حُميد قال: وانطلَقنا حتى قَدِمنا تبوك، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ**



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).



اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ»(١).

وهناكَ في تبوكَ لم يَلقَ النَّبيُّ ﷺ وجيشُ المسلمِينَ أيَّ جُنديٍّ من جنودِ العدوِّ، وألقى اللهُ الرُّعبَ في قلوبِ الرُّومانِ على كثرتِهم وقوَّةِ عُدَّتِهم، فآثروا السَّلامةَ على الفناءِ، فجَلَسوا في أرضِهم بالشَّام، ولم يتحرَّكوا أدنى مسافةٍ للقاءِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بتبوكَ بضعةَ عشرَ ليلةً، لم يَجِد أدنى مقاومةٍ، وجاءَتِ القبائلُ العربيَّةُ الـمُتنَصِّرةُ حلفاءُ الرُّومانِ، فصالحَت رسولَ اللهِ ﷺ على الجزيةِ، وكَتَبَ لها كتابَ صُلحٍ، ثم عادَ رسولُ اللهِ ﷺ من تبوكَ إلى الـمدينةِ سالـماً غانماً.

وغزوةُ تبوكَ تُشبهُ غزوةَ الأحزابِ.

فغزوةُ الأحزابِ لم يكُن فيها قتالٌ، وغزوةُ تبوكَ لم يكُن فيها قتالٌ.

غزوةُ الأحزابِ أولُـها شدّةٌ وبلاءٌ، كما قالَ تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

وغزوةُ تبوكَ أولُـها أيضاً شدَّةٌ وبلاءٌ وعُسرةٌ، في الظَّهرِ والـمالِ والـماءِ، كما قالَ تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

ونهايةُ الأحزابِ نصرٌ على الأعداءِ بدونِ قتالٍ، وكذلكَ في غزوةِ تبوكَ نصرٌ على الأعداءِ بدونِ قتالٍ، قالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٨١)، و مسلم (١٣٩٢).




العنصر الرابع: العودة من تبوك إلى المدينة:

عادَ رسولُ اللهِ ﷺ بجيشِ المسلمِينَ من تبوكَ إلى المدينةِ سالماً غانماً منتصراً.

وفي طريقِ العَودةِ حاولَ مجموعةٌ من الـمنافقِينَ أن يَغتالوا رسولَ اللهِ ﷺ، وآذَوا رسولَ اللهِ والمؤمنِينَ بألسنَتِهم.

وفي هؤلاءِ الـمنافقِينَ نزَلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾ [التوبة]. قالَ ابنُ كثير: قالَ الضَّحاكُ: إنَّ نفَراً من المنافقِينَ همُّوا بالفَتكِ بالنَّبيِّ ﷺ وهو في غزوةِ تبوكَ في بعضِ اللَّيالي في حالِ السَّيرِ، وكانوا بضعَةَ عشَرَ رجلاً نَزلت فيهم هذه الآية[1].



وفي طريقِ العَودةِ، جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ خَبرُ مسجدِ الضِّرارِ الذي بناهُ الـمنافقونَ بالمدينةِ، وكانوا قد طَلَبوا من النَّبيِّ ﷺ أن يُصلِّي فيه.

قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة].

فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه بهدمِ هذا الـمسجدِ.

لـما دَنا رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ من الـمدينةِ قالَ ﷺ: «**هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[2].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢).



وخَرجَتِ النِّساءُ والصِّبيانِ والولائِدُ يستَقبِلنَ أكبرَ جيشٍ خَرَجَ لقتالِ الـمشركِينَ في عصرِ السِّيرةِ؛ يَقُلنَ[١]:

طَـــلَـــعَ الـــبـــدرُ عـلـيـنـا مِـــن ثَـــنِـــيّـــات الــــــوداعِ
وَجَــــبَ الـشُّـكـر علينا مـــا دَعـــــا للهِ داعٍ[١]

ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ الـمدينةَ، فبدأ بالمسجدِ؛ فصلّى فيه ركعتَينِ ثم جَلَسَ للنّاسِ، فجاءَه الـمتـخلِّفونَ من الـمنافقِينَ يَعتذرونَ إليه بشتّى الأعذارِ، ويَحلِفونَ له، فقَبِلَ منهم علانِيَتَهم واستغفرَ لهم، ووَكَلَ سرائِرَهُم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

أما كعبُ بنُ مالكٍ أحدُ ثلاثةٍ من الـمؤمنينَ الصّادقين تـخلَّفوا من غيرِ عُذرٍ، فقد جاءَ هو وصاحباه إلى رسولِ اللهِ ﷺ فاعترفَ بذنبِه، فماذا قالَ كعبٌ لرسولِ اللهِ ﷺ؟ وماذا قالَ له رسولُ اللهِ ﷺ؟ وماذا أمرَ بهم رسولُ اللهِ ﷺ؟ وما هي نتيجةُ الصِّدقِ؟

هذا الذي نَعرِفُه في الجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

اللهمَّ رُدَّ الـمسلمِينَ إلى دينِك ردّاً جميلاً.

---

(١) انظر «زاد الـمعاد» (٣/ ٥٤٩).

٤٩

قصة كعب بن مالك وصاحبيه

أيها الإخوةُ عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ المُصطفى ﷺ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن قصَّةِ كعبِ بنِ مالكٍ وصاحبَيه؛ عندَما تـخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ.

تكلَّمنا في الجُمعةِ الـماضيةِ عن غزوةِ تبوكَ، وقد تـخلَّفَ عنها ثلاثةٌ من الصَّحابةِ وهم: كَعبُ بن مالكٍ، وهلالُ بن أُميَّةَ الواقفيُّ، ومَرارةُ بن الرَّبيعِ العَمريُّ، والثلاثة من الأنصار الـمعروفينَ بحُسنِ إيمانهم.

فكعبُ بن مالكٍ رضي الله عنه شَهِدَ جَميعَ الغَزَواتِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ قبلَ غزوةِ تبوكَ سوى بدرٍ، وشَهِدَ أيضاً بيعةَ العقبةِ الثانيةَ، وهلالُ بنُ أميَّةَ، ومرارةُ بنُ الرَّبيعِ شهدا بدراً.



الثلاثةُ من الـمؤمنينَ الصّادقِينَ تـخلَّفوا عن غزوةِ تبوكٍ بدونِ عذرٍ، فلـما رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ من الغَزوةِ، جاءَ كلٌّ منهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ واعترَفَ بذنبِه، فماذا قالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ؟ وماذا قالُوا له؟ وماذا فَعَلَ بهم؟ هذا الذي نَعرفُه في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

تعالَوا بنا عبادَ اللهِ لنَستـمعَ إلى كعبِ بن مالكٍ رضي الله عنه وهو يُخبرُنا الـخبرَ:

يقول كعب رضي الله عنه: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَـدْرٍ وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ



ميعَاد، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَام وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا -أي: أشهرَ عند الناس بالفضيلة-

يقول رضي الله عنه: «كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ».

يقول رضي الله عنه: «حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ» -أي كشفه وبينه وأوضحه- «لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ» -أي: ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم ذلك- «فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ» -أي: عرَّفهم جميعاً أنه يريد أن يغزوَ الروم- يقول رضي الله عنه: «وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ الدِّيوَانَ، فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ الله».



يقول رضي الله عنه: «وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ.

يقول رضي الله عنه: «فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ



فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ.

يقول ﵁: «وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرداه والنظرُ في عِطْفَيْهِ -أي: جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه- فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

يقولُ ﵁: «فبَينا هو على ذلك رأى رجلاً مُبيضاً -أي: لابساً البياضَ- يَزُولُ به السَّراب، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُن أبا خيثمةَ» فإذا هو أبو خيثمةَ الأنصاريُّ، وهو الذي تَصدَّقَ بصاعِ التَّمرِ حينَ لَمزهُ المنافقون».



قال كعب ﵁: «فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافلًا -أي: راجعاً- من تبوك، حَضَرَنِي هَمِّي -أي: حزني الشديد- وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ» -أي: عزمت على أن أصدقه-.

يقولُ ﵁: «وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، يقول ﵁: «فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ:

«تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ



قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ -أي: اشتريت راحلتك؟- قال ﷺ: «فَقُلْتُ بَلَى إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ -أي: تغضب- إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ -أي: العاقبة الحسنة بتوبة الله عليَّ- لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ».

يقول كعب ﷺ: «وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْـمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبُكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ».




يقول ﷺ: «فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ، قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ».

يقول ﷺ: «فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ».

يقول ﷺ: «فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي».

يقول ﷺ: «وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْـمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ

لَا، ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي».

يقول ﷛: «حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ» -أي: علوت سور بستانه- «وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْـمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ -أي: فلاح- مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَـمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ، قَالَ: لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ».




يقول ﷺ: «فَلبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ الله عَنْ كَلامِنَا، فَلَـمَّا صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ».

يقول ﷺ: «وَآذَنَ رَسُولُ الله ﷺ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا».

يقول ﷺ: «فَلَـمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ».



يقول ﷺ: «وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِئونِنِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْـمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

يقول ﷺ: «فَلَـمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قال وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ الله يقول ﷺ: «وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ».

يقول ﷺ: «فَلَـمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِ الله -أي: أخرجه في سبيل الله- فقال



رسول الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ».

يقولُ ﷺ: «فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ -أي: أنعم عليه- فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ».

ثم قالَ ﷺ: فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ حتى بلغ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

يقولُ كعبٌ ﷺ: فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ

الَّذِينَ كَذَبُوا.

إن اللهَ تعالى قالَ للَّذينَ كذبوا حين أُنزِلَ الوحيُ شرَّ ما قالَ لأحدٍ، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[التوبة][1].

أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة كعب بن مالك وصاحبيه فمنها:

أولاً: الصِّدقُ سفينةُ النَّجاةِ، عليكُم بالصِّدقِ فإنه ينفَعُ صاحبَه في الدُّنيا والآخرةِ.

ففي الدُّنيا: نجا كعبُ بنُ مالكٍ بالصِّدقِ هو وصاحباه.

وفي الآخرةِ: قالَ تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾[المائدة].

عليكم بالصِّدقِ، فهو طريقٌ إلى الجنَّةِ، قالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ، يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ**»[2].

ثانياً: بعدَ الكَربِ والشِّدَّة يأتي الفَرجُ، فهذا كَعبُ بنُ مالكٍ بعدَ أن ضاقَت عليه نفسُه، وضاقَت عليه الأرضُ بما رَحُبَت، جاءَ الفَرَجُ، فَسَمِعَ صارخاً يَصرُخُ: يا كعبَ بنَ مالكٍ! أبشِر! فخَرَّ ساجداً للهِ وقال: قد جاءَ الفَرجُ.

والرَّسولُ ﷺ يقولُ لابنِ عباسٍ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، وعبد بن حميد (٦٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].



ثالثاً: أعداءُ الإسلام يتربَّصونَ بنا الدَّوائرَ، ويَرصُدونَ ما وَقعَ بينَ الـمسلمِينَ، فانظُروا في اللَّحظةِ الـمناسبةِ أرسلَ ملكُ غسّانَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ يطلُبه: «الحق بنا نواسك».

رابعاً: التَّأسُّفُ على ما فاتَ من الـخَيرِ، وتَـمنِّي الـمتأسِّفِ أنه كانَ فعلَه، لقولِ كعبِ بنِ مالكٍ: «فياليتَني فعلتُ».

خامساً: ردُّ الغِيبةِ عن الـمُسلمِ، لقولِ مُعاذِ بنِ جبلٍ: «بئسَ ما قُلتَ، واللهِ يا رسولَ اللهِ ما عَلِمنا عليه إلَّا خيراً».

سادساً: الحكمُ بالظّاهرِ واللهُ يتولّى السَّرائِرَ.

سابعاً: يُشرَعُ لمن بُشِّرَ بنعمةٍ ما يلي:




- سجودُ الشُّكرِ؛ كما فَعَلَ كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ عندَما بشَّروه بتوبةِ اللهِ عليه.
- مكافأةُ الذي يَحمِلُ البُشرى: فقد نَزَع كعبٌ ثوبَيه اللَّذَينِ كان يَلبسُهما، فكساهُما الذي سَمِعَ صوتَه بالبُشرى، وما كانَ يَملِكُ وقتَئذٍ غيرَهما.
- التصدُّقُ بالـمالِ:

كما فَعَلَ كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه فقد تَصدَّقَ ببعضِ مالِه.

ثامناً: خيرُ أيامِ العبدِ على الإطلاقِ وأفضلُـها؛ يومُ توبتِه إلى اللهِ، وقَبولِ اللهِ توبتَه، لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**».

تاسعاً: استـحبابُ بكاءِ الإنسانِ على نفسِهِ إذا وقَعَت منه معصيةٌ، وهذا ما وَقعَ من كعبِ بن مالكٍ وصاحبَيه.

عاشراً: في الحديثِ عِظَمُ أمر الـمعصيةِ. يقولُ الحسَنُ البَصريُّ -رَحمَه اللهُ- «يا سبحانَ الله! ما أكلَ هؤلاءِ الثلاثةُ مالاً حَراماً، ولا سَفَكوا دماً حراماً، ولا أَفسدوا في الأرض، أصابَهم ما سَمِعتُـم وضاقَت عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَت، فكيفَ بمَن يُواقِعُ الفَواحِشَ والكبائرَ؟»

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتِّباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابَه.





٥٠

حَجَّةُ الوَداع

أيها الإخوة عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ لقاءٍ جديدٍ من سيرةِ حبيبِ ربِّ العالمينَ محمَّدٍ ﷺ النَّبيِّ الأمينِ، وحديثُنا في هذا اللِّقاءِ سيكونُ عن حَجَّةِ الوداع.

حجَّةُ الوداعِ كانَت في السَّنةِ العاشرةِ للهجرةِ، واتَّفقَ العلماءُ على أن النَّبيَّ ﷺ لم يَحجَّ بعدَ هجرتهِ إلى المدينةِ، سوى حجةٍ واحدةٍ وهي حجّةُ الوداعِ.

وفي حجَّةِ الوَداعِ؛ ودَّعَ النَّبيُّ ﷺ أمّتَهُ وأصحابَه فقالَ لهم: «**خذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحُجَّ بعد حجتي هذه**».

كيفَ حجَّ النبي ﷺ؟



تعالَوا بنا لنَستمعَ إلى جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه، وهو يَصِفُ لنا حَجَّةَ النَّبيِّ ﷺ، يقولُ جابرٌ رضي الله عنه:

مَكَثَ رسولُ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِى النَّاسِ فِى الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ.

فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ (وفي رواية: فلم يبقَ أحدٌ يَقدرُ أن يأتيَ راكباً أو راجلاً إلَّا قَدِمَ) **كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِه.**

وقال جابرٌ رضي الله عنه: سمعتُ -قال الراوي: أحسِبُه رَفَعَ إلى النَّبيِّ ﷺ (وفي روايةٍ قال: خطَبنا رسول الله ﷺ) فقال: «**مُهَلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة ومهل أهل الطريق الآخر الجُحفة، ومهل أهل العراق من ذات عِرق -أي: مكان بالبادية، وهو الحد الفاصل بين نجد وتهامه- ومهل أهل اليمن من يَلَمْلَمْ**».



قال جابر رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِى بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ

قَالَ: اغْتَسِلِى وَاسْتَثْفِرِى -وهو أن تشد فرجها بخرقة عريضة بعد أن تحتشى قطناً وتوثق طرفَها في شيءٍ تشدُّه على وسطِها فتَمنعَ بذلكَ سيلَ الدَّم- بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِى، فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فِى الْـمَسْجِدِ.

الإحرام:

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِى بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَىْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.




فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْـمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ**».

وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِى يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ الله ﷺ تَلْبِيَتَهُ.

(وفي روايةٍ: ولبّى الناسُ والناسُ يزيدونَ: لبيكَ ذا الـمعارجِ لبيكَ ذا الفواضلِ، فلم يردّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه.

قالَ جابرٌ: ونحن نقولُ: لبَّيكَ اللهم لبَّيكَ بالحج: نَصرُخُ صُراخاً لَسْنَا نَنْوِى إِلاَّ الْحَجَّ مفرَداً؛ لا نخلِطُه بعمرةٍ، (وفي رواية: لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ) وفي أخرى: أهلَلْنا أصحابَ النَّبيِّ ﷺ بالحجِّ خالصاً ليسَ معَه غيرُه، خالصاً وحدَه).

قال: وأقبَلَت عائشةُ بعُمرةٍ حتى إذا كانَت بـ«سَرِف» -أي: موضعٍ قربَ التَّنعيمِ- عرُكَت -أي: حاضَت-.

دخول مكة والطواف:

قالَ جابرٌ ﵁ حتى إذا أتَينا البيتَ معَه صُبحَ رابعةٍ مَضَت من ذي الحجَّةِ، (وفي روايةٍ: دخَلنا مكَّةَ عندَ ارتفاعِ الضُّحى).

فأتى النَّبيُّ ﷺ بابَ الـمسجدِ فأناخَ راحلتَه ثم دَخَلَ الـمسجدَ.

استلَمَ الرُّكنَ (وفي روايةٍ: الحجرَ الأسود).

ثم مَضى عن يمينهِ.

فرَمَلَ حتى عادَ إليه ثلاثا -والرَّمَلُ هو إسراعُ الـمشيِ معَ تقارُبِ الـخُطا- ومشى أربعاً على هينته.

ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾، ورَفعَ صوتَه يُسمعُ الناس.



فجَعلَ الـمقامَ بينَه وبينَ البيتِ [فصلّى ركعتَين].

قال: فكانَ يقرأُ في الرَّكعتَين: (قل هو الله أحد) و(قل يا أيها الكافرون) (وفي روايةٍ «قل يا أيها الكافرون» و«قل هو الله أحد»).

ثم ذَهَبَ إلى زمزمَ فشَربَ منها، وصبَّ على رأسِ ثم رَجَعَ إلى الرُّكنِ فاستلمَه.

الوقوف على الصفا والمروة

ثم خَرَجَ من البابِ (وفي روايةٍ: بابِ الصَّفا) إلى الصَّفا، فلـما دَنا من الصَّفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ أبدأ (وفي روايةٍ: نبدأُ) بما بدأَ اللهُ به، فبدأَ بالصَّفا فرَقى عليه حتّى رأى البيتَ.



فاستقبلَ القِبلةَ فوحَّدَ اللهَ وكبَّرَه ثلاثاً وحَمِدَه وقال: لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الـملكُ وله الحمدُ [يُحيي ويميتُ] وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إله إلَّا



اللهُ وحدَه لا شريكَ له، أنجزَ وعدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه ثم دعا بينَ ذلكَ، وقالَ مثلَ هذا ثلاثَ مرّاتٍ.

ثم نَزَلَ ماشياً إلى الـمروةِ، حتى إذا انصَبَّت قدماه -أي انحدَرَت -في بطنِ الوادي سَعى، حتى إذا صَعِدتا -يعني قَدماه- الشِّقَّ الآخرَ مَشى حتى أتى الـمروةَ فرَقى عليها حتى نَظَرَ إلى البيتِ.

ففَعَلَ على الـمروةِ كما فَعَلَ على الصّفا.

الأمر بفسخ الحج إلى العمرة

حتى إذا كان آخرُ طوافهِ (وفي روايةٍ: كانَ السّابعَ) على الـمروةِ. فقال: يا أيُّها النّاسُ! **لَوْ أَنِّى اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْىَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْىٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً**، (وفي رواية: فقال: أحِلُّوا من إحرامكم، فطوفوا بالبيت، وبين الصفا والمروة، وقصروا، وأقيموا حلالا. حتى إذا كانَ يومُ التَّرويةِ -وهو اليومُ الثّامنُ من ذي الحجَّةِ- فأهلُّوا بالحجِّ واجعَلوا التي قَدِمتُـم بها متعةً).

فقام سراقةُ بن مالكِ بن جُعشُمٍ (وهو في أسفلِ الـمَروةِ) فقالَ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ عُمرَتَنا (وفي لفظٍ: مُتعتَنا) هذه: ألعامِنا هذا أم لأبدِ الأبدِ قال: فشَبَّكَ رسولُ اللهِ ﷺ أصابعَه واحدةً في أُخرى وقالَ: دَخَلَتِ العمرةُ في الحجِّ إلى يومِ القيامةِ، لا! بل لأبدِ أبدٍ، لا بل لأبدِ أبدٍ، ثلاثَ مرّاتٍ قال: يا رسولَ اللهِ بين لنا دينَنا كأنا خُلِقنا الآنَ، فيمَ العملُ اليومَ؟ أفيما جَفَّت به الأقلامُ وجَرَت به الـمقاديرُ أو فيما نَستقبلُ؟ قال: لا، بل فيما جَفَّت به الأقلامُ وجَرَت به الـمقاديرُ. قال: ففيم العَمَلُ إذن؟ قال: اعمَلوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لـما خُلِقَ له.



(قال جابرٌ: فأمرَنا إذا حلَلنا أن نَهديَ، ويَجتمعَ النَّفرُ منّا في الـهديَّةِ: كلُّ سبعةٍ منّا في بَدَنةٍ، فمن لم يكُن معَه هديٌ؛ فليَصُم ثلاثةَ أيّام وسبعةً إذا رَجَعَ إلى أهلِه.

قالَ: فقُلنا: حِلُّ ماذا؟ قال: الحِلُّ كلُّه. قال: فَكَبُرَ ذلك علينا، وضاقَت به صدورُنا.

النزول في البطحاء

قال: فخَرجنا إلى البطحاءِ، قال: فجَعَلَ الرَّجلُ يقولُ: عَهدي بأهلي اليومَ.

قال: فتذاكَرنا بينَنا فقُلنا: خَرجنا حُجّاجاً لا نريدُ إلّا الحجَّ، ولا نَنوي غيرَه، حتى إذا لم يكُن بينَنا وبينَ عرفةَ إلّا أربعُ (وفي رواية: خَمس) ليالٍ أمرَنا أن نُفضيَ إلى نسائِنا فنأتيَ عرفةَ تقطُرُ مذاكيرُنا الـمَنيَّ من النِّساءِ، قال: يقولُ جابرٌ بيدهِ (قَالَ الرّاوي): كأني أنظرُ إلى قولهِ بيَدِه يحرِّكُها، قالوا: كيف نَجعَلُـها متعةً وقد سَمَّينا الحجَّ؟ قال: فبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ فما نَدري أشيءٌ بلغَه من السَّماءِ. أم شيءٌ بلغَه من قِبلِ الناس؟

خطبتُه ﷺ بتأكيدِ الفَسخِ وإطاعةِ الصَّحابةِ له.

فقامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فحَمِدَ اللهُ وأثنى عليه فقال: أباللهِ تعلموني أيُّها الناسُ؟! قد علِمتُـم أني أتقاكُم للهِ وأصدقُكم وأبرُّكم، افعَلوا ما آمرُكُم به؛ فإني لولا هَديي لحَلَلتُ كما تُـحِلُّون ولكن لا يَحِلُّ منِّي حرامٌ حتى يَبلُغَ الـهديُ محِلَّه، ولو استَقبَلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أَسُقِ الـهديَ، فحلُّوا.

قال: فواقَعنا النِّساءَ وتطيَّبنا بالطِّيبِ ولَبِسنا ثيابَنا وسَمِعنا وأطَعنا. فحَلَّ الناسُ كلُّهم وقصَّروا إلَّا النَّبيَّ ﷺ ومن كانَ معه هديٌ.

قال: وليسَ معَ أحدٍ منهُم هديٌ غيرَ النبيِّ ﷺ وطلحةَ.




قدومُ عليٍّ من اليَمنِ مُهِلّاً بإهلالِ النَّبيِّ ﷺ

وقَدِمَ عليٌّ من سعايتِهِ من اليَمن ببُدنِ النَّبيِّ ﷺ.

فوجدَ فاطمةَ ﵂ ممن حَلَّ: ترجَّلَت ولَبِسَت ثياباً صَبيغاً واكتحلَت، فأنكرَ ذلكَ عليها، وقال: من أمركِ بهذا؟! فقالَت: إن أبي أمَرني بهذا. قال: فكانَ عليٌّ يقولُ بالعراقِ: فذَهبتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشاً على فاطمةَ للذي صنَعَت، مُستفتياً لرسولِ اللهِ ﷺ فيما ذكَرت عنه، فأخبرتُه أني أنكَرتُ ذلكَ عليها فقالت: أبي أمَرَني بهذا فقال: صَدَقَت، صَدَقَت، صَدَقَت أنا أمرتُها به.

قال جابرٌ: وقال لعليٍّ: ماذا قلتَ حين فَرَضتَ الحجَّ؟ قال: قلتُ: اللَّهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُ اللهِ ﷺ.

قال: فإنَّ معي الهديَ فلا تَحِلَّ، وامكُث حراماً كما أنتَ.

قال: فكانَ جماعةُ الهديِ الذي قَدِمَ به عليٌّ من اليَمنِ، والذي أتى به النَّبيُّ ﷺ من المدينةِ مئةُ بدنة.

قال: فحَلَّ النّاسُ كلُّهم وقَصَّروا إلّا النَّبيَّ ﷺ ومن كانَ معه هديٌ.

التوجه إلى مِنى محرمين يوم الثامن وهو يوم التروية:

فلما كانَ يومُ التَّرويةِ وجَعَلنا مكَّةَ بظَهرٍ توجَّهوا إلى منى فأهلُّوا بالحجِّ من البَطحاء.

قال: ثم دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ على عائشةَ ﵂ فوجَدَها تبكي فقال: ما شأنُك؟ قالت: شأني أني قد حِضتُ، وقد حَلَّ النّاسُ ولم أحلِلْ، ولم أُطُف بالبَيتِ، والنّاسُ يَذهبونَ إلى الحجِّ الآن، فقال: إن هذا أمرٌ كتبَه اللهُ على بناتِ آدمَ، فاغتسِلي ثم أهلِّي بالحجِّ ثم حُجِّي واصنَعي ما يصنعُ الحاجُّ غيرَ أن لا تطوفي بالبيتِ ولا تُصلِّي

ففَعَلَت (وفي روايةٍ: فَنسكَتِ المناسكَ كلَّها غيرَ أنها لم تَطُف بالبيت.

ورَكِبَ رسولُ اللهِ ﷺ وصلّى بها (يعني: منى، وفي رواية: بنا) الظُّهرَ والعَصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ.

ثم مَكَثَ قليلاً حتى طَلَعَتِ الشَّمسُ.

وأمرَ بُقبَّةٍ له من شَعرٍ تُضرَبُ له بنَمِرةَ -وهو مَوضعٌ بجانبِ عرفاتٍ وليسَ من عرفاتٍ-.

التوجه إلى عرفات والنزول بنمرة:

فسارَ رسولُ اللهِ ﷺ ولا تَشُكُّ قُريشٌ إلَّا أنه واقفٌ عندَ المشعَرِ الحرامِ بالمُزدلِفةِ ويكونُ منزِله، ثُمَّ كما كانت قُريشٌ تَصنَعُ في الجاهليَّة، فأجازَ -أي جاوزَ المزدلفةَ ولم يَقِف بها- رسولُ اللهِ ﷺ حتى أتى عَرفةَ، فوجدَ القُبَّةَ قد ضُرِبَت له بنَمِرةَ، فنَزَلَ بها حتى إذا زاغَتِ الشَّمسُ أَمرَ بالقَصواءِ فُرحِلَت له فـرَكِبَ حتى أتى بَطنَ الوادي.

خطبة عرفات

فخطب الناس وقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِى بَنِى سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛**




كِتَابَ الله، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ،قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ:اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

الجمع بين الصلاتين والوقوف على عرفة:

ثم أذَّنَ بلالٌ ثم أقامَ فصَلَّى الظُّهرَ، ثم أقامَ فصلّى العَصرَ، ولم يُصَلِّ بينَهما شيئاً.

ثم رَكِبَ رسولُ اللهِ ﷺ القَصواءَ حتى أتى المَوقفَ فجَعَلَ بطنَ ناقتهِ القصواءَ إلى الصَّخراتِ، وجَعَلَ حبلَ الـمُشاةِ بينَ يدَيه، واستقبلَ القِبلةَ فلم يَزَل واقِفاً حتى غَربتِ الشَّمسُ، وذَهَبَتِ الصُّفرةُ قليلاً حتى غابَ القُرصُ، وأردَفَ أسامةَ خلفَه.

الإفاضة من عرفات



ودَفَعَ رسولُ الله ﷺ (وفي روايةٍ: أفاضَ وعليه السَّكينةُ) وقد شَنَقَ للقَصواءِ الزِّمامَ، حتى إنَّ رأسَها ليُصيبُ مَورِك رَحلِه -وهو قِطعةُ أدم يَتورَّكُ عليها الرّاكبُ تُـجعَلُ في مُقَدَّم الرَّحلِ، شبهُ الـمِخَدَّةِ الصَّغيرةِ- ويقولُ بيدِه اليُمنى «أيُّها النّاس! السَّكينةَ السَّكينةَ..».

الجمع بين الصلاتين في المزدلفة والبيات بها:

حتى أتى الـمُزدلفةَ فصلّى بها، فجَمَعَ بينَ الـمغربِ والعشاءِ بأذانٍ واحدٍ وإقامتَينِ، ولم يُسَبِّح بينَهما شيئاً، ثم اضطجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى طَلَعَ الفَجرُ وصلّى الفَجرَ حينَ تَبيَّنَ له الفَجرُ، بأذانٍ وإقامةٍ.

الوقوف على المشعر الحرام

ثم رَكِبَ القَصواءَ حتى أتى الـمَشعرَ الحرامَ.

فاستقبلَ القِبلةَ، فدَعا (وفي لفظٍ: فحَمِدَ اللهَ) وكبَّرَه وهلَّلَه ووَحَّدَه. فلم يَزَل



واقِفاً حتى أسفَرَ جِدّاً وقالَ: وقَفتُ ههنا، والمُزدلفةُ كُلُّـها مَوقِفٌ.

الدفع من المزدلفة لرمي الجمرة

فدَفَعَ من جَمعٍ قبلَ أن تَطلُعَ الشَّمسُ وعليه السَّكينةُ.

وأردَفَ الفَضلَ بنَ عبّاسٍ -وكانَ رجلاً حَسَنَ الشَّعرِ أبيضَ وسيماً-.

فلـما دَفَعَ رسولُ اللهِ ﷺ مَرَّت به ظُعُنٌ تَـجرينَ -الظَّعينةُ البَعيرُ الذي عليه امرأةٌ، ثم سُمِّيَ به الـمرأةُ مجازاً لِمُلابَسَتِها البَعيرَ- فطَفِقَ الفَضلُ ينظرُ إليهنَّ، فوَضَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه على وجهِ الفَضلِ، فحَوَّلَ الفَضلُ وجهَه إلى الشقِّ الآخر، فحَوَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَه من الشقِّ الآخرِ على وجهِ الفضلِ، يَصرِفُ وجهَهُ من الشِّقِّ الآخرِ.

حتى أتى بطنَ مُحَسِّرٍ، فحَرَّكَ قليلاً وقال: عليكُمُ السَّكينةَ.



رمي الجمرة الكبرى

ثم سَلَكَ الطَّريقَ الوُسطى التي تُـخرِجُكَ إلى الجَمرةِ الكبرى، حتى أتى الجَمرةَ التي عندَ الشَّجرةِ فرَماها ضُحىً بسَبعِ حَصَياتٍ.

يُكبِّرُ معَ كلِّ حصاةٍ منها، مثلَ حَصى الـخَذفِ.

رَمى مِن بطنِ الوادي وهو على راحِلَتِه وهو يقولُ: لتأخُذوا مناسِكَكُم، فإني لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعدَ حجَّتي هذه.

قال جابرٌ رضي الله عنه: ورَمى بعدَ يومِ النَّحرِ في سائرِ أيَّامِ التَّشريقِ إذا زالَتِ الشَّمسُ.

ولَقِيَه سراقةُ وهو يَرمي جمرةَ العَقبةِ، فقال: يا رسولَ اللهِ! أَلَنا هذه خاصَّةً؟ قال: لا، بل لأبدٍ.



النحر والحلق

ثم انصرف إلى الـمَنحَرِ، فنَحَرَ ثلاثاً وستِّينَ بدنةً بيدِه.

ثم أعطى عليّاً فنَحَرَ ما غَبرَ يقول: ما بقي، وأشركه في هديه.

ثم أَمرَ من كلِّ بدنةٍ ببَضعةٍ -وهي القطعةُ من اللَّحمِ- فجُعِلَت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها، وشَرِبا من مَرَقِها.

(وفي روايةٍ قال: نَحَرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن نسائهِ بقرةً).

(وفي أُخرى قال: فنَحَرنا البعيرَ، عن سبعةٍ، والبَقرةَ عن سبعةٍ).

(وفي روايةٍ خامسةٍ عنه قال: فاشتَركنا في الجَزورِ سبعةٌ، فقالَ له رجلٌ: أرأيت البقرةَ أيشتركُ؟ فقال: ما هي إلَّا من البُدنِ).



(وفي روايةٍ: قالَ جابرٌ: كُنَّا لا نأكلُ من البُدنِ إلَّا ثلاثَ منىً[1]، فأرخَصَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ، قال: «**كلوا وتزودوا**». قال: فأكَلنا وتزوَّدنا حتى بلَغنا بها الـمدينةَ.

رَفَعَ الحرجَ عمَّن قَدَّم شيئاً من الـمناسكِ أو أخَّرَ يومَ النَّحرِ.

وفي روايةٍ: نَحَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فحَلَقَ.

وجَلَسَ بمنىً يومَ النَّحرِ للنَّاسِ، فما سُئِلَ يومَئذٍ عن شيءٍ قُدِّمَ قبلَ شيءٍ إلَّا قال: «**لا حَرجَ، لا حرَجَ**».

حتى جاءَه رجلٌ فقال: حلقتُ قبلَ أن أنحرَ؟ قال: «**لا حَرجَ**».

ثم جاءَ آخرُ فقال: حلقتُ قبلَ أن أرميَ؟ قال: «**لا حَرجَ**».

ثم جاءَه آخرُ فقال: طفتُ قبل أن أرميَ؟ قال: «**لا حَرجَ**».

قالَ آخرُ: طفتُ قبلَ أن أذبحَ، قال: «**اذبَح ولا حَرجَ**».

(١) ثلاث منىً: أي ثلاث أيام من أيام مِنىً.

ثم جاءَه آخرُ فقالَ: إني نَحرتُ قبلَ أن أرميَ؟ قال: ارم.

ثم قالَ نبيُّ الله ﷺ: «**نَحرْتُ هَا هُنَا وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَا هُنَا وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**».

خطبة النحر

وقالَ جابرٌ رضي الله عنه: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «**أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ فَقَالُوا: يَوْمُنَا هَذَا، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: شَهْرُنَا هَذَا، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: بَلَدُنَا هَذَا، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ. هَذَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».

الإفاضة لطواف الصدر:



ثم رَكِبَ رسولُ اللهِ ﷺ فأفاضَ إلى البيتِ فطافوا ولم يطوفوا بينَ الصَّفا والمروة فصلّى بمكَّةَ الظُّهرَ، فأتى بني عبدِ المطَّلب يَسقونَ على زمزمَ فقال: «**انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**» فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ[1].

أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من حجة الوداع فهي:

أولاً: تحديدُ مَصدرِ التَّلَقِّي، ففي حَجَّةِ الوداع حدَّدَ النَّبيُّ ﷺ مَصدَرَ التَّلقِّي الذي يَجِبُ على الأمةِ أن تَرجِعَ إليه، وذلكَ عندَما قالَ لهم: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[2]، وقالَ لهم: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ الله**».

---

(١) حديث جابر بن عبد الله في الحج، رواه مسلم (١٢١٨) والتفصيل السابق لحجته ﷺ من كتاب «حجة النبي ﷺ كما رواها جابر رضي الله عنه» للشيخ الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩٧) بلفظ آخر،وهذا لفظ البيهقي في سننه (٥/ ١٢٥).



وكما قالَ ﷺ في الحجِّ قالَ في الوضوءِ: «من تَوضَّأَ نحوَ وضوئي هذا» وقالَ أيضاً في الصَّلاةِ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِي**»(١).

فعلى الأُمَّةِ أن تأخُذَ دينَها من الكتابِ والسُّنَّةِ، حتى لا تَضِلَّ عن الصِّراطِ الـمستقيم لقولِه ﷺ: «**إِنِّى قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِى**»(٢).

وعلى الـمسلمينَ أن يَفهَموا الكتابَ والسُّنَّةَ بفَهمِ سَلَفِ الأمَّةِ؛ أصحابِ محمَّدٍ ﷺ ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقالَ ﷺ: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْـمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٤).

ثانياً: قطعُ الصِّلَةِ بالجاهليَّةِ، والابتعادُ عن الذُّنوبِ والمَعاصي:

وهذا يُؤخَذُ من قولِه ﷺ: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ...وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ**».

فيَجِبُ على الأمَّةِ الإسلاميَّةِ أن تَبتعِدَ عن أمورِ الجاهليَّةِ؛ لتَعيشَ في ظِلِّ



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، و الحاكم (١/ ١٧٢) البيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والدرامي (٩٥)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٧)]



الإسلام كاملاً، والتَّبرُّجُ يا عبادَ اللهِ من أمورِ الجاهليَّة. قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]، والحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ من أمورِ الجاهليَّة، قالَ تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[المائدة:٥٠]. والفخرُ في الأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنُّجوم، والنِّياحةُ من أعمالِ الجاهليَّة قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»(١).

ثالثاً: الوصيةُ بالنِّساء.

وهذا يُؤخَذُ من قولهِ ﷺ في خُطبتهِ: «**فاتقوا الله في النساء**».

كان النَّبيُّ ﷺ يُوصي دائماً بالنِّساءِ فيقولُ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»، وفي آخر أيَّامهِ وهو على فراشِ الـموتِ يقول: «**الصلاة الصلاة! وما ملكت أيمانكم**» واللهُ عزَّ وجلَّ وصّى بالنِّساءِ فقالَ تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩].



فيَجبُ على الـمسلمينَ أن يتَّقوا اللهَ في النِّساء، لأن النَّبيَّ ﷺ حذَّرَ من الاعتداءِ على الـمرأةِ، فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ، الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ**»(٢).

رابعاً: من ماتَ في الحجِّ مُحرماً يُبعَثُ يومَ القيامةِ مُلَبِّياً.

قالَ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَته فَوَقَصَتْهُ أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ -أي: قتَلَته في الحال- فذكرَ ذلكَ للنَّبيِّ ﷺ فقال: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلَا تُحَنِّطُوهُ** -أي: لا تضعوا عليه من الطيب شيئاً- **وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(٣).

اللهمَّ ارزُقنا علماً نافعاً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٩١٤٩)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠١٥)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).



٥١

وفاةُ الرسول ﷺ

عبادَ الله! وموعُدنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ اللِّقاءِ الأخيرِ من سيرة حبيبِ ربِّ العالمين محمدٍ ﷺ النبيِّ الأمين، وحديثُنا في هذا اللقاءِ سيكونُ عن وفاة رسول الله ﷺ.

رسولُ الله ﷺ الذي قالَ اللهُ فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾[الإسراء].

والذي أخرجَنا اللهُ به من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ.

والذي خَتَمَ اللهُ به الأنبياءَ والمرسَلينَ، فلا نبيَّ بعدَه ولا رسولَ بعدَه.

والذي قالَ اللهُ له ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[الأحزاب] أو قالَ اللهُ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:٦٧] فنَشهدُ أنه بلَّغَ الرِّسالةَ، وأدّى الأمانةَ، ونَصحَ الأمةَ، وكَشَفَ الغُمَّةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينِه حتى أتاهُ اليَقينُ، وتركَ أمتَه على المحَجَّةِ البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلَّا هالكٌ أو ضالٌ.

رسولُ الله ﷺ الذي قال الله له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزمر].

والذي قالَ اللهُ له: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن]، وقالَ تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[القصص].

رسولُ اللهِ ﷺ الذي قالَ له جبريلُ عليه السَّلام: «**يا مُحَمَّد عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ ميِّتٌ، وأَحببْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ**»(١).

---

(١) **حسن**: رواه الطيالسي (١٧٥٥) من حديث جابر، والطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) من حديث سهل بن سعد، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

بعدَ أن فَتحَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ وأرسلَ إلى ملوكِ ورؤساءِ الدُّولِ الكُبرى يَدعوهُم إلى الإسلام، وبدأَ النَّاسُ يَدخلونَ في دينِ اللهِ أفواجاً؛ أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ يُشيرُ إلى اقترابِ أجلِه، ويُعرِّضُ بقربِ أجله.

فقَبلَ حجَّةِ الوداعِ، خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ معَ معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه يُودِّعُه ويُوصيهِ عندَما بعثَه إلى اليمنِ، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ اللهِ ﷺ يمشي تحتَ راحلته، فلما فرَغَ ﷺ قال: «**يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي**».

فَبَكَى مُعَاذ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ ﷺ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْـمَدِينَةِ فَقَالَ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْـمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا**»[1].

وَوَقَعَ ما أشارَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ، فإنَّ معاذاً أقامَ باليمنِ حتى كانَت حجَّةُ الوداعِ، ثم كانَت وفاةُ النَّبيِّ ﷺ بعدَ حجَّةِ الوداعِ، ومعاذٌ باليمنِ.

وكان ﷺ يَعتكفُ كلَّ سنةٍ عشراً في شَهرِ رمضانَ، فاعتكفَ في السَّنةِ الأخيرةِ عشرينَ ليلةً، وكانَ جبريلُ يُعارِضُه القرآنَ مرَّةً في شهرِ رمضانَ، فعارضَه في السَّنةِ الأخيرة مرتين.

قالَ أبو هريرةَ رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَـمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا[2].

أخبرَ النَّبيُّ ﷺ فاطمة رضي الله عنها: «**أَنَّ جبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**»[3].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٥)، والبزار (٢٦٤٧)، وصححه ابن حبان (٦٤٧)، [«الصحيحة» (٢٤٩٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٤٤)، ومسلم (١١٧٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).




وفي حجَّةِ الوداعِ، ودَّعَ النَّبيُّ ﷺ أمَته وأصحابَه.

في يوم النَّحر، وعندَ جمرةِ العقبةِ قالَ ﷺ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ** -أي: خذوا عني مناسككم- **فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»(١).

وعلى عرفةَ نزلَ على رسولِ الله ﷺ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة].

وقد وَرَدَ في حديثٍ لا يَصِحُّ أنه لـما تلاها ﷺ على أصحابِه بكى عمرُ رضي الله عنه فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» فقال رضي الله عنه: يا رسول الله أبكاني أنا كنا في زيادةٍ من ديننا فأما إذا كَمُلَ فإنه لم يكمُل قطُّ شيءٌ إلَّا نقَصَ(٢).

وفي ثاني أيام التَّشريقِ نَزلَ على رسولِ الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ [سورة النصر].

فلـما سأَلَ عمرُ رضي الله عنه ابنَ عباس رضي الله عنهما عن هذه السُّورة.

قالَ ابنُ عباس: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ الله ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ [النصر].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩٧).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٤٠٨)، و الطبري في تفسيره (٩/ ٥١٩)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٨٦٠)].




فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ[١].

ودَعا النَّبيُّ ﷺ فاطمةَ رضي الله عنها فسارَّها بشيءٍ فبكَت، ثم دَعاها فسارَّها بشيءٍ فضَحِكَت. فلـما سألَتها عائشةُ رضي الله عنها قالت: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَـمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْـمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فضحِكْتُ[٢].

وخَرَجَ ﷺ يوماً إلى أُحد فصلّى على الشُّهداء كالمُودِّع للأحياءِ والأموات، ثم انصرفَ إلى الـمنبر فقال: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»[٣].

هكذا أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ يُشير ويُعرِّضُ باقترابِ أجلِهِ، والناسُ يَشعرونَ أن رسولَ اللهِ ﷺ يُودِّعُهم.

وعادَ النَّبيُّ ﷺ من حجَّةِ الوداعِ إلى الـمدينةِ، وهناكَ في الـمدينةِ بدأ النَّبيُّ ﷺ يَشتكي من صُداعٍ شديدٍ في رأسهِ.

تقول عائشة رضي الله عنها رَجَعَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ مِنْ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا وَأَنَا أَقُولُ وَا رَأْسَاهُ، قَالَ: «**بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ**».

ثم قالَ ﷺ لـها: «**وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٧٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).



فقالت رضي الله عنها له: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ.

تقولُ رضي الله عنها: «فَتَبَسَّمَ رَسُول الله ﷺ ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فيه»(١).

«اشتدَّ الوجعُ برسولِ اللهِ ﷺ، فطلَبَ من زوجاتِه أن يُمرَّضَ في بيتِ عائشة أمِّ المؤمنينَ فأذنَّ له، فخَرجَ بينَ رجلَين من أهلِ بيتِه حتى دَخلَ بيتَ عائشة»(٢).

وكان ﷺ يقول: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي**»(٣) -مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ-.

وكانَ ﷺ يخرجُ إلى المسجدِ يُصلِّي بالناسِ، فلما اشتدَّ به الوَجعُ قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ.

فقال ﷺ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**».

فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ.

فقال ﷺ: «**مَهْ! إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**».

فقالَت حفصةُ لعائشةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا(٤).

وعاوَدَت عائشةُ رسولَ الله ﷺ لئلا يتشاءَمَ النّاسُ بأبيها(٥).




(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٤٦٥)، والنسائي في الكبرى (٧٠٧٩، ٧٠٨٠)، الدارمي (٨٠)، وأحمد (٦/ ٢٢٨)، [«الإرواء» (٣/ ١٦١)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٥٨٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً (٤٤٢٨)، ووصله الحاكم (٤٣٩٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٢٩)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٤٥)، ومسلم (٤١٨).

أبو بكر رضي الله عنه يصلِّي بالناس، وفي يوم وَجَدَ النَّبيُّ ﷺ في نفسه خِفَّةً فَخَرَجَ يُهادى بين رجلَين، ورجلاه تَـخُطَّان في الأرضِ من الوَجَعِ، فأرادَ أبو بكر أن يتأخَّرَ فأومأ إليه النَّبيُّ ﷺ أَنْ مكانَك، ثم أُتِي به حتى جَلسَ إلى جنبِه، فكانَ ﷺ يُصلِّي، وأبو بكرٍ يصلِّي بصلاتِهِ، والناسُ يصلُّون بصلاةِ أبي بكرٍ[١].

فلـما كانَ يومُ الـخميس قبلَ خمسة أيّام من وفاته ﷺ؛ اشتدَّ الوجعُ برسولِ الله ﷺ فقالَ للمسلمينَ حولَه: **«ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ**.. فقال لهم «**دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ**»[٢].

ثم أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يَخرجَ للخُطبةِ فقالَ لأهلِهِ: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**».

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ»[٣].

يقولُ أبو سعيدٍ الـخدريُّ رضي الله عنه: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**».

قالَ أبو سعيدٍ: «فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي، مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنْ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا».

فقالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

(٢) **متفق عليه** رواه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٤٢).



يَبْقَيَنَّ فِي الْـمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»[١].

اشتدَّ الوَجعُ برسولِ اللهِ ﷺ، فأخذَ يُوصي أمّتَه وأصحابَهُ في الأيامِ الأخيرةِ من عُمُرِه بما يلي:

أولاً: أوصى أمَّتَه بإخراجِ الـمشركينَ من جزيرةِ العَربِ، فقال ﷺ قبلَ موتِه بخمسٍ: «**أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ ثم ذكر منها: أَخْرِجُوا الْـمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[٢].

ثانياً: وأوصى أن تُغلَقَ الأبوابُ الـمفتوحةُ على الـمسجدِ إلَّا بابَ أبي بكرٍ فقال ﷺ: «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْـمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**» وهذه من الإشارات لاستخلافه رضي الله عنه[٣].

ثالثاً: وأوصى ﷺ بالأنصارِ خيراً.

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فقال: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قالوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ فَصَعِدَ الْـمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي** -أي: موضع سري وأمانتي- **وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[٤].

رابعاً: وأوصى ﷺ بتعظيمِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ في الرُّكوعِ، والاجتهادِ في الدعاءِ في السُّجودِ، يقولُ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كشفَ رسولُ اللهِ ﷺ السِّتارةَ والناسُ صفوفٌ خلفَ أبي بكرٍ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا**



(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٩٩).



الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْـمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلاَ وَإِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِى الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ -أي: حقيقٌ وجديرٌ- **أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[١].

خامساً: أوصى ﷺ أمَّته بالصلاةِ.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: كانَ آخرُ كلامِ رسولِ الله ﷺ «**الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[٢].

سادساً: ووصى ﷺ أمَّته أن تُـحسِنَ الظنَّ باللهِ.

يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ: «**لاَ يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عزَّ وجلَّ**»[٣].

سابعاً: نهى ﷺ أمته عن بناءِ الـمساجدِ على القبورِ، تقولُ عائشةُ وابنُ عبّاس رضي الله عنهم:

لَـمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: «**لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» «**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**»[٤].

اشتدَّ الوجعُ برسولِ اللهِ ﷺ، وانقطَعَ عن أصحابهِ بقيَّةَ يوم الـخميسِ والجمعةِ والسَّبتِ والأحدِ، وبينَما هم في صلاةِ الفَجرِ من يوم الاثنين، وأبو بكرٍ يُصلِّي بالنّاسِ، لم يفجَأهم إلَّا ورسولُ الله ﷺ قد كَشَفَ سترَ حُجرةِ عائشةَ؛ فنظَرَ إليهم وهم صفوفٌ في الصَّلاةِ ثم ابتَسمَ يَضحَكُ، فنكَصَ أبو بكرٍ على عقبَيهِ ليَصِلَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٧٩).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبـو داود (٥١٥٦) وأحمد (١/ ٧٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٨٥)] من حديث علي، ورواه ابن ماجه (١٦٢٥) من حديث أم سلمه بلفظ: (الصلاة وما ملكت أيمانكم).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٥٣١).

الصَّفَّ، وظَنَّ أن رسولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ أن يَخرُجَ إلى الصَّلاةِ.

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: وَهَمَّ الْـمُسْلِمُونَ أَنْ يُفْتَتَنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ الله، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ(١).

وفي يومِ الإثنين اشتدَّ الـمَرضُ برسولِ اللهِ ﷺ

تقولُ عائشة رضي الله عنها: لَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْـمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ(٢).

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا».

قال ﷺ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**».

قلت: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟

قال ﷺ: «**أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ**».

ثم قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(٣).

وعن عائشةَ رضي الله عنها عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا» تقول عائشة رضي الله عنها: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٤).

ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه لَـمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: «وَا كَرْبَ أَبَاهُ»! قال ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**»(٥).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٤٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).



وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ».

تقول رضي الله عنها: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ-أي أستاك به- تقول رضي الله عنها: «وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»[1].

يقول أنس رضي الله عنه: لما مات رسول الله ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها:

يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ.

يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ

يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ[2].

لما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وضعَت عائشةُ رضي الله عنها رأسَه على وسادةٍ، وسَجَّته -أي: غطَّته- ببُردةٍ.

عائشةُ تبكي، وفاطمةُ تبكي، والكلُّ يبكي على فراقِ رسولِ اللهِ ﷺ، والخبرُ يَنتشرُ هنا وهناكَ، فمِن المسلمِينَ من يقولُ: ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، ومنهم من يقولُ: لا! ما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، وهذا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه يتوعَّدُ من قالَ: ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ بالقتلِ والقَطعِ.

وَصَلَ الخبرُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه، فجاءَ على فرسِه، ثم دَخَلَ فكَشَفَ عن

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٤٩)، ومسلم (٢٤٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).




رسول الله ﷺ فقبّله وقال: بِأَبي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْـمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

فنَشَجَ الناسُ يبكونَ، وقالَ عمر: «وَاللهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ»[1].

ماتَ النَّبيُّ ﷺ وإنها لمصيبةٌ من أعظمِ الـمصائبِ؛ لأنَّ بموتهِ انقطعَ الوحيُ من السَّماء.

أيها الـمسلم!

اصبرِ لكلِّ مصيبةٍ وتجلدِ	واعلَم بأن المرءَ غيرُ مُخلد
أوَما ترى أن الـمصائبَ جمّة	وترى الـمنيةَ للعبادِ بمرصد
مَنْ لم يُصبْ ممن تَرى بمصيبةٍ	هذا سبيلٌ لستَ فيه بأوحدِ
فإذا ذكَرتَ محمداً ومصابه	فاذكُرْ مُصابَكَ بالنبيِّ محمدِ

اجتمعَ الـمسلمونَ في سقيفةِ بني ساعدةَ، وبعدَ الـمشاوراتِ والمحاوراتِ تـمَّ الاتِّفاقُ على أبي بكرٍ رضي الله عنه خليفةً للمسلمينَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، وبايعَه الـمسلمونَ في الـمسجدِ على ذلكَ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٥٤).

وبدأ المسلمون في تجهيز النبي ﷺ.

أولاً: الغسل:

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: لَـمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا وَاللهِ مَا نَدْرِى أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَـمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقْنُهُ فِى صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ مَنْ هُوَ أَنِ اغْسِلُوا النَّبِىَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبُّونَ الْـمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلاَّ نِسَاؤُهُ»[(١)].

ثانياً: الكفن:

فلـما فرغوا من غسلهِ ﷺ كفَّنوه في ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ لَيسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمامَةٌ كما قالت عائشة رضي الله عنها[(٢)].



ثالثاً: الصلاة عليه:

ثم أَخَذوا في الصَّلاةِ عليه ﷺ فُرادى، لم يَؤمَّهم أحدٌ، دخلَ الرِّجالُ، ثم النِّساءُ، ثم الصِّبيان[(٣)].

رابعاً: الدفن:

فلـما أرادوا دفنه ﷺ اختلفوا أين يدفنونَه؟

فقالَ أبو بكر رضي الله عنه: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ ﷺ: «**مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْـمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ**»[(٤)].

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٤١)، وأحمد (٦/ ٢٦٧) وصححه الحاكم (٣/ ٦١)، [«الإرواء» (٣/ ١٦٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٧٣)، ومسلم (٩٤١).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٦٥).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٠١٨)، [«أحكام الجنائز» (ص ١٣٧)].



وكَانَ بالْمَدِينَة رَجُلٌ يَلْحَدُ وَآخَرُ يَضْرَحُ، فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِما فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِما فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ[١].

تقول عائشة رضي الله عنها: مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ النبيِّ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْـمَسَاحِي مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ[٢].

فلـما فرغوا من دفنه قالت فاطمة رضي الله عنها: «يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ»[٣].

وتقولُ أمَّ سلمةَ رضي الله عنها: بينما نحنُ مجتمعونَ نبكي لم نَنَم، ورسولُ اللهِ ﷺ في بيوتِنا، ونحنُ نتسَلّى برؤيتهِ على السَّريرِ، إذ سَمِعنا صوتَ الكرَّارينَ في السَّحرِ، فصِحنا وصاحَ أهلُ الـمسجدِ فارتـجَّتِ الـمدينةُ صيحةً واحدةً، وأذَّن بلالٌ بالفَجرِ، فلـما ذكرَ رسولَ الله ﷺ بكى وانتـحبَ فزادَنا حزناً[٤].




إن القلبَ ليَحزَنُ، وإن العينَ لتدمَعُ، وإنا على فراقِكَ يا رسولَ اللهِ لمحزونونَ، ولا نقولُ إلَّا ما يُرضي ربَّنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: لَـمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ الْـمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَـمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيه أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَـمَّا نَفَضْنَا عن رَسُولِ الله الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِه حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا[٥].

وعزاؤنا في رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا**»[٦].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٥٧)، وأحمد (٣/ ١٣٩)، [«أحكام الجنائز» (ص ١٤٤)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ٢٧٤)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٠٥)، [«الفتح الرباني» (٢١/ ٢٥٦)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).

(٤) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٧١).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد (٣/ ٢٦٨)، [«فقه السيرة» (٢٠١)].

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٨).

وتقولُ عائشةَ ﵂: (مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَلاَ شَاةً وَلاَ بَعِيرًا وَلاَ أَوْصَى بِشَيْءٍ)[1].

(بل لقد ماتَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ)[2].

ربَّنا عليكَ توكَّلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصيرُ، توفنا على الإسلامِ وألحِقنا بالصّالِحين.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣٥) من حديث عائشة، ورواه البخاري (٢٧٣٩) من حديث عمرو بن الحارث.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩١٦).








الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الفوائد
- فهرس المواضيع














فهرس الآيات
















سورة التوبة










سورة الفرقان

سورة الشعراء



سورة النمل

سورة القصص




سورة العنكبوت

سورة الروم






﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا﴾	٢٥	١٦٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	٤٤٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا﴾	٣٤-٣٥	٧٨
﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	٤٦٦

سورة فاطر

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ﴾	١٠	٣٧٢
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾	١٤	٤١٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٢٩	١٨٤
﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾	٤٣	٣١٧، ٣٨٩

سورة يس

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾	٧٦	٩٩
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ﴾	٧٨-٨٣	١٢٧

سورة الصافات

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾	١٧١-١٧٣	١١٥
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾	١٧١-١٧٣	٢١٥

سورة ص

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ﴾	٤	٩٢

سورة الزمر

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٥٣٠، ٥٢٠
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٥٣-٥٥	٢٠٤
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا﴾	٦٤	١١٩، ١٢٣
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤-٦٦	١١٨

سورة غافر

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	٤	١٢٥
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾	٥	١٢٥
﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ﴾	٧	٢٥٣







سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم












فهرس الأحاديث
























































فهرس الآثار

حرف الألف








حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الزين

حرف السين




















حرف الفاء



حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو







فهرس الفوائد







فهرس المواضيع















كتبٌ صدرت للمؤلف:

١ – العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢ – أحسن البيان	مجلد واحد
٣ – الدعاء النافع	مجلد واحد
٤ – سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام	مجلد واحد
٥ – الصحابة رضي الله عنهم	مجلد واحد
٦ – تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام	مجلد واحد
٧ – حياة السعداء	مجلد واحد
٨ – الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩ – البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠ – البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١ – ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢ – البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣ – المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤ – السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥ – وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦ – محبة علي بن أبي طالبي بين الغلو والجفاء	غلاف